الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
كلية الآداب، اللّغات والفنون
قسم اللغة العربية وآدابها
جامعة وهران -1- أحمد بن بلة -

مذكرة مقدَّمة لنيل درجة الماجستير في : بلاغة القرآن –دراسة في الأساليب–

بعنوان:

# أساليب الإيجاز في بناء الخطاب القرآني
# – مقاربة أسلوبية –

إعداد الطالب: حميدي بن شارف المشرف : الدكتور نور الدين زرادي

أعضاء لجنة المناقشة 2015/06/09

| | | |
|---|---|---|
| الدكتور : بوعزة عبد القادر | رئيسا | جامعة وهران - 01 - |
| الدكتور : زرادي نور الدين | مشرفا ومقررا | جامعة وهران - 01 - |
| الدكتور : برونة محمد | مناقشا | جامعة وهران - 01 - |
| الدكتور : منصوري ميلود | مناقشا | جامعة وهران - 01 - |

السنة الجامعية: 1435 – 1436 هـ/2014 – 2015 م

بسم الله الرحمن الرحيم

# إهداء

إلى

الوالدين العزيزين ...

زوجتي ...

قرتي عيني آلاء ومعاذ ...

إخوتي جميعا : محمد ، خديجة ، ربيعة ، مليكة

لخضر ، هجيرة .

كلّ مسلم ...

أهدي هذا البحث.

بن شارف حميدي

# شكر وتقدير

**الحمد لله** الذي تتم بنعمه الصالحات ، حمدا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه ، أحمدك ربي حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه على ما أعطيت ووفقت عبدك الفقير لإتمام هذا البحث ، فاللهمَّ أقل عثراتي وضاعف أجري فيما هديتني للإحسان فيه ، واجعله خالصا لوجهك الكريم ، وأصلي وأسلم على خير الورى سيد الأولين والآخرين محمد صلى الله عليه وسلم وبعد : فإنَّ من لايشكر الناس لا يشكر الله ، وحقٌ عليَّ في هذا المقام أن أتوجه بالشكر الجزيل ، والثناء العطر إلى كلِّ من أعانني على إنجاز هذا البحث وأخصُّ بالذكر هنا :

الأستاذ المشرف الدكتور : نور الدين زرادي ، على ماقدمه لي من ملاحظات قيمة في سبيل إخراج هذا البحث على أحسن وجه ممكن .

و أتوجه بخالص العرفان والتقدير للأستاذ الدكتور: عبد القادر بوعزة على توجيهاته الدائمة من قبل أن يوجد هذا البحث ، وخلال كل مراحل إعداده ،كما أشكره على تشجيعاته ، وملاحظاته القيمة ، وماقدمه لي من مراجع جعلها الله في ميزان حسناته.

كما أشكر كل أساتذتي الأفاضل الذين أشرفوا على تدريس طلبة الماجستير –مشروع بلاغة القرآن– خلال السنة الأولى .

و لا يفوتني في هذا المقام أن أشكر أخي الأستاذ الفاضل : فجر أحمد – جامعة يحي فارس بالمدية – على كل ما قدمه لي من مراجع فوالله ما طلبت منه شيئا إلا وجدته عنده ، أو سعى لي في إحضاره .

والحمد لله رب العالمين .

# مقدِّمة

إنه لمن نافلة القول التأكيد على أنَّ أساليب الإيجاز في القرآن الكريم حظيت بحيز وافر من دراسات النحويين و البلاغين العرب و ما من كتاب في هذه الدِّراسات إلاَّ وأفرد لها جانبا أساسيا وتتبع جمالياتها و أثرها في بناء الخطابات عموما ، و الخطاب القرآني خصوصا ، بالإضافة إلى آثارها في إغناء دلالات الخطاب لاسيما القرآني منه ، وهو الأمر الذي جعل الايجاز القرآني يشكل ظاهرة بارزة في كتاب الله العزيز الحكيم .

و لئن كان النحويون هم أوَّل من طرق هذه الظاهرة ، وضبط قوانينها ، و دَرَسَ تجلياتها في القرآن الكريم ، والنصوص الشعرية ، فإنَّ البلاغيين هم الذين كان لهم السبق في التنبيه إلى الآثار الجمالية لأساليب الإيجاز . و قد انبرى لهذا الجهد جهابذة الفكر اللساني العربي منذ الجاحظ إلى عبد القاهر الجرجاني الذي محص مسائل البلاغة و بلورها في نظريته اللفظية الفذة ، حيث أشار إلى مزايا أساليب الإيجاز في عملية الأداء الإبلاغي ، وفائق تأثيره على المتلقين .

ومن هنا جاء اختياري لهذا الموضوع ـ أساليب الإيجاز في بناء الخطاب القرآني (مقاربة أسلوبية) ـ نتيجة قراءة لما كتب عنه قديما وحديثا من ناحية ، ومن ناحية أخرى إيمانا بضرورة الاستفادة من التجارب الإنسانية ، و الاحتكاك بمنتوجها الفكري و المنهجي ، و هو أمر لا يتنافى مع التشبث بموروثنا ، وأعمال أسلافنا ، بل على العكس من ذلك ، فتراثنا وفكرنا أقوى من أي وقت مضى وقد أثبتت البحوث العلمية سبقَهُ وغناهُ و قدرتَهُ الفذة على التواءم و التلاقح مع المنجزات الإنسانية و الأخذ منها بما يزيدُ في غناه ، و يفعل من أدواتِهِ المنهجية .

كما جاء هذا الاختيار نتيجة بحث ـ في المكتبات العامة والخاصة والبحوث الجامعية ـ تأكدت من خلاله أنَّ مكتبتنا العربية تحتاج إلى المزيد من البحوث التي تدرس الإيجاز في الخطاب القرآني دراسة أسلوبية ضمن رؤية شمولية تستوعب كل الأدوات التي تساهم في إنتاج اقتصادي للوحدات اللغوية في الخطاب القرآني، فقد تعودنا على قراءة كتب البلاغة التي تدرس جانبا من أساليب الإيجاز . وغالبا هو الحذف لاغير . ضمن نفس تلك الرؤية التقليدية من حيث المناهج المتبعة في التقسيم وفق محاور الجملة العربية ، ومن خلال دوران أغلب ما كان متداولا من الشواهد في الدراسات البلاغية والنقدية القديمة .

ثم إنَّ هناك دافعا آخر لا تقل أهميته عما ذكرنا من قبل ، وهو أنَّ بعض مباحث الايجاز، خاصة الايجاز بالقصر ظل مفهومه ملتبسا ومشوشا، وبالتالي لم يأخذ حقه من الدراسة الكافية في الدراسات البلاغية العربية . قديمها وحديثها . على الرغم من وجوده الثابت في تلك الدراسات ، ونحسب أنه من خلال هذه الدراسة ومنهجها نستطيع أن نحصل على نتائج مفيدة تسلط الضوء على أهم الآليات التي تشكل هذا النوع من الإيجاز.

وانطلاقا مما سبق سنحاول مقاربة هذا الموضوع في دراسة تتألف من مدخل و ثلاثة فصول ،وخاتمة. أما المدخل فيعرف بمفهوم الأسلوبية ، وأسسها النظرية ، وأهم اتجاهاتها، بالإضافة إلى التعريف بمفاهيم النص والخطاب ، و قواعد التماسك والترابط فيهما ، وعلاقة الأسلوبية بهذين المفهومين .

أما الفصلُ الأوَّل الذي يقع تحت عنوان أساليب الإيجاز في الدرس اللساني العربي فيتضمن ثلاثة مباحث: ففي المبحث الأول الموسوم بظاهرة الإيجاز في الدرس اللساني العربي تطرقنا بالدراسة لمفاهيم الإيجاز وأشكاله المعروفة في الدراسات النحوية والبلاغية من حيث الدلالة اللغوية والاصطلاحية، ومن حيث الحضور في المنجز الفكري العربي عبر أبرز الأسماء النحوية والبلاغية ، متبعين في ذلك عرضا وتحليلا ومناقشة لرؤاهم النظرية لمفهومي الحذف ، والإيجاز بالقصر، وكانت لنا وقفة عند بعض الظواهر التي تناولها الدرس اللساني العربي،و التي لها علاقة بمفهوم الإيجاز مثل : التقدير ، الإضمار وعلاقة كل ذلك بالإيجاز.

أما المبحث الثاني الموسوم : الايجاز ونظرية النظم عند الجرجاني فقد أفردناه لدراسة ورصد ظاهرة الإيجاز في إطار النظرية الأبرز في الدراسات البلاغية العربية ، وهي نظرية النظم عند الجرجاني متطرقين إلى علاقتها بمفهوم التعليق ، وإلى الأبعاد الجمالية لهذه الظاهرة عند الجرجاني في مستويات العدول والتلقي .

و في المبحث الثالث الذي يقع تحت عنوان : ظاهرة الايجاز في الدراسات الأسلوبية للقرآن فنستعرض فيه الرؤية المعاصرة للإيجاز في الدراسات القرآنية الحديثة من خلال مؤلفات: عبد الله دراز ، سيد قطب ، و عائشة عبد الرحمان.

وأما الفصل الثاني : آلية الإيجاز في بناء الخطاب القرآني فسنفكك هذا العنوان إلى مباحث أربعة تتوزع على مسائل هي من صميم اهتمامات الدراسات الأسلوبية ، وهي التي جرى تحديدها عند

الأسلوبيين بالمؤشرات الأسلوبية ، و قد اخترنا في هذا الفصل أن نخصص لكل مؤشر أسلوبي مبحثا مستقلا ، فكان المبحث الأول ـ السياق ومقاربة فهم الايجاز القرآني ـ منصبا على دراسة دور السياق في مقاربة الإيجاز في القرآن الكريم ، ومبحثا ثانيا ـ الايجاز والعدول في الخطاب القرآني ـ يعالج بالدراسة موضوع العدول في أساليب الايجاز من حيث قيمته الأسلوبية والجمالية في تشكيل الخطاب القرآني ، كما رصدنا في مبحث ثالث ـ الايجاز في الخطاب القرآني ومفهوم التلقي ـ الناحية التداولية في أساليب الإيجاز القرآني من خلال عملية التلقي و آثارها في الجوانب التخيلية و الإيحائية ، و آخر مباحث هذا الفصل ـ خاص بمسألة المناسبة ندرس فيه أساليب الإيجاز في الخطاب القرآني من خلال مفهوم المناسبة أي : من حيث التناسب المقامي العام و التناسب اللفظي الإيقاعي الخاص .

وسندرس المباحث الآنفة الذكر إنطلاقا من التمهيد لكل واحد منها مع شرح للمصطلحات الواردة فيها ، بالإضافة إلى التركيز على رؤية الدراسات الإسلامية في كل جانب من الجوانب المدروسة ومقارنتها ما أمكن مع الإسهامات الأسلوبية المعاصرة ، وقد رأيت الجمع في الدراسة بين أهم أشكال الإيجاز في المنجز البلاغي العربي : الإيجاز بالحذف ، والإيجاز بالقصر من خلال عناوين فرعية في كل مباحث الفصل بحيث أحاول رصد علاقة كل قسم مع المؤشر الأسلوبي المدروس ، ولكي أوضح هذا المنهج ، أشير ـ كمثال على ذلك ـ إلى المخطط التحليلي لأحد المباحث ليعطي صورة عن منهج باقي المباحث ، ففي المبحث الأول : السياق ومقاربة فهم الإيجاز القرآني تندرج عناوين فرعية تدرس مفهوم السياق من حيث دلالته اللغوية في المعاجم العربية ، ودلالته الاصطلاحية في التفكير الإسلامي ، ثم ننتقل لتوضيح مفهوم السياق في الخطاب القرآني من خلال التفسير ، وعلوم القرآن ومعرفة رؤية الأصوليين لهذا المفهوم ، وبعد هذه الدراسات التمهيدية نرصد وظائف السياق في علاقته بالإيجاز بنوعيه بمعنى : السياق والإيجاز بالحذف ،والسياق والإيجاز بالقصر بحيث نزاوج بين البعدين : التنظيري ، والتطبيقي .

أما الفصل الأخير الموسوم : أساليب الايجاز في بناء القصص القرآني فقد خصص للجانب التطبيقي ويتعرضُ بالدراسة للإيجاز في الخطاب القرآني بوصفه ظاهرة تشتمل على جملة من الآليات المتنوعة التي تتجاوز التقسيم التقليدي – من حذف ، وقصر– فحسب ، إلى جملة من الآليات الأخرى كالإضمار ، والعطف ، وأسماء الإشارة ، والأسماء الموصولة ، وآلية قص المشاهد : أي أننا سنحاول الاستثمار في الرؤية النظرية للسيوطي في كتابه : الإتقان في علوم القرآن عن الإيجاز ، من خلال

توظيفها في دراسة تطبيقية شاملة لأساليب الإيجاز في الخطاب القرآني تتضمن أيضا أبعادا أخرى كالتصوير وغيره .

و تنتهي الرسالة بخاتمة تتضمن عرضا لنتائج البحث ، وإجابة عن بعض الأسئلة التي شكلت إحدى دوافع البحث ، والتي من ضمنها :

– مدى وعي الدراسات اللسانية العربية ، و لاسيما البلاغية منها بظاهرة الإيجاز ، وبأبعاده الجمالية في القرآن الكريم.

– ما مدى التوافق بين الرؤية الإسلامية والدراسات الأسلوبية بإزاء ظاهرة الإيجاز في القرآن الكريم؟

– هل استطاعت الدِّراسات الأسلوبية تطوير الرؤية البلاغية لمسائل الإيجاز و إدراك كلِّ أبعادِهِ الجمالية ؟.

## الدِّراسات السابقة في الموضوع:

إنَّ مسائل الإيجاز في القرآن الكريم لا يكاد يخلو منها كتاب من كتب البلاغة (قديمها و حديثها ) بحيث أشبعت دراسةً و تمحيصًا ، ومع هذا الكم الوفير المبثوث هنا وهناك لازلنا – ونحن نعيش هذا العصر – نتطلعُ إلى تسليط الضوء على جوانب أخرى من الإيجاز استجدت مع ما أتت به الدِّراسات الأسلوبية الحديثة ، ما جعلنا نظن أنَّ دراسة موضوع الايجاز في القرآن الكريم لا يزال يحتاج إلى مزيد نظر وبحث ، ولقد بحثت عن كتب افردت له موضوعا مستقلاً من خلال مقاربة أسلوبية فلم أجد ، و لعلها تكون موجودة حقا ولكني لم أطلع عليها ، ومع هذا يجدر بي أن أشير إلى بعض الكتب التي تناولت أساليب الإيجاز أو بعضا من تلك الأساليب كالحذف خاصة ، ونذكر في هذا المقام كتب :

- الإعجاز والإيجاز لأبي منصور الثعالبي – رغم أن معالجته لموضوع الإيجاز عموما ، وفي الخطاب القرآني خصوصا كانت محدودة على عكس ما يوحي إليه عنوان الكتاب .
- الإيجاز في كلام العرب ونص الإعجاز (دراسة بلاغية) للدكتور مختار عطية .
- أسلوب الحذف في القرآن الكريم وأثره في المعاني و الإعجاز للدكتور مصطفى شاهر خلوف

كما كانت هناك مراجع أخرى تناولت أساليب الإيجاز ضمن مسائل بلاغية أخرى وفق وجهة أسلوبية و أذكر هنا بعض كتب الدكتور مسعود بودوخة :

- دراسات أسلوبية في تفسير الزمخشري
- عناصر الوظيفة الجمالية في البلاغة العربية .
- البيان في روائع القرآن لتمام حسان . دراسة لغوية و أسلوبية .

بالإضافة إلى المصادر المعروفة في البلاغة العربية كدلائل الإعجاز للجرجاني ، وثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي و الجرجاني ، الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ، و الطراز للعلوي ومجموعة من التفاسير البيانية : كمفاتيح الغيب للفخر الرازي ، و كشاف الزمخشري،و التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور وغيرها من المصادر والمراجع.

ومع كل هذه الكتب والدراسات فإننا نرى أنَّ مقاربة أساليب الإيجاز في الخطاب القرآني أسلوبيا ظلت باهتة و دون أن تلبي الحاجات المأمولة .

وضمن هذا الإطار يندرج موضوع هذه الرسالة كمحاولة للإفادة من روافد الدراسات السابقة والبناء على أساسها المكين .

أما فيما يخصُّ المنهج المتبع في هذه الرِّسالة فسيتم اختيار المنهج المناسب وفق طبيعة كلِّ فصل وعموما سنحاول مقاربة الموضوع من خلال المنهجين التاريخي ، و الوصفي التحليلي .

# مدخل :

## في مفاهيم : الأسلوبية

## الخطاب – الإيجاز

## أ. مفهوم الأسلوبية و أسسها النظرية :

لقد كان همُّ الأسلوبية الغربية الناشئة من رحم الدِّراسات اللسانية البنيوية كما أرسى دعائمها اللساني السويسري – فردينان دوسوسور- دراسة الجوانب الأدبية أو الشعرية في النصوص ، و بالرغم من إقرار اللسانيين الغربيين أنفسهم أنها لم تصل بعدُ إلى أن تكون علما بالمعنى الإبستملوجي [1] ، إلاَّ أنها حاولت رسم طريقها ، وبناء مفاهيمها منذ أن صَدَرَ لتلميذ دوسوسور – Charles Bally شارل بالي كتابه عن الأسلوبية الفرنسية traite de sylistique française سنة 1902 الذي يرى أن مجال دراستها الخطاب اللساني أينما كان على خلاف ما انتهت إليه من البحث عن الأدبية أو الشعرية في النصوص :

" فالذي يشدُّ انتباهنا نحن العاكفين على كشف أصول التفكير الأسلوبي في حركيته التاريخية هو هذا الثنائي التقابلي بين قوام الأسلوبية في نشأتها و ميثاقها الذي انتهت إليه : هي عند بالي لا تبحث عن شرعية لوجودها إلاَّ في الخطاب اللساني أينما كان ، فهي إذن مطلقة الوجود حيثما كان كلام ، ولكن علة وجودها اليوم وقفٌ على كينونة الحدث الأدبي "[2].

و الأسلوبية الغربية وريثة للبلاغة المعيارية التي فقدت أهميتها تاركةً المجال واسعا لمناهج الأسلوبية تتكرَّس كبديل أكثر شمولاً ، وأوسع أفقًا في الدِّراسات الجمالية للغة ، و عن هذه العلاقة بين الأسلوبية و البلاغة يقول صلاح فضل عن البلاغة الغربية : " فإنها قد ذابت و انحلت في علم الأسلوب الحديث بشكل أو بآخر لا من حيث كونها مجموعة من الوصفات التي تؤدِّي إلى الكتابة الجيدة إذ لم يعد هذا مطابقا لفكرة الباحث اليوم عن الحياة و الإنسان و اللغة والفن ، بل من حيث كونها جهدا مخلصا للإقتراب من مناطق القوَّة في التعبير و التأثير ومكوناتها اللغوية و الجمالية"[3] .

---

[1] –الملتقى الدولي الذي كان أحد أطرافه المنظمة : الجمعية الدولية للأسلوبية انظر:
(presse universitaires de rennes 2010 /www.pure –editions.fr)

[2] –الأسلوبية و الأسلوب ، عبد السلام المسدي ،ط3، د ت، طرابلس، ليبيا ،ص42.

[3] – علم الأسلوب و النظرية البنائية ، صلاح فضل ، /ط مشتركة دار الكتاب المصري ، دار الكتاب اللبناني ، الطبعة الأولى 2007، (ج1) ص167.

و مع التحفظ عن استعمال مصطلح "علم" الذي أسرف الباحثون العرب في ترجمته عن الدِّراسات الأسلوبية الغربية ـ التي كما قلنا آنفا أنَّ الأسلوبيين الغربيين أنفسهم يقرون حديثا بأنها ممارسة تطبيقية وهي أبعد من أن تكون علما أو حتى نظرية ـ فإننا نلاحظ فيما ساقه صلاح فضل الوشائج المتينة التي تربط بين البلاغة في حللها القديمة و الأسلوبية بوسائلها الإجرائية الحديثة ، فإذا كانت البلاغة تبحث عن الأساليب الجميلة من خلال معايير مرجعية جاهزة تعكف *الأسلوبية على التعرف ورصد مجالات التصرف في حدود القواعد* (اللغوية) البنيوية لانتظام جهاز اللغة [1].

من هنا جاءت أهداف الدراسات الأسلوبية في البحث عن أشكال الانحراف البنيوي سواء بإزاء قاعدة ما في اللغة أو بمقابل السياقات النصية ذاتها أو السياقات اللانصية .

يقول الدكتور المسدي :" و تكاد جلُّ التيارات التي تعتمد الخطاب أسًا تعريفيا للأسلوب تنصب في مقياس تنظيري هو بمثابة العامل المشترك الموحد بينها ، ويتمثل في مفهوم الإنزياح (l'écart)"[2] بالرغم من أنه متصور تفاوتت فيه المقاربات من حيث التحديد المفهومي، ولكنه مع ذلك يظل ذو " قيمة استكشافية في توضيح الخصائص الأسلوبية"[3].

أما المبدأ الآخر للمناهج الأسلوبية فهو مبدأ الاختيار ، فالفكر اللساني الذي تبلور مع دوسوسور كان يتشكل وفق ثنائيات نادى بها هذا الأخير ، و كان من ضمنها اللغة و الكلام فاللغة كيان اجتماعي مجرد في أذهان الناس أو هي نظام لغوي يتكون من نحو و صرف و معجم ودلالة ، أما الكلام فهو الأداء الفردي لتلك اللغة يمارسه الأفراد من منظومة اللغة المشتركة في أذهانهم .

فـ " مبدأ الاختيار أو الانتقاء يمثل خاصية من خصائص البحث الأسلوبي ، و إذا كانت اللغة تحوي مفردات متعددة ، تتركب منها أعداد لا تحصى من العبارات و الجمل، فإنَّ القضية المثارة هي البحث عن الدلالات المتعلقة بأسباب اختيار جملة بدلا من جملة أخرى ، وتفضيل تركيب على سواه "[4] ، بل هناك من يعتبر الأسلوب في حد ذاته جملة من الاختيارات " فالأسلوب هو قبل

---

**[1] –ينظر الأسلوبية و الأسوب ، عبد السلام المسدي ، ص56.**

**2 – المرجع نفسه ، ص97.**

**[3] – البلاغة والأسلوبية– نحو نموذج سيميائي لتحليل النص– هنرش بليت، تر: محمد العمري، افريقيا الشرق، الدار البيضاء،ط2 1999،ص: 58**

**4 ـ علم البلاغة بين الأصالة و المعاصرة ، د عمر عبد الهادي عتيق ، دار أسامةللنشر و التوزيع عمان الأردن ، ط1،سنة2012،ص 221.**

كل شيء أمر راجع إلى الاختيار،وهو اختيار قد يبلغ من ناحية أخرى حدَّ العادة المفرطة ( le tic)....فثراء الامكانات والاختيارات التي يمكن تصورها هي شرط الاسلوب "[1]على أنَّ هذا المبدأ أثار جدلا واسعا في الدراسات الأسلوبية الغربية انطلاقا من فكرة الوعي و اللاوعي في عملية الانتقاء عند أي كاتب .

وقد تبلور هذا المبدأ مع جهود (جاكوبسون )الذي رأى أن الأسلوب "بكونه إسقاط محور الاختيار على محور التوزيع ، لأن ما يعنيه جاكوبسون هنا هو : أنَّ اللغة الشعرية لها القدرة على إيجاد و خلق سلسلة من العلاقات التركيبية تماثل العلاقات التي تقوم بين الأجزاء المنفصلة في مجموعة لغوية استبدالية مما يؤكد كون الأسلوبية تمثل بعدا لغويا لدراسة النص الأدبي" [2].

أما البعد الآخر وهو السياق فقد كان مجالا خصبا للتفكير الأسلوبي و في تحديد الأدوات الاجرائية لمفهوم الأسلوبية ، ومؤشرا حقيقيا لتلمس الجوانب الجمالية التي تختزنها النصوص الأدبية فالكلمة و التعبير لا يتحدد معناهما إلا وفقا للسياقات النصية ، وقد برز هذا الاتجاه مع ( ريفاتير) منذعام 1960 وهي تقوم على دعائم التضاد و السياق و الانصباب في مجال النص نفسه، على عكس رؤية جاكويسون"فهو لا ينطلق إذن من التقابل بين وحدة ما قائمة في النص ، وغيرها من الوحدات العادية الخارجية التي كان يمكن أن تحل محلها ، بل من التضاد بين الوحدات النصية داخل السلسلة الخطية للعبارات اللغوية "[3].

و مهما يكن من أمر هذه الفروق المنهجية فالثابت أنَّ كلَّ الدراسات الأسلوبية تركز على أهمية السياق بوصفه الفضاء الذي تتبلور فيه المعاني" والحقُّ أنَّ المعنى يفهم من الوحدات الصريحة التي تؤلفه ،أي أنَّ السياق قد يعطي المدلولات التي لا يمكن أن تعزى بشكل بسيط إلى وحدة معينة،أو وحدات مضمومة بطريقة آلية" [4]،ويتحدد السياق ضمن بعدين يعطيانه ماهيته : بعد داخلي و آخر خارجي "فالبعد الداخلي يتعلق باللغة و تراكيبها من حيث موقع الكلمة بين أخواتها و الهيئة التي ائتلفت فيها الكلمات مع بعضها و مكان هذه الائتلافات و التراكيب من الموضوع الجامع لها ، أو

---

[1] **– مدخل لفهم اللسانيات– ملحق اللسانيات الاسلوبية من اللسانيات الى الأدب– روبير مارتان،تر:د عبد القادر المهيري،المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2007.**

2 –البلاغة و الأسلوبية ،محمدع المطلب ط مشتركة مكتبة لبنان ناشرون ، الشركة المصرية العالمية للنشر ط1، ،1994ص188.

[3] **– علم الأسلوب و النظرية البنائية ، صلاح فضل ، ج(1) ص 218.**

[4] **– البلاغة و الأسلوبية ، محمد عبد المطلب ، ص321.**

بعبارة أخرى هو طريقة تسييق الكلمة المفردة داخل الجملة ، و تسييق الجملة مع الجمل الأخرى و تسييق هذه الجمل داخل الإطار الكلي للنص " [1].

و قد سعت المدارس اللسانية الغربية المختلفة لإبراز الدور الفعال الذي يكتسيه السياق في تحليل الخطاب ، وهذا بعد التحول من الدراسة الجزئية المحدودة إلى النصوص المؤلفة للأجزاء ، و الكلام المتصل الذي ليس توالياً للجمل و التراكيب بقدر ما هو وحدة كلية تتسم بالانسجام و الترابط يقول الدكتور مسعود بودوخة نقلا عن جون ليونز " و لما كانت وحدات النص على هذه الصفة من التماسك و الترابط فلابد في تحليل أي منها من الرجوع إلى السياق للإحاطة بدلالتها الحقيقية والسياق هنا بنوعيه اللغوي و غير اللغوي "[2].

ويتفرع السياق إلى سياق أصغر و هو سياق الجملة النحوي ، وآخر أكبر يتضمن النظام اللغوي من مرسل ومتلق... كما يتضمن الأشخاص و المكان و الزمان ومعارف المرسل و المتلقي و السياقات التاريخية و الإجتماعية [3].

و تجدر الإشارة هنا إلى أهم الأدوات الرابطة و التي تساهم في تماسك النص : الضمائر ، و حروف العطف ، التكرار،الحذف ،أسماء الإشارة و غيرها .

و المتمعن لمناهج البحث في الأسلوبية يجد أنها أصبحت تزاوج السيمولوجيا أو علم العلامات الذي بدأ مع (بيرس) ، وأخذ شكله المنهجي مع دوسوسور ، وهو علم يدرس دلالة الرموز وعلاقاتها مع جميع الأشياء و الموضوعات الطبيعية و الانسانية . و اللغة عبارة عن دال و مدلول فهي شديدة الارتباط بالرمز و الإشارة ، وهنا يبرز دور الإيحاء كما يسميه (سوسيور) في مستوى اللغة الذي قلنا أنها عبارة عن علامات كما عرفها دوسوسور .

" إذا كان الأدب نظاما من الرموز له شفرته الخاصة و شبيه النظم الدالة الأخرى مثل اللغة المنطوقة والفنون و الأساطير فإنه يختلف عنها باعتماده على بنية أخرى هي اللغة ، ولهذا فهو نظام دال من

---

[1] – السياق و أثره في المعنى ، د :المهدي ابراهيم الغويل ، أكاديمية الفكر الجماهيري طبعة 2011، بنغازي –ليبيا– ص14.

[2] – السياق و الدلالة ، د:مسعود بودوخة ، بيت الحكمة للنشر و التوزيع العلمة الجزائر ط2012/1،ص62.

[3] . المرجع نفسه ، ص 63.

الدرجة الثانية أي أنه نظام إيحائي "[1].

من هذا العرض الموجز لأهم مبادئ الأسلوبية نستطيع أن نأخذ فكرة شاملة عن معنى الأسلوبية و ما تطرحه من مناهج لتحليل الخطابات الأدبية ، ولكن هذا الإيجاز في الحقيقة لم يتعرض بعد إلى الأسس الفكرية ، والاجتماعية و الاقتصادية التي ساهمت في تبلور هذه المناهج.

إنَّ جهدا فاق القرن في الغرب يسعى إلى إيجاد أدوات منهجية فعالة في التحليل الأسلوبي يبدو أنه لا يزال يتلمس هدفا منشودا صعب المرام و نسبيا نسبة المعارف الإنسانية ، وبالرغم من كل تلك المدارس التي خاضت في الدراسات اللغوية من أجل تفسير ظاهرة ظلت عصية ، من بنيوية دوسوسور إلى الشكلانية الروسية إلى حلقات براق ، وكوبنهاقن إلى النظريات التحويلية يبدو أنَّ أفق البحث يمضي بلا هوادة بحثا عن حقيقة تريح العقل أخيرا .

## ب– الأسلوبية: علم النص وتحليل الخطاب:

### ب–1 مفهوم النص:

لقد شكل تجاوز دراسة اللغة المنطوقة إلى اللغة المكتوبة– مثلما تكرست عليه وفق النظرة السوسرية– اقترابا حقيقيا من نظرية الأدب ، وبداية تشكل الوعي لدراسة الفضاءات النصية وتحليلها. " فقد شكك هاريس Hariss بقدرة علم اللسان على تجنب الكلام المكتوب في دراسته للنظام اللغوي فعلم اللسان عني أيضا بالجملة المنطوقة، ولكنه غفل عن وجود جملة طويلة، ولا متناهية، يعجز النحو وحده عن الإلمام بقواعدها ما لم يتكئ على الكتابة التي تسلمنا إلى دراسة النص".[2]
أما عن دلالة لفظ نص (Texte) في اللغات الأجنبية فهو يتضمن " معنى النسيج فالنص نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض، هذه الخيوط تجمع عناصره المختلفة و المتباعدة في كل واحد، هو ما نطلق عليه مصطلح نص "[3].

---

[1] **–علم الأسلوب و النظرية البنائية ، صلاح فضل ، ج2،ص645.**

[2] **– في اللسانيات ونحو النص، د ابراهيم محمود خليل،دار المسيرة ، عمان ، الأردن، ط2 ،2009 ، ص:187.**

[3] **– تحليل الخطاب السردي وقضايا النص، عبد القادر شرشار، منشورات دار القدس العربي، وهران ط1، 2009.ص 47.**

في حين أنه في الجانب الاصطلاحي قد تضمن في النقد الحديث " معنى الأثر المكتوب في شموليته وعبر مستوياته التنظيمية،ومفاهيمه الاجتماعية، الخيالية، الذاتية والوصفية. ويمثل مراحل التطور الذي عرفتها الكتابة الأدبية من منظور المنهج اللساني انطلاقا من الجملة إلى ماوراء الجملة"[1].

وقد ساهمت مجموعة من الروافد في تبلور مفهوم النص على غرار البلاغة الحديثة " أما البلاغة الحديثة فأسهمت في توجيه النظر إلى العلاقات الداخلية في النص بحديثها عن بعض الصيغ النحوية للتشبيه والاستعارة. ومن ذلك العلاقة بين الجملة والجملة التابعة لها"[2] ، وينضاف إلى البلاغة الحديثة رافد آخر يتمثل في جهود الأنثربولوجيين من أمثال مالينوفسكي Malinowisky وفلاديمير بروب وشتراوسstrauss وذلك عبر" الإفادة من علم اللغة البنيوي في تحليل النماذج والأنماط السائدة في الأدب الشعبي و الأسطوري لإيجاد ما أصبح معروفا بالبنى ، وتفكيك الرموز لالقاء الضوء على الأسس المؤثرة في تمكين الناطق باللغة من تأليف النصوص، واستعمالها للاتصال مع الأشخاص".[3]

وهنا تجدر الاشارة إلى معطى أساسي ساهم في تشكل علم خاص يعنى بالنص، وهو ظهور مجال جديد للدرس اللغوي يتمثل في تحليل الخطاب فقد" استخدم المعنيون بدراسة الحياة الاجتماعية علم اللغة للكشف عن الكثير من القواعد التي تتحكم في أداء النصوص، على اختلاف وظائفها الإعلامية والتثقيفية، وتمخضت هذه البحوث التي اتخذت من أنظمة الحوار و المخاطبات مادة للدرس،عن ظهور نوع جديد من الدرس الألسني ، وهو الذي يعرف بتحليل الخطاب Discourse Analysis وهذه البحوث أغنت الكثير من المحاولات الرامية لإيجاد علم خاص بالنص، وكشفت عن المعايير التي تميزه عن اللانص. ومن هذه المعايير معيار التضام ، أو التماسك Cohesion والاقتران Coherence والقصدية النابعة من موقف المتلقي تجاه ما يتلقاه، فضلا عن معايير أخرى ، مثل: الموقفية Situationality والتناص "[4].

كما يعزى لفقه اللغة الغربي أوالفيلولوجيا الفضل على علم النص من خلال البحث في قواعد النص:

---

**[1] – المرجع نفسه ، ص47**

**[2] – في السانيات ونحو النص،د ابراهيم محمود خليل ، ص 186**

**[3] – المرجع نفسه ص 186**

**[4] – في السانيات ونحو النص،د ابراهيم محمود خليل ص186**

" وأشهر من سعى للكشف عن الروابط بين دراسة النحو ودراسة المعنى ، من الفيلولوجيين ، هو هنري فايل Henri weil الذي طور لغويو براغ آراءه بتركيزهم على المنظور الوظيفي للجملة وهو منظور حثهم على ملاحظة الصلة بين جملتين وأكثر. وتأثر وظيفة الجملة بهذه العلاقة القائمة على التقديم والتأخير، في أكثر الأحيان. وتعزى إلى هارفنغ أول محاولة (1968)جادة لوصف التنظيم الذاتي الداخلي للنصوص، من خلال الحديث على بعض العلاقات التي تسودها مثل علاقة الإحالة،والاستبدال، التي فصل فيها القول مشيرا إلى التكرار والحذف والترادف،والعطف والتفريع والترتيب، وذكر النتيجة بعد السبب، والجزء بعد الكل أو العكس،وهذا كله،مما يقع في دائرة الترابط والاتساق الداخلي للنص".[1]

إنَّ إفادة الدرس الأسلوبي من مباحث علم النص تكمن في أنه أضحى يشكل أحد جوانب هويته بل دليلا على شرعيته كفن يقترب من الدقة في أدواته التحليلية "إن المجال الذي تقترب فيه الأسلوبية من فن دقيق مع ذلك هو عندما تريد ( وهذا جانب أساسي من جوانب الدراسات الأدبية ) إنارة نص بالبحث المفصل عن وسائل التعبير التي دبج بواسطتها "[2]. إنَّ الأسلوبية ـ وإن كانت تلتقي مع لسانيات النص وتتقاطع معها في دراسة النص ـ إلاَّ أنَّ هذه الأخيرة لا تختص بدراسة النص الأدبي كموضوع رئيسي لها كما هو عليه الشأن في الدراسات الأسلوبية .[3]

أما عن علاقة الأسلوبية بالنص في حد ذاته فتتمثل في البحث عن كماله الشكلي والجمالي من خلال السعي إلى تأويله , وتفكيكه[4]. والحديث عن علاقة الأسلوبية بمفهوم النص يحيلنا بالضرورة إلى علاقة هذا الأخير بمفهوم آخر هو مفهوم الخطاب.

## ب–2 مفهوم الخطاب:

يبدو واضحا أنه من الصعب بمكان التمييز بين مفهومي النص والخطاب في الدراسات الأسلوبية والنقدية، وهذا أمر راجع بالأساس " لتعدد الآراء واختلافها،وكثرة التصورات وتضاربها،مما يجعل البحث أمام صعوبة تأطيرها و فرزها ، وبالتالي تحليلها ومناقشتها".[5]بالإضافة إلى تداخل مجالات

---

[1] – المرجع نفسه ص 187/186.

[2] – مدخل لفهم اللسانيات– ملحق اللسانيات الأسلوبية من اللسانيات إلى الأدب، ربير مارتان،ص201

[3] - Georges Molinie, La stylistique, quadrige, Paris 2004 p 02

[4] ينظر مدخل لفهم اللسانيات– ملحق اللسانيات الأسلوبية من اللسانيات إلى الأدب ، ربير مارتان ، ص 202.

[5] – تحليل الخطاب السردي وقضايا النص، عبد القادر شرشار،ص36.

الدراسة اللغوية بين الأبحاث النقدية والأسلوبية و اللسانية بالنظر إلى عدم التحديد الابستمولوجي لكل واحد من تلك الفنون. فإذا كان النص هو الملموس الفزيائي المتمثل في الفضاء المكتوب " ومن حيث هو حدث أو عمل منجز في الزمان والمكان،ومن حيث هو مؤسسة اجتماعية حضارية تؤدي دور العلامة الدالة بما تتسم به من سمات النشاط اللغوي الفردي والجماعي"[1].فإنَّ أبعاد الخطاب تبدو أكثر انفتاحا لاستعاب كل الأشكال التواصلية الملموسة وغير الملموسة.

وبرجوعنا إلى الدلالة اللغوية للفظ الخطاب في أصلها اللاتيني ، والمعنى الذي استقر عليه في الاصطلاح العلمي فإننا نلاحظ التفاوت الدلالي الكبير بين الاستعمالين إذ أن " مصطلح خطاب discours المأخوذ عن اللاتينية discursus (ومعناه الركض هنا وهناك)،فليس أصلا مباشرا لما هو مصطلح عليه بالخطاب،إلا أنَّ الجذر اللغوي اللاتيني أصبح يحمل معنى الخطاب ،أو ما اشتق منه من معاني منذ القرن السابع عشر فقد دل المصطلح على معنى طريق صدفي،ثم المحادثة والتواصل،كما دل على تشكيل صيغة معنوية سواء أكانت شفهية أم مكتوبة عن فكرة ما"[2] ،

والخطاب في عرف اللسانيين لايقتصر على الخطاب الأدبي فحسب بل يتجاوزه إلى كل الأشكال الخطابية الأخرى من حيث هو رسالة ذات شفرة معينة من متكلم باتجاه متلق ما،وعلى هذا كانت التصنيفات العديدة لمختلف الخطابات " والتي منها الخطاب الديني،والقضائي،والإشهاري،ومعنى هذا أن كل خطاب يحمل خصوصيات ثابتة تحدد هويته"[3].

وبانتقال مفهوم الخطاب إلى حقل الأسلوبيين اهتم هؤلاء حصرا بالخطاب الأدبي المختلف عن غيره من الخطابات بجملة من المبادئ التوصيلية والتي منها " أنَّ المؤلف والمتلقي لايعرف أحدهما الآخر شخصيا في معظم الأحوال،ومنها أن الاتصال يتم غالبا في اتجاه واحد نحو عديد من المتلقين الذين يتوجه إليهم المؤلف بكتابته ،وإن كانت هذه الخواص تشترك فيها عمليات التوصيل الأدبي مع وسائل الإعلام الجماهيرية الأخرى،فالنص الأدبي يتم تصوره على اعتبار أنه مرسل من قبل مؤلفه ومقبول اجتماعيا بشروطه الخاصة"[4] وقد اشترطوا له معايير محددة أي أنَّ:" الخطاب الأدبي: هو ما توافرت فيه خصائص مميزة،كالكلية والاتساق والترابط بين الأجزاء المشكلة له،دون اعتبار شرط الطول

---

[1] – **المرجع نفسه ص 37.**

[2] – **المرجع نفسه،ص23.**

[3] – **المرجع نفسه ص83/82.**

[4] – **علم الأسلوب والنظرية البنائية،صلاح فضل،ج1،ص189.**

والقصر ، وتأسيسا على ماسبق فإنَّ الخطاب ليس مرهونا بكم محدد،يطول ويقصر بحسب مقتضى الحال،وبحسب المقام،وكما يصدق أن يكون جملة،قد يكون كتابا في عدة مجلدات"[1].

## ج – آلية الإيجاز في بناء الخطاب الأدبي:

شكل البحث عن الآليات اللغوية التي تُفَعل من تماسك الخطابات الأدبية نقطة إشترك جهدُ الأسلوبيين في حصرها وفي البحث عن أدوارها في إحكام النسيج النصي وتماسكه مستعينين في ذلك كما رأينا سابقا بمنجزات قواعد النص فقد" جاء علم قواعد النص ليرصد العلائق المختلفة التي تضم الجمل بعضها إلى بعض , من روابط زمنية , ومكانية , وتركيبية , وما يتصل منها بالمضمون خاصة .

لذلك , نجد علم قواعد النص ينظر في سلسلة ما دون الجملة , والجملة – إن صلحت لكي تكون نصا في الحدود الدنيا التي يتطلبها التواصل الإنساني – ثم ما فوق الجملة " [2] وقد تمكنت تلك الجهود من رصد عدد من الروابـط – اللغوية وغير اللغوية – كالاحـالة باستعمال الضمائر واستعمال حروف العطف ، وأسماء الاشارة والأسماء الموصولة ، وأداة التعريف ،ويحصل الربط بظواهر تركيبية أخرى مثل : التقديم والتأخير،التكرار،الحذف[3].

وينضاف إلى هذه الروابط روابط معنوية يتعزز بها دور البعد التداولي في الخطاب الأدبي على نحو ما نجده في مفهوم الاقتران coherence إذ أن المتلقي هو الذي يصل إليها " عن طريق التخزين و الاسترجاع.وبعضها قد يكون في النص فعلا وبعضها يحيل إليها عن طريق السياق الخارجي.والاقتران هو الذي يجعل من المعاني الجزئية التي يتضمنها ذلك النص حلقات متداخلة تظهر معا وتساعد القارئ،أو المتلقي،بصفة عامة،على استيعاب المحتوى،وإدراك مافيه من وحدة.ومن أدوات الاقتران التي تذكر في هذا المقام : السببية causality، والزمنية الظرفية condition، والخاتمية finality ، والفصل contrast ،وإيجاز شيء كان قد تقدم ذكره concession إلى جانب الإبدالية أي إمكان حلول أحد العناصر مكان آخر."[4]

---

**[1] – تحليل الخطاب السردي،عبد القادر شرشار ص84/83.**

**[2] – في اللسانيات ونحو النص , الدكتور إبراهيم محمود خليل ص 215.**

**[3] – المرجع نفسه ، ص219.**

**[4] – المرجع نفسه ، ص 219.**

وبرجوعنا إلى الحذف الذي يعتبر من أهم أشكال الإيجاز التي حظيت بالدراسة كظاهرة بارزة تساعد في تماسك الخطاب الأدبي، يُلاحَظُ شموله لكلِّ مستويات الجملة " والحذف delection أو Ellipsis عند بعضهم , من قواعد التماسك النحوي التي أشار إليها وتناولها بالتوضيح , والتمثيل كل من فان ديك، ورقية حسن،وآخرون...وهو لا يقتصر عندهما على كلمة أو مفردة أو مركب إسمي ( مبتدأ) وإنما قد يكون حذف جملة كاملة , فيؤدي حذفها إلى ربط أجزاء من الخبر , وجعل الجمل المتعددة كالجملة الواحدة لا تستطيع التفريق بين أجزائها , أو أن تميز إحداها عن الأخر. "[1]

و في كتابه – بلاغة الخطاب وعلم النص – يحدد صلاح فضل ثلاثة أنماط للأشكال النحوية متمثلة في الحذف ، والإضافة وأشكال ترتيب الكلمات بحيث يضع عند تحليله لتلك الأنماط حذف الكلمات في المستوى الأول " وتتمثل في اختزال بعض عناصر الجملة اللازمة في السياق العادي . على أن يفهم العنصر المحذوف نتيجة لضرورة استقامة السياق النحوي و الدلالي . وهو شكل عام في جميع اللغات "[2]

ويعتبر صلاح فضل هذا النوع من الحذف ذو صبغة مجازية " وهو مجاز يعود إلى نزعة الاقتصاد في الكلام مادام المقصود مفهوما من السياق . وقد يكون هذا الحذف في جملة تالية اعتمادا على وجود العنصر المحذوف في جملة سابقة دون أن يكون هناك ضمير عائد ، فيتم اختزال عنصر من الجملة الثانية اعتمادا على وجوده في الأولى . وهذا كثير في اللغة الأدبية شعرية أم نثرية "[3]

كما يصنف صلاح فضل الاشتغال النحوي ضمن الحذف كذلك : " ويمكن أن يعتبر «الاشتغال» النحوي من قبيل الحذف أيضا ، خاصة إذا أعملت الثاني اعتمادا على توضيحه اللاحق للأول فتحذف اللاحق منه . كما يمكن أن تحذف أدوات الربط في مثل هذه الجمل . مما ينتج نوعا من سرعة الإيقاع للوصول إلى ذروة التعبير المتصاعد مثل : « تعال ، اجر ، طر ، اخترق الجبال لي » "[4]

إنَّ الأمرَ الذي دفع الأسلوبيين إلى اعتبار الأهمية الكبيرة للحذف في الخطابات الأدبية نابع من أنَّ هذه الخطابات تتميز عن غيرها بطاقات إيحائية وإمائية كبيرة ، والحذف – الذي هو من أبرز أشكال

---

[1] – ينظر: المرجع نفسه ص 234/233.

[2] – بلاغة الخطاب وعلم النص، د : صلاح فضل ، عالم المعرفة ، الكويت ، ص : 196.

[3] – المرجع نفسه ، ص : 196.

[4] – المرجع نفسه ، ص : 197/196.

الانزياح التركيبي- منجم إيمائي بامتياز بحيث يطلق تلك الطاقات الكبيرة لانفتاح الدلالات واسعا أمام المتلقي باستثارة خياله،وجعله يندمج ويتفاعل مع بنية الخطاب.

إن بناء الخطاب الأدبي في حقيقته يتضافر فيه البعدان التصريحي،والإيحائي أي أن الحذف الذي هو من أشكال الإيماء يندمج مع الذكر في علاقة عضوية يفسرها السياق بشكليه (الأكبر والأصغر) "والحقيقة أن الطاقة الإيمائية في اللغة لا يمكنها أن تستقل بذاتها إذ قد يكون تصريح بلا إيماء ولكن يتعذر الإيماء بلا تصريح ، ولعل ماهية الأسلوب تتحدد بنسيج الروابط بين الطاقتين التعبيريتين في الخطاب الأدبي: طاقة الإخبار وطاقة التضمين."[1]

وعلى هذا فإنَّ الايجاز شكل محورا هاما ضمن الجهود الأسلوبية من خلال وظائفه الجمالية في الخطابات الأدبية ، و دوره البارز كأحد العناصر المميزة في إحكام بنيتها التركيبية .

[1] – **الأسلوبية والأسلوب ، عبد السلام المسدي، ص 96/95.**

# الفصل الأول :

## ظاهرة الايجاز في الدرس اللساني العربي و الدراسات القرآنية

## المبحث الأول : ظاهرة الإيجاز في الدرس اللساني العربي :

إذا كان الإيجاز بالحذف لقي اهتماما واسعا في دراسات النحويين و البلاغيين العرب ، فإنَّ الإيجاز بالقصر استأثر بدراسته البلاغيون دون غيرهم لطبيعة هذا القسم الدلالية ، والجمالية ، على أنَّ دراستهم له ظلت غائمة ، يعوزها كثير من التحديد ، و حين ننظر في كتب هؤلاء البلاغيين فإنَّ ما يثير انتباهنا هو قلة شواهده من القرآن على عكس مانجده في الإيجاز بالحذف الذي أولاه الدُّارسون . نحويون و بلاغيون . بفيض من البحث و التتبع في أحواله ، وضوابطه ، و أوجه تجلياته في القرآن الكريم و في غيره نثرا و نظما . وأول من طرقه النحويون الذين كانوا يسعون في تقنين النحو العربي لتفسير ظواهر اللغة العربية ، و ضبط القوانين المطردة فيها، و كان الحذف من أبرز مظاهر هذه اللغة مما اضطرهم إلى مسألة التقدير لملأ فراغات التراكيب وفق بنية الجملة العربية التي حدُّدوا أركانها وضبطوا أوجه التصرف فيها عند الناطقين بها من عرب الجزيرة في عصر الاحتجاج ، و لاحظوا أن الحذف شكل آلية من آليات الإقتصاد في التواصل بين الناس ، و خير دليل على ذلك أشعار العرب وأمثالهم وحكمهم ، و خطبهم ، و قبل أن نبحث في تناول اللسانيين العرب لمسائل الإيجاز نستعرض مفاهيم الإيجاز ، و الحذف من حيث الدلالة اللغوية ، و الإصطلاحية .

### أ . مفهوم الإيجاز :

**أ . 1. لغة** : ورد في محكم ابن سيدة : "وجز الكلام وجازة ، ووجزا،وأوجز :قلَّ في بلاغة.. و أوجزه : اختصره .. و كلامٌ وجْزٌ : خفيف .. و أمر وجْزٌ ، وواجِزٌ ، ووجِيزٌ ، وموجز ، و مُوجَزٌ . ورجل مِيجازٌ : يوجِزُ في الكلام و الجواب ."[1]

و في لسان العرب يسوق ابن منظور كلام ابن سيدة و يضيف :

"يقال : أوجَزَ فلانٌ إيجازاً في كل أمر ، و أمرٌ وجيزٌ ، وكلامٌ وجِيزٌ أي خفيف مقتصر ، قال رؤبة : لولا عطاءٌ من كريم وجزُ .

أبو عمرو : الوجْزُ السريع العطاء.

---

[1] – مادة:( وجز )، المحكم و المحيط الأعظم في اللغة ، علي بن اسماعيل بن سيدة ، تحقيق عائشة عبد الرحمن ، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية الطبعة 1، سنة 1958.

. و أوجَزْتُ الكلام : قصَرْتُهُ . و رجل وجْزٌ : سريع الحركة فيما أخذ فيه ، و الأنثى بالهاء ".[1]

إذن فكلها معان تدور حول مفهومين متلازمين : الإقتصار ، و السرعة .

**أ ـ 2 اصطلاحاً** : لعل أشمل تعريف وجدناه ، هو هذا الذي عند الرماني (296-386هـ):

" الإيجاز تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى ، و إذا كان المعنى يمكن أن يعبر عنه بألفاظ كثيرة و يمكن أن يعبر عنه بألفاظ قليلة ، فالألفاظ القليلة إيجاز و الإيجاز على وجهين : حذف ، وقصر فالحذف إسقاط كلمة للاجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال ، أو فحوى الكلام . والقصر بنية الكلام على تقليل اللفظ ، و تكثير المعنى من غير حذف "[2].

وجاء في سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي (466هـ): " وقد قسموا دلالة الألفاظ على المعاني ثلاثة أقسام: أحدها المساواة وهو أن يكون المعنى مساويا للفظ، والثاني التذييل، وهو أن يكون اللفظ زائدا على المعنى وفاضلا عنه، والثالث: الإشارة وهو أن يكون المعنى زائدا على اللفظ أي: إنه لفظ موجز يدل على معنى طويل على وجه الإشارة واللمحة "[3].

في حين يضع السكاكي(626هـ) الإيجاز في مقابل الإطناب و يعرفه بأنه "هو أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الناس "[4]، وهو يقع في مقابل الاطناب و " هو أداؤه بأكثر من عباراتهم "[5].

أما الحذف لغة فهو :

" قطف الشيء من الطرف كما يحذف طرف ذنب الشاة . و الحذف : الرميُ عن جانب والضرب عن جانب . و تقول : حذفني فلان بجائزة أي وصلني " [6] .

---

[1] مادة وجز ، لسان العرب ، ابن منظور ، تحقيق مجموعة من الأساتذة، دار المعارف القاهرة ،مج6 ، ص 4771 ،4772.

[2] . النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، أبو الحسن علي بن عيسى الرماني ، ص 76.

[3] – سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، دار الفكر،عمان الأردن،ط1، 2006 ،ص198.

[4] . مفتاح العلوم ،السكاكي ، تح :د عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، الطبعة الأولى 2000، ص 388.

[5] . المصدر نفسه ،ص388.

[6] مادة (حذف) ،كتاب العين ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تح:د مهدي المخزومي ، د ابراهيم السامرائي سلسلة المعاجم والفهارس .

و في محكم بن سيدة :

" – حذف الشيء يحذِفُه حذفا ، قطعه من طرفه ، و الحجام يحذف الشعر ، من ذلك .

. و حذف رأسه حذفا : ضربه فقطع منه قطعة ".[1]ومن حيث الاستعمال يعطينا صاحب الأساس مثالا يبرز إحدى معاني الحذف :

" وحذف الصانع الشيء : سواه تسوية حسنة ، كأنه حذف كلَّ ما يجب حذفه، حتى خلا من كل عيب ، وتهذب ".[2]

أما إصطلاحا فيقول الرُّماني محدِّدا مفهوم الحذف: "فالحذف إسقاط كلمة للاجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام "[3].

**ب ـ الإيجاز عند البلاغيين العرب** : من أوائل الذين كتبوا عن الإيجاز ، وأدركوا خطره في اللغة العربية أبو عثمان الجاحظ (255هـ )و الذي حدَّد في كتابه البيان و التبيين مفهوم البلاغة عند مختلف الأمم و الشعوب . و ساق أحاديث عن العرب يرون فيها أنَّ من وجوه البلاغة عندهم الإيجاز [4]،على أن الجاحظ يرى أنَّ البيان منزلة بين الإسهاب و الإيجاز ، و هذا التصنيف و التقسيم التقسيم الذي اتبعه الجاحظ ، ومن حذا حذوه من البلاغيين العرب يندرج ضمن مفهوم مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، ولنتأمل هذا الشاهد الذي ساقه في معرض حديثه عن متخير الكلام الموجز البليغ : " و مما مدحوا به الايجاز والكلام الذي هو كالوحي ، و الإشارة قول أبي دؤاد بن حريز الإيادي :

يرمُون بالخطب الطوال و تارةً وحي الملاحظ خيفة الرقباء

فمدح كما ترى الإطالة في موضعها ، والحذف في موضعه " [5].

---

[1] . مادة (حذف) ، المحكم والمحيط الأعظم في اللغة ، علي ابن إسماعيل.

[2] – مادة حذف،أساس البلاغة،الزمخشري ، تحقيق : محمد باسل عيون السود،ط1، 1998،دار الكتب العلمية،بيروت ،لبنان .

[3] – النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، أبو الحسن علي بن عيسى الرماني ، ص 76.

[4] . ينظر البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ،دار و مكتبة الهلال،بيروت . لبنان ج 1، ص (98. 99) .

[5] – المصدر نفسه،ج1، ص 144/143.

و في كتابه عرض الجاحظ لجانب من جوانب الإيجاز ، و إن لم يسمه إيجازا بل أفرد له بابا سماه : باب من الكلام المحذوف ، وهذا واحد من شواهده :

" قال وكلم رجل من قيس عمر بن عبد العزيز في حاجة ، وجعل يمت بقرابة فقال عمر :. فإنَّ ذاك .

ثم ذكر حاجته فقال : . لعلَّ ذاك . لم يزده على أن قال : فإن ذاك ، ولعلَّ ذاك ، ، أي أنَّ ذلك كما قلت ، ولعلَّ حاجتك تقضي " [1].

و جاء بعد الجاحظ من حدَّد مفاهيم الإيجاز و أقسامه على نحو أكثر دقة و تمييزا بالرَّغم مما شاب هذه التقسيمات من مبالغة ، وتمحل ، واضطراب بل وحتى تداخل في المصطلحات إلى درجة اللبس وأكثر ما كان هذا في ما بعد مفتاح السكاكي ؛ حيث غلبت النزعة المنطقية و ما تنحو إليه من كثرة التفريع لما لايصلح أن يفرَّع ، ويجزء ، وخير دليل على ما نقول ما عرضه السكاكي في كتابه من فصل بين الاختصار ، والإيجاز و هو فصل لا يفيد شيئا ، ولا يعبر عن كبير تمايز بين الإصطلاحين .

أما الرماني ( 296هـ – 386هـ ) فيرى بأنَّ الإيجاز ـ و هو أحد أقسام البلاغة العشر ـ وجهان : حذف و قصر " فالحذف إسقاط لكلمة للإجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال ، أو فحوى الكلام والقصر بنية الكلام على تقليل اللفظ ، وتكثير المعنى من غير حذف " [2]، ويبدو تأثير الجاحظ واضحا فيما أورده الرماني عند قوله :" و الإيجاز بلاغة و التقصير عيٌّ، كما أنَّ الإطناب بلاغة والتطويل عيٌّ، والإيجاز لا إخلال فيه بالمعنى المدلول عليه ، وليس كذلك التقصير ، لأنه لابدَّ فيه من الإخلال " [3] ، وهذا يذكرنا بكلام الجاحظ في كتابه .

ولا غرابة في ذلك ما دام الإثنان ينتميان إلى المدرسة الإعتزالية نفسها و لكن ثمة فرق دقيق مع ذلك بين الرجلين إذ كان الجاحظ يرى البيان يقع بين منزلتي الإيجاز و الإطناب فيما لا يرى الرماني معيارا مرجعيا ثابتا يتحدد من خلاله موجز الكلام عن غيره من سائر الكلام .

و يواصل الرماني استعراضه لكثير من محدِّدات الإيجاز و علو منزلته عن سائر منازل الكلام " و إذا عرفت الإيجاز و مراتبه ، و تأملت ما جاء في القرآن منه ، عرفت فضيلته على سائر الكلام ، وعلوَّه

---

[1] –المصدر نفسه ، ج 2،ص 191.

[2] – النكت في إعجاز القرآن ، أبو الحسن علي بن عيسى الرماني ، ص 76.

[3] . المصدر نفسه ، ص 78.

على غيره من أنواع البيان ، و الإيجاز تهذيب الكلام بما يحسن به البيان ، والإيجاز تصفية الألفاظ من الكدر ، و تخليصها من الدرن ، والإيجاز البيان عن المعنى بأقلِّ ما يمكن من الألفاظ ، والإيجاز إظهار المعنى الكثير باللفظ اليسير " [1]

و العلامة الفارقة ، وواسطة الجيد حقا في تعاريف الرُّماني كلها للإيجاز ما ذكره و فاق فيه من سبقه " و قد يطول الكلام في البيان عن المعاني المختلفة وهو مع ذلك في نهاية الإيجاز ، وإذا كان الإطناب لا منزلة إلاَّ و يحسن أكثر منها فالإطناب حينئذ إيجاز كصفة ما يستحقه الله تعالى من الشكر على نعمه ، فإطناب فيه إيجاز "[2] .

ولا شك أنَّ هذه الملاحظة الدَّقيقة نابعةٌ من النظر في كتاب الله تعالى و أسرار الإيجاز فيه ، وفيها رؤية تعبر عن إبداع و تحرُّر من أغلال الجمود ، و المراوحة في حدود المصطلحات الجافة .

ومن علماء البلاغة المتأخريــن . نجد صاحب كتاب المثل الســائر ( 558 هـ . 637هـ )

و قد عاش ابن الأثير في عصر بعد فيه العهد عن عصر الإبداع في الدراسات النقدية و البلاغية بعدما كانت في أوجها خلال القرنين الرَّابع و الخامس من الهجرة ، بحيث آلت مباحث البلاغة إلى ركام من الاصطلاحات الذي ما فتئ يزداد تضخما ، واضطرابا منذ مفتاح السكاكي ، وبالرغم من الاجتهادات هنا وهناك فإنها لم تخرج عن النسق العام ، والمنهج المتكرَّس مع تطاول القرون .

و ابن الأثير لا يشذُّ عن هذه القاعدة فنحن نراه يتفنن في التفريع ، بل ويرى سبقه في تمييز أقسام أخرى لم يهتد إليها من سبقه ، أي أنَّ منهج التقسيم المنطقي للظواهر اللغوية كان يبدو الغايةَ والضالةَ المنشودة بالنسبة لابن الأثير لا جوهر تلك الظواهر ، وأسرارها البلاغية ، ولندلل على مانقول

نذكر كلامه عن جوامع الكلم : " وهو عندي ينقسم قسمين ، القسم الأوَّل منهما : هو ما استخرجته ، ونبهت عليه ، ولم يكن لأحد فيه قول سابق ، وهو أنَّ لنا ألفاظا تتضمن من المعنى ما

---

[1] . المصدر نفسه ، ص 80.

[2] . المصدر نفسه ، ص 80.

لا تتضمنه أخواتها ، مما يجوز أن يستعمل في مكانها فمن ذلك ما يأتي على حكم المجاز ، ومنه ما يأتي على حكم الحقيقة ".[1]

" و أما القسم الثاني من جوامع الكلم ، فالمراد به الإيجاز ، الذي يدلُّ به بالألفاظ القليلة على المعاني الكثيرة " [2]، و هذا التقسيم جاء في سياق استشهاده بما جاء في حديث النبي صلى الله عليه و سلم ( أوتيت جوامع الكلم ).

و يدافع ابن الأثير عن رأيه في هذا التقسيم :" فإن قيل : فما الفرق بين هذين القسمين اللذين ذكرتهما ، فإنهما في النظر سواء ؟ قلت في الجواب : إنَّ الإيجاز هو أن يؤتى بألفاظ دالة على معنى من غير أن تزيد على ذلك المعنى ، ولا يشترط في تلك الألفاظ أنها لا نظير لها ، فإنها تكون قد اتصفت بوصف آخر خارج عن وصف الإيجاز ، وحينئذ يكون إيجازا و زيادة ، وأما هذا القسم الآخر ، فإنه ألفاظ أفراد في حسنها لا نظير لها ، فتارة تكون موجزة ، وتارة لا تكون موجزة ، وليس الغرض منها الإيجاز ، وإنما الغرض مكانها من الحسن الذي لا نظير له " [3]، وهو كلام إذا ما قارناه برؤية الرماني يعدُّ تكلفا ، لا حاجة له غير تعمية مفاهيم الإيجاز ، و توليد اصطلاحات متداخلة على غير هدى. و هذا الاستنتاج لم يأت من فراغ ، ولا عن هوى نفس ، فإنك ترى ابن الأثير نفسه يصاب بدوار تلك المصطلحات التي كانت ميزة العصور التي نضبت فيها ينابيع الإبداع في الدِّراسات النقدية ، و البلاغية يقول ابن الأثير وهو بصدد الحديث عن الإطناب :

" هذا النوع من الكلام أنعمت النظر فيه ، وفي التكرير و في التطويل، فملكتني حيرة الشبه بينها طويلا ، وكنت في ذلك كعمر بن الخطاب . رضي الله عنه . في الكلالة ، وكنت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلمَّ عنها كثيرا ؛ حتى ضرب في صدري ، وقال : ( ألا يكفيك آية الصفِّ ؟)"[4].

---

[1] . المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، ضياء الدين ابن الأثير ، قدمه ، وعلق عليه د: أحمد الحوفي ، د: بدوي طبانة ،، دار النهضة . القاهرة مصر ،ج 1،ص78.

[2] . المصدر نفسه ، ص 80.

[3] – المصدر نفسه ص 80.

[4] – المصدر نفسه ، ج 2، ص 341.

أما عن رؤية ابن الأثير للإيجاز فإنه يحدِّده بدلالة اللفظ على المعنى من غير زيادة ، ويقسمه إلى قسمين : إيجاز بالحذف ، ومالا يحذف منه شيء ، وهو على ضربين ماساوى لفظه معناه و هو (التقدير ) و ما زاد معناه على لفظه ، ويسمى ( القصر )[1].

و عجبا لابن الأثير الذي أعياه النظر في مسائل الإطناب ، والتطويل ، و التكرار حتى يعيي غيره بمصطلحات جديدة ، ولا يفوته في ذلك التنبيه إلى سبقه في وضعها " و لم أجد أحدا علم هذين القسمين بعلامة ، ولا قيدهما بقيد " [2].

و نشير هنا إلى ما قاله المؤلف في الإيجاز بالحذف وتحديدا في حذف الجمل التي صنفها إلى ( مفيدة

و غير مفيدة ) ، ويكفينا هنا المفيدة منها " أحدهما : حذف الجمل المفيدة التي تستقل بنفسها كلاما وهذا أحسن المحذوفات جميعها ، و أدلها على الاختصار ولا تكاد تجده إلا في كتاب الله تعالى " [3].

أما السيوطي (849هـ ) فقد حدَّدَّ عدَّة أنواع للإيجاز بالقصر يمكن وضعها أو بعض منها في النقاط التالية :

. أنَّ من أنواع إيجاز القصر : باب الحصر سواء كان بإلاَّ ، أو إنما أو غيرهما من أدواته لأنَّ الجملة فيها نابت مناب جملتين .

. وباب العطف , لأن حرفه وضع للاغناء عن إعادة العامل .

. وباب ورود نائب الفاعل .

. وباب الضمير يستغنى به اختصارا عن الظاهر .

. وباب التنازع إذا لم يكن هنا تقدير على رأي الفراء ,و التنازع هنا نحويا يعني ان يتوجه عاملان إلى معمول واحد كلاهما يطلبه من مثل :جاء وأكرمت (زيد) (زيدا) .

. و باب جمع أدوات الإستفهام و الشرط ,فإن (كم مالك) يغني عن قولك:(أهوعشرون أم ثلاثون).

---

[1] – ينظر المصدر نفسه ، ج2، ص 264/259.

[2] . المصدر نفسه ، ج2،ص 265.

[3] . المصدر نفسه،ج2، ص 269..

. وكذا الألفاظ اللازمة للعموم كأحد .

. ولفظ التثنية و الجمع ، فإنه يغني عن التكرار للمفرد ، وأقيم الحرف فيهما ، مقامه اختصارا .[1]

ويمكن القول أنَّ السيوطي كان عمليا أكثر في تحديد ماهية الإيجاز بالقصر ، بالنظر إلى الضبابية الكبيرة التي تلف هذا المصطلح عند البلاغيين العرب ، بالرغم من عدم ذكره للناحية التطبيقية، من هنا نرى أنه من الضروري الإفادة من هذا الأساس النظري الذي وضعه السيوطي لماهية الإيجاز بالقصر ، والبناء عليه من حيث إجرائه في تحليل الخطابات ضمن منهج متكامل سنستعرض باقي عناصره في الفصل الثالث.

**ج – الإيجاز بالحذف في تراث النحويين** : لا شكَّ في أنَّ النحويين هم أوَّل من تفطن لظاهرة الحذف في اللغة العربية ، وهذا انطلاقا من سعيهم في تقنين اللغة في كلِّ مستوياتها الصوتية والتركيبية ، ولتأكيد انسجام نظريتهم كانوا يحاولون إثبات الاطراد في مختلف أنساق التراكيب بإعادة تركيب الكلام ، وفق الأصل ، وبالتالي التوسع فيما يعرف بمسألة التقدير ، وهو من أهم مبادئ الحذف إذ " يعدُّ البعد التقديري للتركيب اللغوي من المبادئ الهامة التي تتدعم بها قواعد الحذف باعتبار أنَّ البنية اللغوية المحققة ضمن هذه الظاهرة تبقى في جوهرها مرتبطة ببنية تقديرية تحدِّدُ وتكمل جوانب الانتقاص من الجملة ، يتمُّ كلُّ هذا في رحاب ما تستدعيه الوظيفة الإخبارية المقصودة " [2].

ويذهب بعض الباحثين [3]إلى ان سيبويه (180هـ)هو أول من استعمل هذا المصطلح استعمالا علميا بالرغم من أن إراده للحذف كان دون تعريف صريح والحق أن الخليل هو الذي سبق سيبويه في استعماله [4],إلا أنَّ سيبويه يعبر عن معنى الحذف باسقاط احدى العناصر التركيبية في مستويات : الحرف ,واللفظ , أو الجملة , وهي نزعة موجودة في اللغة العربية بحيث يكون فيها هذا الإستغناء عن ما زاد فوق حاجات المتخاطبين كشكل من أشكال الإقتصاد اللغوي.

---

[1] . ينظر الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي ، ج 3، ص 126.

[2] . القواعد التحويلية في الجملة العربية ,د : عبد الحليم بن عيسى ,دار الكتب العلمية ,ط 1 ,2011,ص67.

[3] – ينظر أسلوب الحذف في القرآن الكريم و أثره في المعاني و الإعجاز,د: مصطفى شاهر خلوف, دار الفكر ناشرون وموزعون عمان الأردن,ط1, 2009–ص14.

[4] . ينظر الجمل في النحو ص99.

يقول سيبويه :"اعلم أنهم مما** يحذفون الكلم وإن كان أصله في الكلام غير ذلك , ويحذفون ويعوضون, ويستغنون بالشيء عن الشيء الذي أصله في كلامهم أن يستعمل حتى يصير ساقطا "[1].

وتبعه في استعمال هذا المصطلح نحاة من أمثال بن السراج(316هـ ) ، وابن جني (392هـ) وفق قليل من التوسعات في دلالة مصطلح الحذف[2].

وقد حدد النحاة أوجه الحذف في أركان التراكيب الإسنادية و متى يكون واجبا ، ومتى يكـون جائـزاً وفق القرائن اللفظية ، والسياقية ، لتحصل الفائدة ، ويؤمن اللبس ، وهما ضابطان يحكمان مسألة الحذف ومنهم من يحدد هذه الضوابط بمفهوم القرائن (المقالية و الحالية)وسيأتي بسطهما ان شاء الله.

وقد أدرك النحاة العرب – الدور الذي تؤديه القرائن الحالية والمقالية – في عمليات التواصل الابلاغي وما يكتنفها من ظواهر كالحذف، وهو دليل على نضج تلك الدراسات ، وما بلغته من عمق في البحث في أسرار العربية ، وخصائصها التعبيرية .

**ج–01 القرائن اللفظية (المقالية)** : وهي السياقات اللفظية في التراكيب النحوية التي يرد فيها الحذف، بحيث أن البنية الدلالية للجملة لايختل فيها المعنى بلبس لدلالة لفظية موجودة في التركيب عينه ، وهو يأتي للاختصار، وقد عقد سيبويه بابا أسماه : هذا باب ما يكون فيه المصدر حينا لسعة الكلام ، والاختصار ، وسنرى من خلال الشاهد الذي سيورده ماهية هذا الحذف : " وذلك قولك : متى سِيرَ عليه ؟ فيقول : مَقدَمَ الحاج ، وخفوقَ النجم ، وخلافةَ فلان ، وصلاةَ العصر. فإنما هو: زمنَ مقدمِ الحاج ، وحين خفوقِ النجم ، ولكنه على سعة الكلام ، والاختصار " [3] أي أن السياق اللفظي المتمثل في سؤال المرسل عن زمن السير بصيغة – متى– كانت قرينة عن الاستغناء عن الظرف والاكتفاء بالمصدر ، وما أضيف إليه .

ومثال آخر يعطينا إحدى وجوه الحذف مع وجود قرينة لفظية تقوم مقامه : حذف كان مع اسمها و هو من المحذوفات الجائزة غير الواجبة .

---

[1] الكتاب، سيبويه, تحقيق و شرح : عبد السلام محمد هارون, القاهرة مكتبة الخانجي ط3, 1988,ج1,ص25/24.

**إستعمال (مما) هنا بمعنى ربما , والعرب تقول : أنت مما يفعل كذا ,أي ربما تفعل.

[2] . ينظر أسلوب الحذف في القرآن الكريم, خلوف ,ص16/15.

[3] . الكتاب سيبويه ،ج1 ، ص 222.

"كقوله صلى الله عليه وسلم : ( التمس ولو خاتما من حديد ) [1] أي : ولو كان الذي تلتمسه خاتما من حديد "[2]، و الأمثلة على ذلك كثيرة في أبواب (حذف فعل الشرط و جوابه )[3]، و ما إلى ذلك و الغرض في هذا شرح لمفهوم القرينة اللفظية ، لا الإحاطة بكلِّ أشكال الحذف .

وأما الحذوفات الواجبة فمنها ما جاء في شرح بن عقيل"أن يكون الخبر مخصوص نعم ، وبئس نحو نعم الرجل زيد ، وبئس الرجل عمرو ، فزيد و عمرو خبران لمبتدأ محذوف وجوبا و التقدير (هو زيد) أي الممدوح زيد ، و (هو عمرو) أي المذموم عمرو " [4].

و كلُّ ذلك يستدل عليه بقرائن الألفاظ على ما في كلام هؤلاء النحاة من تكلف في التقدير لانسجام القاعدة وهذا كلام آخر .

**ج2– القرائن الحالية** : ولسنا نجد من يعرِّفها بأحسن مما قاله إمام النحاة سيبويه من خلال ما ساقه من أمثلة توضح ماهيتها من خلال حذف فعل الأمر ، والنهي : "و ذلك قولك ، زيدا ، وعمرا ورأسه ، وذلك أنك رأيت رجلا يضرب ,أويشتم،أو يقتل, فاكتفيت بما هو فيه من عمله أن تلفظ له بعمله فقلت:زيدا, أي أوقع عملك بزيد. أورأيت رجلا يقول:أضرب شر الناس,فقلت: زيدا. أو رأيت رجلا يحدث حديثا فقطعه,فقلت: حديثك. أو قدم رجل من سفر فقلت: حديثك. استغنيت عن الفعل بعلمه أنه مستخبر, فعلى هذا يجوز هذا وما أشبهه".[5] "وأما النهي فإنه التحذير كقولك:الأسدَ الأسدَ, والجدارَ الجدارَ, والصبيَّ الصبيَّ, وإنما نهيته أن يقرب الجدار المخوف المائل ,أو يقرب الأسد, أو يوطئ الصبيَّ. وإن شاء أظهر في هذه الأشياء ما أضمر من الفعل, فقال :اضرب زيدا واشتم عمرا ,ولا توطئ الصبي ,واحذر الجدار, ولا تقرب الأسد"[6].

وواضح من كلام سيبويه دور السياق الحالي غير اللغوي في عملية التخاطب في سبيل الوصول إلى فعالية أقوى في عملية التواصل ,لأننا رأينا في شواهد سيبويه الحاجة والضرورة التي أملت على المجيب

---

[1] . ينظر شرح الحديث ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني ، ج 9 ، ص (135 إلى 138) .

[2] . شرح شذور الذهب ، ابن هشام الأنصاري ، دار الفكر ، بيروت لبنان ، ط1، 2009، ص 248.

[3]. ينظر المصدر نفسه ، ص 280، 456، 457، 458، 459، 460.

[4] . شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، ابن عقيل ، دار الطلائع ، القاهرة ، ط2، 2004،ج1، ص119.

[5] – الكتاب ، سيبويه , ج1,ص254/253.

[6] . المصدر نفسه ، ص 254/253.

الاقتصار على لفظ واحد تاركا لسياق الحال إتمام الفائدة ,والمعنى." وقرائن الأحوال قد تغني عن اللفظ, وذلك أنَّ المراد من اللفظ الدلالة على المعنى فإذا ظهر المعنى بقرينة حالية أو غيرها لم يحتج إلى اللفظ المطابق , فإن أتى باللفظ المطابق جاز وكان كالتأكيد, و إن لم يؤت به فللاستغناء عنه فلذلك يجوز حذف العامل". [1]

ومن الملاحظ استعمال سيبويه لمصطلحي : الحذف والإضمار وهذا راجع إلى أنه كان يميز بين المنجز اللغوي في صيغته الظاهرة بالحذف . والأصل الذهني الذي يختفي بالإضمار , حسب تعبير سيبويه وهو الأمر الذي لا نجده عند أستاذه الخليل الفراهيدي.(175هـ) ففي حين رأينا سيبويه يضع شواهده – المذكورة آنفا – تحت باب عنوانه : هذا باب ما جرى من الأمر والنهي على إضمار الفعل المستعمل اظهاره إذا علمت أن الرجل مستغن عن لفظك بالفعل . بينما يكتفي الفراهيدي – على الأقل في كتابه الجمل في النحو– بسوق الشواهد تحت عنواني :(والنصب من الإغراء , والنصب من التحذير) ولا إشارة عنده لمسألة حذف أو إضمار" قال الشاعر :

أقول وقد تلاحقت المطايا كذاك القول إن عليك عينا

نصبت (القول) بالإغراء . ومعنى الإغراء : الزم واحفظ , والنصب من التحذير قولهم : رأسك والحائط , الأسد الأسد .معناه : احذر الأسد"[2].

فإننا نلاحظ من سياق هذه الشواهد أن حديث الفراهيدي كان موجها للأثر الإعرابي حصرا , فيما نرى سيبويه أكثر شمولا من حيث أنه يفسر الظاهرة السياقية التي تكتنف عملية التخاطب . أما من ناحية مصطلح الإضمار في حد ذاته فالخليل استعمله كما استعمل مصطلحات الحذف وكلمات تدل على الحذف كأسقط وغيرها [3]بنفس الدلالة التي هي عند سيبويه .

**د ـ الفرق بين الحذف و الإضمار عند النحويين** : الحقيقة أنَّ هناك نوعا من الضبابية يلف فهم معنيي : الحذف ، والإضمار في التراث النحوي العربي انطلاقا مما يظهر من تداخل في الاستعمال

[1]. القواعد التحويلية في الجملة العربية ,ع الحليم بن عيسى ص79.

[2] – الجمل في النحو , الخليل بن أحمد الفراهيدي , تح : د: فخر الدين قباوة , مؤسسة الرسالة , بيروت , الطبعة الأولى 1985, ص55

[3] –ينظر المصدر نفسه ( ص 66, 67 , 68 , 69, 111 , 112 )

عند مؤلفي النصوص التأسيسية للنحو العربي ، وعلى هذا اختلفت أراء الباحثين في العصر الحديث فمنهم من يرى بأنّ مفهوم الحذف أعمُّ من الإضمار ، ومنهم من يرى بأنهما كلمتان تتبادلان نفس المفهوم في استعمال النحاة [1]. بل إنَّ هناك من الباحثين من يخلط مع هذين المصطلحين ، مصطلحا آخر هو التقدير و يرى أن لا فرق بين كل هذه الإصطلاحات [2]و بالرجوع إلى الدلالة اللغوية والاصطلاحية لهذه المصطلحات ، وما انتهت إليه من حيث الاستعمال ، فإنه لا مجال للخلط بينها فالحذف إسقاط كلمات ، أو كلمة ضمن سياق لفظي أو حالي يقوم مقامها ، في حين أنَّ الإضمار

" فكأنَّ الإضمار يشعرنا بأننا ننظر إلى المضمر من وراء ستر رقيق فهو كالموجود الظاهر بخلاف المحذوف إذ نلاحظ خلوَّ موضعه منه " [3] .

" و الإضمار ، والضمير ، والمضمر كلها ألفاظ ذات مدلول واحد " [4].أما التقدير فهو آلية إجرائية يلجأ إليها النحاة للحفاظ على الإطراد في القواعد النحوية بخاصة في الحركات الاعرابية ..... و الذي نشير إليه . ونحن بإزاء دراسة أساليب الإيجاز . أنَّ الإضمار يعتبر آلية من آليات الإيجاز في الخطاب ، و يمكن باستثمار بسيط لما جاء به النحاة عن الإضمار استشفاف هذه العلاقة الخفية والدقيقة بين الإضمار و الحذف و مدِّ الجسور بينهما في دراسة أبواب الإيجاز ، و قد استوقفني ما قاله ابن هشام ( 708هـ) في شذور الذهب في باب أحكام الفاعل و نائب الفاعل إذ يرى أنهما لا يحذفان لأنهما عمدتان ، وحتى لو ورد ما ظاهره فيه الحذف حمل على الإضمار " فمن ذلك قول النبي صلى الله عليه و سلم : لا يزني الزَّاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن " ففاعل يشرب ليس ضميرا عائدا إلى ما تقدَّم ذكره . وهو الزاني . لأنَّ ذلك خلاف المقصود ولا الأصل ولا يشرب الشارب ، فحذف الشارب ، لأنَّ الفاعل عمدة فلا يحذف ، وإنما هو ضمير مستتر في الفعل عائد على الشارب الذي استلزمه يشرب فإنَّ يشرب يستلزم الشارب و حسن ذلك تقدُّم نظيره وهو. لا يزني الزاني . [5] .و هو تحليل قويٌّ يعطينا صورة عن منهج النحاة في ردِّ الظواهر

---

[1] – ينظر الحذف بين النحويين و البلاغيين ، حيدر حسين عبيد،دار الكتب العلمية،ط 1، 2013،ص 17.

[2] – ينظر أسلوب الحذف في القرآن الكريم ، د: مصطفي شاهر شلوف ، ص 34.

[3] – الحذف بين النحويين و البلاغيين ، حيدر حسين عبيد ، ص 17.

[4] –الإظهار في مقام الإضمار في القرآن الكريم ، د: ع الرزاق حسين أحمد ، مجلة الوعي الإسلامي الكويت،العدد32، 2012 .

[5] شرح شذور الذهب ، بن هشام الأنصاري ، دار الفكر ، بيروت – لبنان ، ط1، 2009، ص 221/220.

اللغوية إلى القواعد المطردة ، ولكن هذا لا يمنع من اعتبار الإضمار هنا ، وفي غيره مساهما في عملية الاقتصاد اللغوي ، ودليل على نزعة تميل إلى الإيجاز في الحروف،ومختلف الوحدات التركيبية .

**هـ ــ الإيجاز بالحذف ، والإيجاز بالقصر**: يفرِّق ابن هشام (761هـ)بين الإيجاز بالحذف والإيجاز بالقصر ، ويرى بأنّ الحذف لا يكون إلا لدليل. حالي مقالي. أو صناعي يعرفه المشتغلون بصناعة النحو خاصة [1]في حين أنَّ الإقتصار هو الحذف لغير دليل .

"و يمثلونه بنحو:﴿ **كلوا و اشربوا** ﴾أي أوقعوا هذين الفعلين ...و التحقيق أن يقال : إنه تارة يتعلق الغرض بالإعلام بمجرَّد وقوع الفعل من غير تعيين من أوقعه ، أو من أوقع عليه فيجاء بمصدره مسندا إلى فعل كون عام فيقال : حصل حريق ، أو نهب ." [2]

" و تارة يتعلق بالإعلام بمجرَّد إيقاع الفاعل للفعل فيقتصر عليهما ، ولا يذكر المفعول ولا ينوي إذ المنوي كالثابت ، ولا يسمى محذوفا لأنَّ الفعل ينزل لهذا القصد منزلة مالا مفعول له ، ومنه ﴿ **ربي الذي يحي ويميت** ﴾ ، ﴿**هل يستوي الذين يعلمون و الذين لا يعلمون** ﴾ ، ﴿**كلُوا** و **اشربُوا ولا تسرفُوا** ﴾، ﴿**و إذا رأيتَ ثمَّ** ﴾.

إذ المعنى : ربي الذي يفعل الإحيـاء و الامـاتة و هل يستوي من يتصف بالعلم ، ومن ينتفـي عنه العلم ، وأوقعوا الأكل ، والشرب ، و ذروا الإسراف و إذا حصلت منك رؤية هناك ." [3]

هذا ولابد من تقدير المفعول إذا كان اللفظ يستدعيه في نحو قوله سبحانه و تعالى ﴿**ما ودَّعك ربكَ وما قلى** ﴾، ﴿**أهذا الذي بعثَ اللهُ رسولا** ﴾ أي بعثه .

ومن الأمثلة السابقة يظهر أن التركيز في التراكيب التي يستغنى فيها عن المفعول اقتصارا يكون للفعل

---

[1] – الدليل الصناعي،أو ما عرف من جهة الصناعة : وذلك كقولهم في قوله تعالى:{لا أقسم بيوم القيامة } إنَّ التقدير: لأنا أقسم ، وذلك لأنَّ فعل الحال لا يقسم عليه في قول البصريين .

[2]. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ابن هشام ، دار السلام للطباعة و النشر و التوزيع و الترجمة ، مصر ، ط3، 2010 ج2 ص 1259.

[3] . المصدر نفسه ،ص1259.

ذاته ، وإثبات الفعل للفاعل ، وقد أشار بعض الباحثين [1] إلى أن حذف المفاعيل اقتصارا في التراكيب ليس على درجة واحدة ، بحيث يرتبط أساسا بالتراكيب الأساسية و المشتقة في اللغة والضابط في ذلك أمن اللبس الدِّلالي ، و الغاية البلاغية المرجوة ، و الإقتصار كما رأينا يفضي إلى العموم ، وتلك غايته .

" و مثله أن تقول ( قد وقع منك ما يؤذي ) ، أي يؤدِّي إلى الايذاء فأخرجته مخرج العموم ، ولو قلت ( ما يؤذيني ) لكنت قيدت الإيذاء بك ، وهناك فرق بين التعبيرين كما هو ظاهر ، فالأوَّل الإيذاء فيه عام ، والثاني مقيد ، وما يؤذيك ربما لايؤذي غيرك ، فإذا أردت أن ما وقع منه يؤدي إلى الايذاء عموما ، أي مما يتأذى به الخلق لم تذكر المفعول ، وإن أردت أن ما وقع منه يؤذي واحدا أو صنفا بعينه ، ذكرت ذلك الصنف أو الواحد " [2].و بالتالي فإنَّ التقدير للمفعول غير المذكور اقتصارا غير ممكن لأنَّ ذلك ينتج عنه فساد في المعنى ، ولو كان الفعل متعديا في الأصل " فهذا إنما يكون بحسب قصد المتكلم ... فقد يقصد إلى أنه يخبر بمجرَّد الحدث ، أو أن يخبر بالحدث منسوبا إلى فاعله، أو أن يخبر بالحدث وما وقع عليه." [3].....

و مهما يكن من أمر فإنَّ كلا النوعين . الحذف ( الإختصار) ،و القصر ( الإقتصار) . وجهان لشيء واحد هو الإيجاز ، فالحاصل من هذين الآليتين توفير طاقة تلفظية ناتجة عن الاكتفاء بأقل وحدات تركيبية ممكنة مادامت البنية الدلالية تؤدى بالشكل المرغوب ، والمستقيم .

**و ـ تقدير المحذوف** : إنَّ التقدير إجراء يقصد منه النحاة العودة بالتركيب إلى حالته الأصلية ، أي أنه آلية تحويلية تراعي السياق الدِّلالي و البنية التركيبية للجملة ، في إعادة بناء الفراغات الحاصلة في المنجز اللغوي ، ولذلك يرى بعض النحويين المتأخرين كابن هشام أن لهذا التقدير ضوابط من أهمها :.

– أن يقدَّر الشيء في مكانه الأصلي ، لئلاَّ يخالف الأصل من وجهي : الحذف ، ووضع الشيء في غير محله نحو : (إنَّ خلفك زيدا ) وجب تأخير المتعلق ، فعلا كان أو اسما لأن مرفوع إنَّ لا يسبق منصوبها .

---

[1] . ينظر القواعد التحويلية في الجملة العربية ، عبد الحليم بن عيسى ، ص 118، 119، 120، 121.

[2] –معاني النحو،د: فاضل صالح السامرائي،شركة العاتك للطباعة و النشر والتوزيع،القاهرة . مصر،ط 2، 2000،ج2، ص 83.

[3] المرجع نفسه ، ص 83، 84.

. أن يكون المقدار المقدَّر قليلا ما أمكن مرعاة للأصل ، نحو ( و اشربوا في قلوبهم العجل ) ، قدره بعضهم : حبُّ عبادة العجل ، والأولى تقدير الحب فقط .

. ينبغي أن يكون المحذوف من لفظ المذكور ما أمكن إلاَّ إذا منع من تقدير المذكور معنى أو صناعة قدر ما لا مانع له في نحو : ( زيدا امرر به ) إذ يكون فيه التقدير ب( جاوز ) دون ( امرر) لأنَّ الثاني لا يتعدى بنفسه [1].

ولا شكَّ في أنَّ تقدير العناصر المحذوفة في التراكيب اللغوية تفاوتت فيه الرؤى بين النحاة لاسيما بين المدرستين النحويتين ( البصرية ، والكوفية ) وهذا راجع إلى مسائل من أهمها إدراك الدِّلالة الدقيقة للسياق التركيبي أي وجود أكثر من احتمال دلالي واحد في التركيب .

. اختلافهم في بعض القواعد القياسية مما نجم عنه اختلاف في تقدير تلك الحذوف على نحو ما نجده في الأمثلة التالية :

. " ومثال المسألة (فصبر جميل )أي : شأني صبر جميل ، أو صبر جميل أمثل من غيره ، ومثله ( طاعة معروفة ) أي الذي يطلب منكم طاعة معلومة لا يرتاب فيها ، لا إيمان باللسان لا يواطئه القلب . أو طاعتكم طاعة معروفة أي عرف أنها بالقول دون الفعل ، أو طاعة معروفة أمثل بكم من هذه الأيمان الكاذبة و لو عرض ما يوجب التعيين عمل به " .[2]

. "واختلف في المقدَّر مع الجملة في نحو( منا ظعن، ومنا أقام، فأصحابنا يقدِّرون موصوفا : أي فريق و الكوفيون يقدِّرون موصولا ، أي الذي أو من وما قدَّرناه أقيس ، لأنَّ اتصال الموصول بصلته أشد من اتصال الموصوف بصفته لتلازمهما " .[3]

ومن أهمِّ المفاهيم النحوية التي تعدُّ قرائن في عملية التقدير نجد : مفهوم الرتبة أو الموضع ، وعلاقة التضام ، بين : . المسند و المسند إليه ، المضاف و المضاف إليه ، الصفة و الموصوف ، الصلة والموصول ، الجار والمجرور ، العاطف والمعطوف .

---

[1] . ينظر مغنى اللبيب عن كتب المعاريب ، ابن هشام ، ج2، ص 1262، 1266.

[2] – المصدر نفسه ، ج2، ص 1273.

[3] – المصدر نفسه ، ج2، ص 1289.

" ولا شكَّ أنَّ التضام مبرِّر قبول التقدير سواء عند الإستتار ، أو عند الحذف فالإستتار و الحذف إنما يكونان للعناصر التي تتطلبها عناصر أخرى فيكون هذا التطلب أساسا لقبول تقدير المستتر أو المحذوف أو متعلق الظرف ، والجار و المجرور ، وتتضافر معه بالطبع قرائن أخرى كسبق الذكر عند الحذف " [1].

والحاكم في عملية التقدير" ما تستدعيه مقتضيات الإفصاح عن الوظيفة الإخبارية المقصودة " [2].

[1] – اللغة العربية معناها ومبناها ، تمام حسان ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط 1994، ص 224.

[2] – القواعد التحويلية في الجملة العربية ، د: عبد الحليم بن عيسى ، ص 67.

## المبحث الثاني :الإيجاز و نظرية النظم عند الجرجاني:

### أ– تمهيد:

إنَّ أهمَّ نظرية بلاغية عربية كتب لها أن تترك أثارا عميقة في الدراسات النقدية و البلاغية هي تلك التي أرسى قواعدها عبد القاهر الجرجاني ت (471هـ) ضمن كتابه ( دلائل الإعجاز ) و هي نظرية النظم ، وتنطلق أسسها من الوعي بالمعايير النحوية بما تؤديه من معان أولية ثمَّ إلى الكيفيات الأدائية لمختلف التراكيب بما يعتريها من تقديم و تأخير و ذكر وحذف ، وتكرار كأشكال عدولية عن المعايير النحوية بحيث تتفجر منها معان ثانوية ،و أبنية دلالية أعمق ، ولاشك أنه ما كان للجرجاني أن يبلور هذه النظرية من فراغ ، بل هي حصيلة جهود ثلاثة قرون من البحث ، و الدَّرس في علوم العربية من نحو وبلاغة ، ولغة ، ويطول المقال عن ذكر شجرة علماء العربية منذ أبي عمر بن العلاء إلى الأصمعي و الفراهيدي و سيبويه ، والجاحظ و الفرَّاء ، و الخطابي و الرماني وغيرهم .

### ب/ مفهوم التعليق في نظرية النظم :

مامن مبدإ من مبادئ نظرية النظم كمظاهر العدول من تقديم وتأخير ، وحذف وذكر ، وتكرار لا يمكن فهمه ، ووضعه في إطاره الصحيح إلا بتبيان مفهوم التعليق و دوره في ترابط وحدات التركيب وهذا الأمر هو الذي جعل الجرجاني يعالج مسألة الربط بين الجمل [1] إلا أن هذا المفهوم كغيره عزز به الجرجاني موقفه في إثبات المزية للمعاني دون الألفاظ " واعلم أن مثل واضع الكلام مثل من يأخذ قطعا من الذهب ،أو الفضة فيذيب بعضها في بعض حتى تصير قطعة واحدة . وذلك أنك إذا قلت (ضرب زيد عمرا يوم الجمعة ضربا شديدا تأديبا له)، فإنك تحصل من مجموع هذه الكلم كلها على مفهوم ، هو معنى واحد لا عدة معاني كما يتوهمه الناس. وذلك لأنك لم تأت بهذه الكلم لتفيده أنفس معانيها ،وإنما جئت بها لتفيده وجوه التعلق التي بين الفعل الذي هو ضرب ، وبين ما عمل فيه والأحكام التي هي محصول التعلق "[2].

والتعليق هنا إما أن يكون رابطة معنوية،أو رابطة لفظية يتماسك من خلالهما أطراف الكلام ، وإذا انعدم هاذان الرابطان لم يكن هناك معنى لذلك الكلام، وهو معنى قول الجرجاني : " ولهذا لم يكن

---

[1] - ينظر دلائل الإعجاز ، مؤسسة الرسالة ناشرون ، دمشق ،سوريا، ط1 ،2005،، ص 206.

[2] - المصدر نفسه ص 299.

الفعل وحده من دون الاسم ، ولا الاسم وحده من دون اسم آخر ، أو فعل كلاما . وكنت لو قلت ( خرج ). ولم تأت باسم ، ولا قدَّرت فيه ضمير الشيء ، أو قلت ( زيد )و لم تأت بفعل ولا اسم آخر و لم تضمره في نفسك ، كان ذلك وصوتا تصوُّته سواء " [1].لقد كان تصور الجرجاني لنظم الكلام نابعا من قناعة راسخة مفاد مفاهيمها الأساسية: البناء، التماسك،والترابط ، في أبعادهم التركيبية والمقامية من خلال مجموعة من الأدوات والروابط التي تكاد تتطابق مع تلك الموجودة في قواعد النص حديثا فهو" يتطرق لأدوات تجعل من هذه الجمل جملا متداخلة كحلقات السلسلة.ولابد في كل من الأدوات التي يلجأ إليها الناظم ،أو الناثر،أو المتكلم،من أن يسوقها سوقا يراعي فيه وحدة الغرض.وقد تطرق – تبعا لذلك للعطف من حيث هو أداة ربط.وتطرق إلى الإحالة بالضمير، وإلى الموصول، والقطع والاستئناف،أي ترك العطف،والتنكير أي:ترك التعريف،والإضافة والتكرار،بأنواعه،وتغيير الرتبة بتقديم ما حقه التأخير،والحذف الذي له من الأثر ،في ربط الجمل،مثل ما للذكر. واستخدام فاء الجزاء لربط جملتين تتعلق إحداهما بالأخرى."[2]

و نورد هنا ماتناوله الجرجاني بالتفصيل في أثناء دراسته لبعض الروابط اللغوية التي تساهم في تشكل الخطاب بكل أبعاده السياقية كاستعمال الاسم الموصول (الذي) في الربط بين التراكيب، وخاصة إلى قيمته التداولية بين المخاطبين،وهو أمر يذكرنا بآليات التذكر والاسترجاع في إحكام النسيج النصي في الدراسات الحديثة يقول الجرجاني " تفسير هذا: أنك لا تصل (الذي) إلا بجملة من الكلام قد سبق من السامع علم بها وأمر قد عرفه له، نحو أن ترى عنده رجلا ينشده شعرا فتقول له من غد : (ما فعل الرجل الذي كان عندك بالأمس ينشدك الشعر؟)، هذا حكم الجملة بعد (الذي)، إذا أنت وصفت به شيئا. فكان معنى قولهم: أنه اجتلب ليتوصل به إلى وصف المعارف بالجمل،أنه جيء به ليفصل بين أن يراد ذكر الشيء بجملة قد عرفها السامع له، وبين أن لا يكون الأمر كذلك."[3]

ولكي نوضح هذا المفهوم في رؤية الجرجاني المتسمة بالشمول لبنية الخطاب نشير إلى ماذكره في كتاب أسرار البلاغة –والذي خصصه لدراسة علم البيان– عن التمثيل الذي يحدث من جملة الكلام "ألا ترى إلى نحو قوله تعالى: ﴿ **إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم**

[1] - المصدر نفسه ص 299.

[2] - في اللسانيات ونحو النص، د ابراهيم محمود خليل ،ص 223.

[3] - المرجع نفسه، ص 157.

**قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس** ﴾ سورة يونس 24.
كيف كثرت الجمل فيه؟ حتى إنك ترى في هذه الآية عشر جمل إذا فصلت.وهي وإن كان قد دخل بعضها في بعض حتى كأنها جملة واحدة، فإن ذلك لا يمنع من أن تكون صور الجمل معنا حاصلة تشير إليها واحدة واحدة.ثم إن الشبه منتزع من مجموعها، من غير أن يمكن فصل بعضها عن بعض وإفراد شطر من شطر،حتى إنك لو حذفت منها جملة واحدة من أي موضع كان ،أخل ذلك بالمغزى من التشبيه."[1]

ولما كان الجرجاني لايترك فرصة سانحة إلا ويجهز على خصومه من العلماء، وعامة الناس في تكلس فهومهم ، وتحجرها في حدود اللفظ فإننا نجده يهاجمهم من خلال تعرضه لمسألة الإيجاز" فإذا رأوا التنكير يكون فيما لا يحصى من المواضع ثمَّ لا يقتضي فضلا ، ولا يوجب مزية ، اتهمونا في دعوانا ما ادعيناه لتنكير الحياة في قوله تعالى :﴿**ولكم في القصاص حياة** ﴾ البقرة 189، من أن له حسنا و مزية ، وأن فيه بلاغة عجيبة ، و ظنوه وهما منا وتخيلا "[2].

على أن الشغل الشاغل للجرجاني وكما يدل عليه عنوان كتابه(دلائل الإعجاز)هو أن يثبت الإعجاز النظمي للقرآن الكريم،بالإضافة إلى جدلية اللفظ والمعنى "ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام أنَّ فكرة النظم عند عبد القاهر ابتدأت بنظرة فلسفية في اللغة حيث تحدث عن دلالات اللفظ وحكمه في المواضعة ، وتأثيره مفردا و مركبا ثمَّ انتهى إلى الذوق الشخصي الذي هو المرجع الأخير لكل باحث و دارس و هذه الفكرة عنده ترتكز على دعائم ثلاث : اللفظ ، المعنى ، الذوق " [3].

و من خلال مناقشته لجدلية اللفظ و المعنى ، يصر الجرجاني على محدودية هذا التعويل على اللفظ في ذاته خارج حدود النظم ، بل و خطورة ما أفضى إليه من فهوم سقيمة حجبت أنوار البيان الذي يشيعه النظم. وروح النظم وجوهره هو هذا التعلق الذي ليس في الحقيقة إلاَّ أحكام
النحو،وتراكيبه،وهو الأساس الذي ينطلق منه الجرجاني في بناء نظريته ،ويجملها في هذا التعريف" أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب ، حتى يعلق بعضها ببعض ، ويبنى بعضها على بعض ، وتجعل هذه

[1] - أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني،دار المدني، جدة،السعودية، ط1، 1991،ص 109.

[2] - دلائل الاعجاز، الجرجاني ص 396.

[3] - ينظر: النظم القرآني في سورة الرعد، محمد بن سعد الدبل ، عالم الكتب ، مصر ، ط 1981، ص : 44.

بسبب من تلك "[1].

## ج-أساليب الإيجاز في نظرية النظم الجرجانية:

### 1- الايجاز بالحذف:

ومن خلال تعرضه بالدراسة لظاهرة الإيجاز بسط الجرجاني في نظريته مزايا الحذف والإيجاز ، مبرزا بعدهما التأثيري الفاعل و الملهم " و الصمت عن الإفادة ، أزيد للإفادة ، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن"[2]، وهي إشارة إلى الأثار التخيلية التي تجعل القارئ مندمجا في تفاعل حقيقي مع السياقات التي يرد فيها الحذف .

ومن وجوه الحذف في التراكيب الإنسادية حذف المبتدأ، حيث ركز الجرجاني على الأهمية الكبيرة التي يكتسيها هذا النوع من الحذف في الربط بين الجمل خاصة في باب الفصل والوصل – وهي نظرة تدل على منهجه الشمولي من خلال تجاوز الإطار الضيق للجملة إلى القواعد الترابطية للنص[3] – حيث يرى شيوع هذا الحذف في كلام العرب ، و يحرص الجرجاني في شواهده على مراعات السياق و هذا أمر مهم عميت عنه بصائر من رموا البلاغة العربية بالتجزيئية ، والتفتيت و لنتأمل هذين المثالين :

"ومن ذلك قول جميل :

وهل بثينة — يا للناس — قاضيتي  ديني ؟وفاعلة خيرا فأجزيهـــا ؟

ترنو بعيني مهاة أقصدت بهمـــا  قلبـــي عشية ترميني و أرميهـــا

هيفـــــاءُ مقبلة عجزاء مدبرة  ريا العظـام بلا عيب يرى فيها

من الأوانس مكســـــال مبتلة  خود غذاها بلين العيش غاذيها

وقوله أيضا :

---

[1] - دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، ص : 58.

[2] -المصدر نفسه ، ص120.

[3] - ينظر في اللسانيات ونحو النص، ابراهيم محمود خليل،223.

إنـي عشية رحت وهي حزيـــنة تشكـــو إلي صبابة لصبـورُ

و تقول:بت عندي-فديتك ليلة- أشكـو إليك فإن ذاك يسيـــرُ

غراءُ مبســـام كأن حديثهـــا درٌّ تحـدر نظمـــه منثـــــورُ

محطـوطةُ المتنين مضمرة الحشـــــا ريا الروادف خلقهـــا ممكـــورُ "[1]

و العجيب حقا ما سيورده الجرجاني – في معرض تلمسه لجمالية حذف المسند إليه – من كلمات تنمُّ عن وعي تام بأهمية السياق و عملية التلقي في بروز أثر الحذف :

"فتأمل الآن هذه الأبيات كلها ، واستقرها واحدا واحدا ، وانظر إلى موقعها في نفسك ، وإلى ما تجده من اللطف و الظرف إذا أنت مررت بموضع الحذف منها ثمَّ فليت النفس عما تجد ، وألطفت النظر فيما تحس به .ثمَّ تكلف أن ترد ما حذف الشاعر ، و أن تخرجه إلى لفظك ، وتوقعه في سمعك فإنك تعلم أن الذي قلت كما قلت ، وأنَّ ربَّ حذف هو قلادة الجيد ، وقاعدة التجويد"[2] .

ففي الحذف ما يدعو إلى إطلاق كوامن الخيالات الجامحة تحلق بعيدا ، راسمة أبعادا لا نهائية :

" قد بان الآن و اتضح لمن نظر نظر المتثبت الحصيف الراغب في اقتداح زناد العقل ، والازدياد من الفضل ، ومن شأنه التوق إلى أن يعرف الأشياء على حقائقها ، ويتغلغل إلى دقائقها ، ويربأ بنفسه عن مرتبة المقلد الذي يجري مع الظاهر ، ولا يعدو الذي في أول الخاطر ، أنَّ الذي قلت في شأن (الحذف ) وفي تفخيم أمره ، والتنويه بذكره ، وأنَّ مأخذه مأخذ يشبه السحر ، ويبهر الفكر كالذي قلت "[3].

و من وجوه الحذف الاستغناء عن الفعل في الجملة الفعلية : يقول الجرجاني" وكما يضمرون المبتدأ فيرفعون ، فقد يضمرون الفعل وينصبون كبيت الكتاب أيضا :

ديـــــار ميـــــة إذ مي تساعفنـــا ولا يـرى مثلهـــا عجـم ولاعـــرب"[4]

---

[1] - المرجع نفسه ، ص 123/122.

[2] - المرجع نفسه ، ص 124/123.

[3] - المرجع نفسه ص 137

[4] - المرجع نفسه ، ص 121.

إلا أن الجرجاني لايعطينا السر البلاغي في هذا النوع من الحذف،وهو ما لاحظه الدكتور محمد محمد أبو موسى[1]، مكتفيا بالإشارة إلى أن ذلك راجع إلى أنها طريقة مستمرة لهم إذا ذكروا المنازل والديار.

و أكثر ما يلح الجرجاني في درسه لمسائل البحث في الذكر والحذف على هذا الجانب الذوقي الذي يعبر عنه :" و ترى الملاحة كيف تذهب إن أنت رمت التكلم به ؟"[2] ، ومن أكثر أشكال الحذف ذلك الذي يكون في المفعول به ، وقد خصه الجرجاني بكثير من الشواهد ففي القرآن الكريم ورد حذف المفعول به ، ومن ذلك قول الله سبحانه :

﴿ **قل هل يستوي الذين يعلمون و الذين لا يعلمون** ﴾الزمر (9).

﴿ **هو الذي يحي ويميت** ﴾غافر 68.

﴿ **و أنه هو أضحك و أبكى ، وأنه هو أمات و أحيا** ﴾النجم 44/43.

﴿ **و أنه هو أغنى و أقنى** ﴾ النجم 48.

فهو يرى في أن عدم تعدية هذه الأفعال، والاكتفاء بها،أنها تحيل إلى الاطلاق وعلى الجملة " لأنَّ تعديته تنقض الغرض ، وتغير المعنى ، ألا ترى أنك إذا قلت (هو يعطي الدنانير )، كان المعنى على أنك قصدت أن تعلم السامع أن الدنانير تدخل في عطائه ، أو أنه يعطيها خصوصا دون غيرها وكان غرضك على الجملة بيان جنس ما تناوله الإعطاء ، لا الإعطاء في نفسه "[3]، و هذا الحذف عده الجرجاني من القسم الأول الذي لا يرد فيه للفعل مفعول نصَّ عليه ، أما القسمان الآخران فهما جليٌّلا صنعة فيه ، وخفيٌّ تدخله الصنعة ، و هما يتحدَّدان بقرائن اللفظ ،والحال .

" فمثال الجلي قولهم :أصغيت إليه ، وهم يريدون أذني ، و أغظيت عليه و المعنى (جفني)، وأماالخفي الذي تدخله الصنعة فيتفنن ويتنوع. فنوع منه: أن تذكر الفعل وفي نفسك له مفعول مخصوص قد علم مكانه،إما بجري ذكر،أو دليل حال،إلا أنك تنسيه نفسك وتخفيه،وتوهم أنك لم تذكر ذلك الفعل إلا لأن تثبت نفس معناه ،من غير أن تعديه إلى شيء ، أوتعرض فيه لمفعول ومثاله قول

---

[1] – ينظر، خصائص التراكيب – دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني–، د محمد محمد أبو موسى،مكتبة وهبة ، القاهرة،ط8،2009،ص 200/199.

[2] . دلائل الإعجاز، ص 124.

[3] –المصدر نفسه ص 126

البحتري :

شجوُ حساده و غيظُ عداه أن يرى مبصرٌ و يسمعَ واع

المعنى لا محالة : أن يرى مبصر محاسنه ، و يسمع واع أخباره و أوصافه ، ولكنك تعلم على ذلك أنه كأنه يسرق علم ذلك من نفسه ،ويدفع صورته عن وهمه ليحصل له معنى شريف،وغرض خاص "[1].

وهنا إشارة لابد منها . ونحن بإزاء هذا القسم الذي عرضه الجرجاني للحذف الخفي . فإنَّ هذا الحذف أشاع قوة إيحائية إذا ما علمنا أن البحتري كان يمدح الخليفة المعتز ، و يعرض بخليفة آخر هو المستعين "فأراد أن يقول : إنَّ محاسن المعتز و فضائله المحاسن و الفضائل يكفي فيها أن يقع عليها بصر ويعيها سمع حتى يعلم أنه المستحق للخلافة "[2].

و إنه لمن المثير للانتباه تلك الفطنة العجيبة لعبد القاهر الجرجاني في ملاحظته لحذف مفعول المشيئة في صيغ الشرط ، و كذا في حروف المجازاة ، فإنه قد لاحظ أنَّ مفعول المشيئة متى ما كان عظيما أو غريبا كان الأحسن ذكره " يقول الرجل يخبر عن عزة لو شئت أن أردعلى الأمير رددت ،ولو شئت أن ألقى الخليفة كل يوم لقيت ، فإذا لم يكن مما يكبره السامع ،فالحذف كقولك لو شئت خرجت ولو شئت قمت،ولو شئت أنصفت،ولو شئت لقلت،و في التنزيل ﴿**لو نشاء لقلنا مثل هذا**﴾ الأنفال 31"[3].

" وكذلك الحكم في غيره من حروف المجازاة أن تقول : إن شئت قلت ، و إن أردت دفعت ، قال الله تعالى ﴿ **فإن يشأ الله يختم على قلبك** ﴾الشورى 24.

وقال عزَّ اسمه ﴿ **من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم** ﴾الأنعام 39 ، ونظائر ذلك من الآي ، ترى الحذف فيها المستمر " [4].

وفي كلام الجرجاني عن الذكر و الحذف تأكيد على مراعاة أحوال المخاطبين ، وسياق المقام.أي أنه يعي تماما البعد التداولي للخطاب في التوجيه الشكلي و الموضوعي لمختلف التراكيب،على نحو ما نجد

[1] -المصدر نفسه ص 127.

[2] - المصدر نفسه ص 127.

[3] . المصدر نفسه ، ص 133.

[4] -المصدر نفسه ص 133.

فيما أورده من الشواهد في القطع والاستئناف، يقول الجرجاني : " ومن اللطيف في الاستئناف،على معنى جعل الكلام جوابا في التقدير، قول اليزيدي:

ملـــكته حبلـــــي،ولكنـــــه ألقاه من زهد على غاربي

وقال : إنـــي في الهوى كاذب انتقم الله من الكـــــاذب

استأنف قوله: (انتقم الله من الكاذب)، لأنه جعل نفسه كأنه يجيب سائلا قال له:(فما تقول فيما اتهمك به من أنك كاذب؟) فقال:أقول:(انتقم الله من الكاذب).ومن النادر أيضا في ذلك قول الآخر:

قال لي :كيف أنت؟ قلت: عليل سهر دائم وحزن طويـــــل

لما كان في العادة إذا قيل للرجل : (كيف أنت؟) فقال: (عليل)،أن يسأل ثانيا فيقال: (مابك؟وما علتك؟)، قدر كأنه قد قيل له ذلك،فأتى بقوله:(سهر دائم) جوابا عن هذا السؤال المفهوم من فحوى الحال."[1]

وضمن هذا الإطار يندرج أيضا حذف الرابط كحذف حرف العطف وذلك بقصد تحريك السامعين وإثارة شغفهم بمعرفة الإجابة على الفور على نحو ما لاحظه الجرجاني عند هذه الآيات من سورة البقرة مثلا : ﴿ **وإذا قيلَ لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هُمُ السفهاءُ ولكن لا يعلمون** ﴿13﴾ **وإذا لقُوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزءون** ﴿14﴾ **اللهُ يستهزئ بهم ويمدُّهُمْ في طغيانهم يعمهون** ﴿15﴾ البقرة الآيات من (15/13) . يقول الجرجاني : " هذا ، وهاهنا أمر سوى مامضى يوجب الاستئناف وترك العطف ، وهو أن الحكاية عنهم بأنهم قالوا : كيت وكيت ، تحرك السامعين لأن يعلموا مصير أمرهم وما يصنع بهم ، وأتنزل بهم النقمة عاجلا ، أم لاتنزل ويمهلون ؟ وتوقع في أنفسهم التمني لأن يتبين لهم ذلك . وإذا كان كذلك ، كان هذا الكلام الذي هو قوله : ﴿ **الله يستهزئ بهم** ﴾ ، في معنى ما صدر جوابا عن هذا المقدر وقوعه في أنفس السامعين . وإذا كان مصدره كذلك كان حقه أن يؤتى به مبتدأ غير معطوف ، ليكون في صورته إذا قيل : فإن سألتم قيل لكم : ﴿ **الله يستهزئ**

[1] – دلائل الاعجاز ، الجرجاني ، ص 181.

**بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون ﴾."**[1]

إنَّ هذا التحليل الذي اعتمده الجرجاني لتحديد أهمية ظاهرة لحذف في ربط و بناء الخطاب عموما والخطاب القرآني تحديدا ، وربط كل ذلك بالمفهوم التداولي للخطاب يعد محاولة متقدمة إذا ما قورنت مع أحدث ما توصلت إليه البحوث اللغوية في العصر الحديث .

## 2- الإيجاز بالقصر:

أما النوع الآخر من الإيجاز الذي درج البلاغيون المتأخرون على تسميته بالإيجاز بالقصر يتعرض له الجرجاني ضمن تحليله لنفس القضية السابقة (اللفظ و المعنى ) فالجرجاني يرى ألاَّ مزية للفظ في ذاته دون معناه في السياق العام الذي يرد فيه إذ أن مكمن الخطر ، وحجر الزاوية هو انتظام الألفاظ على أوجه مخصوصة تتفجر منها أنواع المعاني ، وهي إما معان أولية بالدلالة الوضعية للألفاظ في أصل اللغة ، ووجه آخر هو معنى المعنى وفق نسق التركيب و شكله مثلما نجده في الاستعارة الكناية و التمثيل .

و قد وجد الجرجاني في الإيجاز بالقصر دليلا آخر ضد أنصار القائلين بالمزية للفظ دون المعنى "فالذي يلزمهم في الإيجاز أعجب ، وذلك أنه يلزمهم . إن كان اللفظ فصيحا لأمر يرجع إليه نفسه دون معناه . أن يكون كذلك موجزا لأمر يرجع إلى نفسه .و ذلك من المحال الذي يضحك منه ؛ لأنه لا معنى للإيجاز إلا أن يدَّل بالقليل من اللفظ على الكثير من المعنى "[2].

و يضيف الجرجاني "لأن المعاني المودعة في الألفاظ لا تتغير على الجملة عما أراده واضع اللغة ، و إذا ثبت ذلك ، ظهر منه أنه لا معنى لقولنا :(كثرة المعنى مع قلة اللفظ ) غير أن المتكلم يتوصل بدلالة المعنى على المعنى إلى فوائد لو أنه أراد الدلالة عليها باللفظ لا حتاج إلى لفظ كثير"[3] .

وعلى الرغم من أن حديث الجرجاني عن مفهوم الإيجاز ظل غائما بإرجاعه إلى خواص معنوية بالأساس إلا أنه يعده من الأقطاب التي تدور البلاغة عليها إلى جانب الكناية والاستعارة والتمثيل والمجاز، بل وفي السنام الأعلى منها " ولم يتعاط أحد من الناس القول في الإعجاز إلا ذكرها وجعلها

---

[1] – المصدر نفسه ، ص 179.

[2] – دلائل الإعجاز ، الجرجاني ص 334.

[3] – المصدر نفسه ص 334.

العمد والأركان فيما يوجب الفضل والمزية، وخصوصا الاستعارة و الإيجاز، فإنك تراهم يجعلونهما عنوان ما يذكرون، وأول ما يوردون."[1]

" ومن الإيجاز قوله تعالى: ﴿**وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء**﴾(الأنفال 58)،وقوله تعالى:﴿**ولاينبئك مثل خبير**﴾(فاطر14)،وقوله: ﴿**فشرد بهم من خلفهم**﴾(الأنفال57)، وتراهم على لسان واحد في أن المجاز و الإيجاز من الأركان في أمر الإعجاز"[2]

والظاهر من تصور الجرجاني للإيجاز من خلال الشواهد القرآنية القليلة التي ساقها أن العامل الحقيقي في إدراك ماهية الإيجاز هو الذوق على اعتبار رؤيته للنظم ذاته أي أن تفهمه ذوق وقريحة وإحساس:"لأن المزايا التي تحتاج أن تعلمهم مكانها،وتصور لهم شأنها،أمور خفية،ومعان روحانية،أنت لاتستطيع أن تنبه السامع لها،وتحدث له علما بها،حتى يكون مهيأ لإدراكها، وتكون فيه طبيعة قابلة لها،ويكون له ذوق وقريحة يجد لهما في نفسه إحساسا بأنَّ من شأن هذه الوجوه والفروق أن تعرض فيها المزية على الجملة."[3]

## د ـ الحذف بين الحقيقة والمجاز:

يظهر جليا أنَّ عبد القاهر الجرجاني لا يعتبر الحذف مجازا في ذاته ، بل المجاز حاصل لتغير الحكم الاعرابي لوحدات التركيب الذي ينشأ عن الحذف بأن تأخذ وحدة الحكم الإعرابي لوحدة أخرى محذوفة ، وهذا تماشيا مع مفهومه للمجاز الذي يعتبر مثلا أن الكلمة توصف بالمجاز لانتقالها عن معناها وحكمها في أصل اللغة إلى حكم ليس هو بحقيقة فيها[4] وقياسا على هذا المفهوم يلحق الجرجاني تغير الحكم الاعرابي للفظ أخذ حكم الوحدة المحذوفة على أنه المجاز على غرار ماهو ملاحظ في حذف المضاف" ومثال ذلك: أن المضاف إليه يكتسي إعراب المضاف في نحو: ﴿**واسأل القرية**﴾،سورة يوسف 82،والأصل: واسأل أهل القرية، فالحكم الذي يجب للقرية في الأصل وعلى الحقيقة هو الجر، والنصب فيها مجاز. وهكذا قولهم: بنو فلان تطؤهم الطريق،يريدون أهل الطريق الرفع في (الطريق) مجاز،لأنه منقول إليه عن المضاف المحذوف الذي هو الأهل، والذي يستحقه في

---

[1] – المصدر نفسه، ص 379،380.

[2] - المصدر نفسه ، ص 380.

[3] - المصدر نفسه، ص 397.

[4] - ينظر: أسرار البلاغة، الجرجاني، ص 416.

أصله هو الجر."[1]

وليدلل الجرجاني على وجاهة ما ذهب إليه من عدم اعتبار الحذف مجازا، بل وحتى القول بأن وجه المجاز فيما سبق من الشواهد هو الحذف حيث يقارنه بحذف المسند من التركيب التالي " ألا ترى أنك تقول ( زيد منطلق وعمرو) ، فتحذف الخبر، ثم لا توصف جملة الكلام من أجل ذلك بأنه مجاز؟ وذلك لأنه لم يؤد إلى تغيير حكم فيما بقى من الكلام."[2] " فالحذف بمجرده لا يستحق الوصف به، لأن ترك الذكر وإسقاط الكلمة من الكلام،لا يكون نقلا لها عن أصلها، إنما يتصور النقل فيما دخل تحت النطق."[3]

[1] - المصدر نفسه ، ص 416.

[2] – المصدر نفسه ، ص 416.

[3] – المصدر نفسه ، ص 417.

## المبحث الثالث: ظاهرة الإيجاز في الدِّراسات الأسلوبية للقرآن :

في هذا المبحث نحاول إبراز مفهوم الأسلوب عامة في التفكير اللساني العربي ـ لغة واصطلاحا ـ و ماهية أسلوب القرآن خاصة و علاقته بمفهوم الاعجاز ، وما هي أوجه التطور في فهم هذا المصطلح عبر الزَّمن ،كما سنحاول عرض ما جاء عن ظاهرة الإيجاز في الدِّراسات القرآنية الحديثة ، من خلال تجارب ثلاثة أسماء بارزة في الدراسات القرآنية الحديثة : عبد الله دراز ، سيد قطب وعائشة عبد الرحمان .

### أ ـ مفهوم الأسلوب :

**أ ـ 1لغة** : جاء في لسان العرب : "و يقال للسطر من النخيل أسْلُوبٌ ، وكلُّ طريق ممتد فهو أسْلُوب .

. و الأسْلُوبُ الطريق ، والوجه ، و المذهب .

. والأسلوب بالضمِّ : الفنُّ ، يقال: أخذ فلان في أساليب من القول أي أفانين منه،والفعل سلبته أسلبه سلبا،وفي الحديث (من قتل قتيلا فله سَلَبُه) .

وهو ما يأخذه أحد القرنين في الحرب من قرنه مما يكون عليه ، ومعه من ثياب و سلاح ، ودابة .

. و رجل سَلِيبٌ : مُسْتَلَبُ العقل ، و الجمع سَلْبَى ." [1].

و في أساس البلاغة للزمخشري نجد أنَّمن معاني الأسلوب أيضا : "و سلكت أسلوب فلان : طريقته ، وكلامه على أساليب حسنة .

. ومن المجاز *: سَلَبَهُ فؤاده ، وعقله واسْتَلَبَه " [2].

ومما يظهر من هذه التعاريف أنَّ الأسلوب يجمع من حيث الاستعمال مفهوم النزع ، والاستحواذ في صيغته المادية ، والمعنوية ، فهناك وحدة معنوية بين دلالات لفظ الأسلوب ،وعلى هذا يمكننا تخيل

---

[1] . لسان العرب ، ابن منظور ، مادة : سلب .

*. المجاز هنا ليس بمعنى المصطلح البلاغي المعروف ، ولكن وجه من أوجه استعمال لفظ : سلب .

[2] . أساس البلاغة ، الزمخشري ،تح:محمد باسل عيون السود،مادة سلب،دار الكتب العلمية بيروت،ط، 1998م

الصورة التالية : إنسان يمارس عليه تأثير ما يفرضه ( الوجه ، و المذهب ) فيسلب عقله ، وينقاد لطريقه .

**أ. 2 . إصطلاحا** :

يرجع عبد القاهر الجرجاني ماهية الأسلوب إلى كونه " الضرب من النظم والطريقة فيه" [1].

ويعرفه ابن خلدون في أثناء حديثه عن صناعة الشعر :

" و لنذكر هنا مدلول لفظة الأسلوب عند أهل هذه الصناعة ، وما يريدون بها في إطلاقهم ، فاعلم أنها عبارة عندهم عن المنوال الذي تنسج فيه التراكيب ، أو القالب الذي يفرغ فيه " [2].

من هنا جاء قوله أن لكلٍّ من النظم ، و النثر أساليب خاصة به ، وفي فصل آخر يتكلم فيه عن انصراف العرب عن الشعر بما شغلهم من أمر النبوة ، والوحي " وما أدهشهم من أسلوب القرآن ونظمه ، فأخرسوا عن ذلك ، وسكتوا عن الخوض في النظم ، والنثر زمانا " [3].

والمصطلح في ذاته استعمله كثير من البلاغيين ، والنقاد المسلمين ، ولكن دون أن يحدِّدوا مفهومه بدقة إلاَّ ما يعرف من محاولة حازم القرطاجي ( 684هـ ) في منهاج البلغاء حيث يربطه بمفهوم النظم " يقول حازم : لما كانت الأغراض الشعرية يوقع في واحد منها الجملة الكبيرة من المعاني و المقاصد ، وكانت لتلك المعاني جهات فيها توجد ، ومسائل منها تقتنى كجهة وصف المحبوب ، وجهة وصف الخيال ، وجهة وصف الطلول ، وجهة وصف يوم النوى ، وما جرى مجرى ذلك في غرض النسيب وكانت تحصل للنفس بالاستمرار على تلك الجهات ، والنقلة من بعضها إلى بعض و بكيفية الاطراد في المعاني صورة و هيأة تسمى الأسلوب وجب أن تكون نسبة الأسلوب إلى المعاني نسبة النظم إلى الألفاظ " [4].

**ب ـ أسلوب القرآن المعجز** :

---

[1] – دلائل الإعجاز،عبد القاهر الجرجاني،ص 337.

[2]. مقدمة ابن خلدون ، عبد الرحمن بن خلدون ، دار ابن الجوزي ، القاهرة ، ط1، 2010، ص 518.

[3] . المصدر نفسه ، ص 530.

[4] . التفكير الأسلوبي رؤية معاصرة في التراث النقدي و البلاغي ، د: سامي محمد عبابنة ، عالم الكتب الحديث ، إربد الأردن ، ط2، 2010، ص 45، 46.

إنَّ الكلام عن إعجاز أسلوب القرآن يعجز عن وصفه إنسان أو يحيط به تمام الإحاطة،وأنىَّ له ذلك وقد أبهر الأوَّلين،والآخرين،وهو على هذا الإبهار إلى يوم الدين،﴿ **تنزيل من حكيم حميد** ﴾ فكم تكلم أساطين الفكر و البيان في كلِّ العصور وما أحصوا قطرة من بحار إعجازه ، وحالهم مع جمال وجلال أسلوبه كمن يرد ولا يصدر إلاَّ عن عطش .

( يقول صلى الله عليه وسلم كما روى الترميذي في سننه :" كتاب الله تبارك وتعالى ، فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، وهو الفصل ، ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله تعالى ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله تعالى ، وهو حبل الله المتين و هو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ، ولا تشبع منه العلماء ، ولا يخلق ( لايبلى ) على كثرة الردِّ ولا تنقضي عجائبه " .

وفي رواية أخرى " وهو الذي لم تنته الجنُّ إذ سمعته أن قالوا : ﴿**إنا سمعنا قرآنا عجبا** ﴾من قال به صدق ، ومن حكم به عدل،ومن عمل به أجر ، ومن تمسك به هدي إلى صراط مستقيم " [1].

ومناط هذا العجز و الإبهار في إدراك إعجاز أسلوب القرآن نسبة الكلام . من حيث هو كلام الله . العليم الحكيم ، وقد جاء في الحديث الذي رواه الترميذي " و فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه " *.

ومن بديع ما قيل عن أسلوب القرآن ما كتبه الرَّافعي : " وذلك أنك حين تنظر في تركيبه لا ترى كيفما أخذت عينك منه إلاَّ وضعا غريبا في تأليف الكلمات ، و في مساق العبارة ، وبحيث تبادرك غرابته من نفسها ، وطابعها ، بما تقطع ، أنَّهذا الوضع ، وهذا التركيب ليس في طبع الإنسان ولا يمكن أن يتهيأ له ابتداء، و اختراعا دون تقديره على وضع يشبهه ،أو احتذاء لبعض أمثلة تقابله " [2].

" ولكن العجب أن تستجيب ألفاظه على هذا الوجه المعجز الذي لا يكون في اللغة إلاَّ عن قدرة هي عين القدرة التي ألهمت أهلها الوضع ، والتعبير وتشقيق الكلام " [3].

---

[1]. الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي ، تح ، توثيق ، كتابة مقدِّماته ، طه ع الرؤوف سعد ، المكتبة التوفيقية القاهرة مصر ، 2008، ص 06.

*رواه الترمذي (2935) ، انظر سنن الترميذي ،الترميذي ، تخريج: صدقي جميل العطار،دار الفكر بيروت،2005،ص :829.

[2]. إعجاز القرآن و البلاغة النبوية ، مصطفى صادق الرَّافعي ، دار الكتاب العربي ، بيروت . لبنان ،ط8 ، 2005،ص178.

[3]. المرجع نفسه ، ص 170.

و قريب من هذا الكلام ما قاله ابن عطية : " وكتاب الله تعالى لو نزعت منه لفظة ثمَّ أدير لسان العرب على لفظ أحسن منها لم يوجد "[1] .

و بصورة أكثر عمقا يحدِّد الخطابي ( 388/319هـ ) رؤيته لإعجاز أسلوب القرآن : " و إنما تعذر على البشر الإتيان بمثله لأمور ؛ منها أنَّ علمهم لا يحيط بجميع أسماء اللغة العربية ، وبألفاظها التي هي ظروف المعاني ، والحوامل لها ، ولا تدرك أفهامهم جميع معاني الأشياء المحمولة على تلك الألفاظ ولا تكمل معرفتهم لاستفاء جميع وجوه النظوم التي بها يكون ائتلافها ، وارتباط بعضها ببعض فيتوصلوا باختيار الأفضل عن الأحسن من وجوهها إلى أن يأتوا بكلام مثله ، وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة : لفظ حامل ، ومعنى به قائم ، ورباط لهما ناظم "[2].

وغنيٌّ عن الذكر ما وقع لبعض مشركي قريش حين سماعهم للقرآن ، بل في من أسلم بعد سماعه له كعمر بن الخطاب في إحدى الروايتين المذكورتين في سيرة ابن هشام[3].

والكلام عن هذه الروايات يحيلنا إلى مسألة ما لهذا الأسلوب القرآني من تأثير في السامعين ، أو بتعبير الخطابي صنيعه بالقلوب وتأثيره في النفوس وهي ظاهرة حقيقية لا يعلم سرَّها إلاَّ الله سبحانه وتعالى

وفي مفهوم الإعجاز من حيث اللغة ، الإعجاز مصدر للفعل أعجز.

يورد ابن منظور في لسان العرب :العَجْزُ نقيض الحزم : عَجَزَ عن الأمر يَعْجِزُ ، وعجز عجزا فيهما .

. و عجز فلان رأي فلان إذا نسبه إلى خلاف الحزم ،كأنه نسبه إلى العجز .

. و العجز : الضعف [4] .

---

[1] الإعجاز البلاغي . دراسة تحليلية لتراث أهل العلم ، د محمد محمد أبو موسى،مكتبة وهبة القاهرة ، ط4، 2012 ، ص 68.

[2] . بيان إعجاز القرآن ، الخطابي ، ضمن ثلال رسائل في إعجاز القرآن ، تح ، محمد خلف الله أحمد ، د/محمد زغلول سلام دار المعارف مصر ، ط3، 1976، ص27/26.

[3] . ينظر : السيرة النبوية لابن هشام ، ضبط د/خالد رشيد القاضي ، دار الصبح ، بيروت ، ط3، 2009،ص 224، 289، 290، 291، 292.

[4] ـ لسان العرب ابن منظور ، مادة (عجز ) ، ج/32، تح : عبد الله علي الكبير ، محمد أحمد حسن الله ، هاشم محمد الشاذلي .

وفي الاصطلاح : الأمر الخارق للعادة ، السالم من المعارضة ، يجريه الله على يد النبي ، تصديقا له في دعوى النبوة [1].

و معجزة القرآن التي أيد الله بها نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، هي المعجزة الخالدة التي شاء الله أن تكون أعظم معجزاته لأنبيائه فكلُّمعجزات الأنبياء مضت ، ولم يعد إعجازها ماثلا أمام الناس ، وقد كان من تلك المعجزات انشقاق البحر لموسى ، وتأييده بالعصى ، ولعيسى إبراء الأكمه بإذن الله وإحياء الموتى ، وغيرها .

## ج ــ الإيجاز في الدِّراسات الحديثة لأسلوب القرآن :

اختلفت اتجاهات الدِّراسات البلاغية و الأسلوبية في مقاربة الإيجاز القرآني بين اتجاه ظلَّ يردِّد ما قاله الأوَّلون في حدِّ الإيجاز ، وأقسامه ومستوياته في التراكيب اللغوية وفق نمط الدِّراسات القديمة مكتفية بحشد ما تناثر من مادة هذا الإيجاز في كتب البلاغة العربية ، وكتب التفسير البياني للقرآن ، واتجاه آخر يحاول التجديد في فهم هذه الظاهرة على ضوء الدِّراسات الأسلوبية ، بدراسة الإيجاز كشكل من أشكال الإنزياح الذي يكشف كثيرا من الأسرار الجمالية في الخطاب القرآني ، وإلى وظائفه الدلالية من خلال إدراك فعاليته الايحائية ، وما يضطلع به من دور في بناء الخطاب القرآني ، فيما يرى اتجاه آخر ضرورة التجديد إنطلاقا من أصالة في التفكير تبدأ من وعي بما قدَّمه البلاغيون القدامى و من ثم محاولة إعادة روح الإبداع في فهم كثير من مباحثهم ، وتحرُّر من التبعية للمناهج الغربية التي لا تتوافق في كثير من تصوراتها مع الرؤية الإسلامية لجمال الخطاب القرآني ، وتراكيبه .

و إذا كان الاتجاه التقليدي لم يقدِّم إضافة جديدة من حيث المنهج في إدراك جماليات الإيجاز ، فإننا سنحاول استعراض محاولات التجديد في مفهوم هذا الأسلوب لبعض دارسي الخطاب القرآني في العصر الحديث .

**ج ـ الإيجاز عند عبد الله دراز** : ( 1894م ) في كتابه النبأ العظيم يقر دراز بحقيقة مؤدَّاها أنَّالقرآن كله إيجاز، و في كلام هو أقرب إلى ما أشرنا إليه في مبحث سابق عندما اطلعنا على رأي الرماني في الإيجاز القرآني ، فهو في الحقيقة ليس جديدا من هذا الوجه ، إلاَّفيما خاض فيه صاحب

[1] ـ إعجاز القرآن البياني،ودلائل مصدره الرباني ،صلاح ع الفتاح الخالدي ،دار عمار ، عمان ،الأردن ، ط1، 2000، ص 18.

النبأ العظيم من تفصيل في مفهوم هذا الإيجاز بالنظر إلى ما استقرَّ في مباحث البلاغة العربية وعلاقته بمفاهيم الإطناب ، والمساواة ، وردِّ حجج الدَّاعين بهذا التقسيم ،لعدم انضباطهما بمقاييس واضحة تحكم على أسلوب ما بأنه موجز ،أو مطنب " فلا ينضبط منهما قدر يرجع إليه في معرفة الإيجاز و الإطناب ،إذ ما من كلام وجيز إلاَّ ويمكن تأدية معناه الإجمالي بأقل من لفظه ،أو بما يساويه و إن لم يغن غناءه ، ولم يوف وفاءه ،حتى المثل الذي عدُّوه علما في الإيجاز وهو قوله تعالى: ﴿**في القصاص حياة** ﴾ الآية 179من سورة البقرة يمكن تأدية أصل معناه بقولك ( انتقم تسلم ) أو(اقتص تحي) أو بالاكتفاء بكلمتين منه ﴿**القصاص حياة** ﴾ " [1].

وعن رأيه في الإطناب بمعناه الموروث يردُّ درَّاز : " وكذلك يقال : ما من كلام مطنب إلاَّ و يمكن تأدية معناه الوضعي مفصلا في لفظ أطول منه " [2].و انتهى الأمر بدراز إلى اعتبار المقدار ، والمقياس الحقيقي الذي يؤدَّى به المعنى بأكمله هو عين الفضيلة " لهذا كله رأينا أن نضع التقسيم وضعا آخر نرد فيه الفضيلة إلى نصابها من الحدِّ الوسط ، ونرجع فيه الذمَّ إلى الطرفين .[3]

و في القرآن استثمار و اقتصاد لأقل الألفاظ تنشأ منه ظلال واسعة ورحبة من المعاني " قلنا أنَّ القرآن الكريم يستثمر دائما برفق أقلَّ ما يمكن من اللفظ في توليد أكثر ما يمكن من المعاني . أجل تلك ظاهرة بارزة فيه كله ، يستوي فيها مواضع إجماله التي يسميها الناس مقام الإيجاز ومواضع تفصيله التي يسمونها مقام الإطناب .

و لذلك نسميه إيجازا كله لأننا نراه في كلا المقامين لا يجاوز سبيل القصد ولا يميل إلى الإسراف ميلا ما .ونرى أنَّ مراميه في كلا المقامين لا يمكن تأديتها كاملة العناصر و الحلى بأقل من ألفاظه ولا بما يساويها .فليس فيه كلمة إلاَّ هي مفتاح لفائدة جليلة ، وليس فيه حرف إلا جاء لمعنى " [4].

لقد ورثنا عن البلاغة العربية حدودها ، ، وتقسيماتها الكثيرة ، المبهمة في جوانب غير يسيرة منها وإنَّ الملاحظ ليستوقفه ، دوران نفس الأمثلة في كثير من تلك التقسيمات ، فلو فتحنا كتابا من كتب البلاغة وجدناه يتحدث عن الإيجاز بالقصر ويضرب مثال الآية ﴿**ولكم في القصاص حياة** ﴾دون

---

[1] . النبأ العظيم ،نظرات جديدة في القرآن، محمد عبد الله دراز ، نشر وتوزيع دار الثقافة الدوحة . قطر، 1985، ص 128.

[2] . المرجع نفسه ، ص 128.

[3] . المرجع نفسه ، ص 129.

[4] . المرجع نفسه ، ص 127، 128، 129، 130.

أن يجاوزه إلى غيره ، وهذا برأينا راجع إلى اضطراب في تحديد مفهوم الإيجاز ، ومفاهيم تقابله كالمساواة ، والإطناب ودقة ملاحظته في الخطاب القرآني خاصة ، فهذا الذي ربما دفع باحثا كعبد الله درَّاز إلى تجاوز هذه المفاهيم التي لا تقف على أساس متين ، وإثبات أنَّ سمة الإيجاز فضيلة من فضائل أسلوب القرآن المعجز ، وبالتالي فإنَّ الخطاب القرآني موجز في ألفاظه ، تام في معانيه على وجه الكمال غير مجاوز سبيل القصد .

**ج ـ سيد قطب و الإيجاز في القرآن الكريم :** تشكل دراسات سيد قطب في أسلوب القرآن من خلال كتب ( في ظلال القرآن ، التصوير الفني ومشاهد القيامة في القرآن ) طفرة نوعية تتميز بالإبداع ، والتجديد في تلمس جماليات الخطاب القرآني ، والغوص في كنوز أساليبه الباهرة بعيدا عن تلك النظرة الضيقة التي آلت إليها الدِّراسات البلاغية في عصور التقليد ، والنسج على منوال الأوائل ما فوت على الناس إدراك جوانب الجمال الأخاذ في أسلوب القرآن ." بقي الباحثون في البلاغة وفي إعجاز القرآن ، وكان المنتظر أن يصل هؤلاء . وقد خليَّ بينهم و بين البحث في صميم العمل الفني في القرآن . أن يصلوا إلى ما لم يصل إليه المفسرون ولكنهم شغلوا أنفسهم بمباحث عقيمة حول ( اللفظ و المعنى ) أيهما تكمن فيه البلاغة ، ومنهم من غلبت عليه روح القواعد البلاغية ، فأفسد الجمال الكلي المنسق ، أو انصرف عنه إلى التقسيم و التبويب ، ووصلوا في هذا و ذلك في بعض الأحيان إلى درجة من الإسفاف لا تطاق " [1] .والحقيقة أن سيد قطب عاش أجواء عصره , وتأثر بما وصلت إليه التقنيات الفنية الغربية المبتكرة في التأثير الجمالي في ( السينما , والمسرح , والتمثيل الاذاعي , وغيره مما وصلت إليه البحوث النقدية في الآداب و الفنون ) . وهو أمر ظاهر من خلال كتاباته ويكفي هنا الاشارة إلى ملمح المشاهد في التصوير الفني في القرآن الذي يرى سيد قطب بأنه السمة الأولى في القرآن " لقد كانت السمة الأولى للتعبير القرآني هي اتباع طريقة تصوير المعاني الذهنية , والحالات النفسية , وإبرازها في صور حسية ، والسير على طريقة تصوير المشاهد الطبيعية والحوادث الماضية ، والقصص المروية ، و الأمثال القصصية ، ومشاهد القيامة ، وصور النعيم والعذاب و النماذج الإنسانية ...الخ ، كأنها كلها حاضرة شاخصة . بالتخيل الحسي الذي يفعمها بالحركة المتخيلة " [2].

---

[1] التصوير الفني في القرآن , سيد قطب , الطبعة الثامنة 1983, دار الشروق , القاهرة ص 29.

[2] التصوير الفني في القرآن ، سيد قطب ، ص 241.

فواضح مما سبق أنَّ سيد قطب انعتق بمجهوده الدؤوب من أسر التعقيدات البلاغية ، واللغوية التي أفرغت تلك الدِّراسات لأسلوب القرآن و غيره من جوانب الجمال ، والبيان الفني ، وركز على الخصائص العامة للتصوير وما يهمنا في هذا المضمار تحديدا هو الإجابة عن السؤال التالي :

ما موقع الإيجاز في دراسات سيد قطب لأسلوب التصوير الفني في القرآن الكريم ؟.

حينما يتكلم سيد قطب عن الإيجاز في القرآن الكريم لا يعطي كبير اعتبار لمفاهيم الإيجاز كما قرأنا عنها في كتب البلاغة من إيجاز بالقصر ، وإيجاز بالحذف ، فلم يكن شغله تقدير مفعول ، أو صفة أو حذف حرف هنا ، أو هناك . للاعتبار الذي ذكر آنفا . بقدر ما ركز على كيفية ورود المشاهد وطريقة عرضها ، والصور التي تكتنفها ، وحركة الشخوص و أحاسيسهم ، والآثار الفنية التي ترسمها وما تتركه في كيان المتلقي .

و لنأخذ مثالا تتجسد فيه فكرة الإيجاز ضمن رؤية سيد قطب وهو إيجاز معنوي يتطابق فيه المشهد مع الغاية التي يقرِّرها الخطاب القرآني :

" وللقصر وسائل مختلفة ، وللطول وسائل شتى ، يؤدي كلٌّ منها الغرض ويناسب جوَّ المشهد . وهذه خطوة أخرى في ذلك الأفق الجديد " [1]، فالقصر و الطول هنا يتحدَّدان بالصور ، والمشاهـــد لا بالألفاظ ، والتراكيب ، ولا بما سقط من ذكر هذا الحرف أو ذاك ، ولا هذه اللفظة ، أو تلك .

ولنقف معا عند هذا المشهد القرآني وما يقول عنه سيد قطب ﴿**و اضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء،فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح** ﴾ الكهف (45).

" وانتهى شريط الحياة كله في هذه الجمل القصار ، وفي هذه المشاهد الثلاثة المتتابعة ﴿**ماء أنزلناه من السماء** ﴾فـ﴿ **اختلط به نبات الأرض** ﴾ فـ ﴿ **أصبح هشيما تذروه الرياح** ﴾.

ألا ما أقصرها حياة ! ومع هذا فقد عرض أطوار النبات كلها لم ينقص منها شيئا .إلاَّ الأطوار الثانوية . عرض الماء الذي يسبقه ، ويختلط بالأرض فتنبته ، وعرض نضجه ، وعرض تذريته ، فماذا بقي من حياة النبات إلاَّ الأطوار الثلاثة ؟ " [1].

[1] المرجع نفسه ، ص 128.

ويخلص سيد قطب إلى العناصر الأسلوبية في هذا المشهد وهي ثلاثة :

" لقد اجتمعت لهذا التعبير كل عناصر الصدق والدقة و الجمال :

الصدق في عرض أطوار النبات ، فلم ينقص شيئا منها لتحقيق الغرض الديني ، و الدقة لأنه حقق غرض الصورة كاملا . والجمال لأنَّ سرعتها الخاطفة مما ينشط له الخيال " [2].

وقد ساعد في ذلك حرف الفاء الدَّال على السرعة في الحركة .

وبالانتقال إلى ناحية أخرى من الخطاب القرآني يلاحظ سيد قطب في الخصائص الفنية لعرض القصص القرآني آلية قصِّ المناظر ." تلك الفجوات بين المشهد و المشهد ، التي يتركها تقسيم وقص المناظر مما يؤديه في المسرح الحديث إنزال الستار ، وفي السينما الحديثة انتقال الحلقة ، بحيث تترك بين كلِّ مشهدين أو حلقتين فجوة يملؤها الخيال ويستمتع بإقامة القنطرة بين المشهد السابق والمشهد اللاحق " [3].

إنَّ أهمَّ اضافة يمكن الخروج بها من تجربة سيد قطب في الكشف عن التصوير الفني في أسلوب القرآن

هو الانتقال إلى مجال أكثر رحابة من حدود الأطر ، والمقاييس اللغوية ، وهذا المجال هو الخيال بما يتيحه الخطاب القرآني من أدوات فعالة تبدأ من اللألفاظ و التراكيب ولا تنتهي عندهما .

**جـ ـ3 الإيجاز عند عائشة عبد الرحمن** : تعتبر عائشة عبد الرحمن واحدة ممن ساهموا في إثراء الدِّراسات القرآنية الحديثة لا سيما من خلال كتبها في ( التفسير البياني للقرآن الكريم ) و (الإعجاز البياني للقرآن). وهي محاولة لقراءة متجددة و معاصرة للخطاب القرآني .

و عائشة عبد الرحمان واحدة من تلاميذ ـ أمين الخولي ـ الذي دعى إلى التجديد في البلاغة العربية من خلال تجاوز التقسيم الثلاثي للبلاغة ( معاني ، بيان ، بديع ) إلى مصطلح واحد يتمثل في البلاغة التي تنقسم بدورها إلى بلاغة ألفاظ ، وبلاغة معاني وهذا المنهج يدعو إلى قتل القديم فهما ، ومن ثمَّ

[1] ـ المرجع نفسه ، ص 129.

[2] ـ المرجع نفسه ، ص 129.

[3] ـ المرجع نفسه ، ص 187، 188.

الانطلاق في التجديد وقد قسم الخولي اتجاهات البلاغة العربية إلى مدرسة علمية ، ومدرسة اخرى فنية ، ودعا إلى الانتصار إلى هذه الأخيرة ، وهجر الأولى التي أظهرت عقمها ، وعدم جدواها [1].

وعائشة عبد الرحمن ملتزمة بهذا المنهج الذي خطه أستاذها في كتاب ( مناهج تجديد ) ، وقد حدَّدت أبرز نقاطه في كتابها ( التفسير البياني للقرآن الكريم ) وهذه أبرزها :

. التناول الموضعي ويبدأ بجمع كل ما في الكتاب المحكم من سور ، وآيات في الموضوع المدروس .

. فهم ما حول النص : وهي غالبا الظروف ، والملابسات في أسباب النزول من خلال ما ورد من مرويات ، دون أن يكون ذلك محدِّدا في عملية الفهم ، إذ العبرة بعموم اللفظ ، لا بخصوص السبب وهذه الملابسات إنما هي قرائن لابست نزول الآيات.

. فهم دلالات الألفاظ من حيث الوضع ، والاستعمال ، ودلالاتها في القرآن من حيث تتبع سياقات ورودها في الآية ، والسورة ، والسياق العام هو ( القرآن كله ) .

. فهم أسرار التعبير بالاحتكام إلى سياق النص ، وأن يعرض عليه أقوال المفسرين وتحاشي ما أقيم عليه من شوائب : مذهبية ، ودسوس الاسرائليات .

. نبذ مناهج العلماء الذين عرضوا القرآن على قواعدهم ، وأطرهم الصناعية لتنسجم معها وهذا على حساب صريح النص القرآني وسياقه ، وبالتالي يكمن هذا المنهج في قلب العلاقة الثنائية بحيث تعرض القواعد النحوية و البيانية على القرآن لا العكس [2] .....

وفي تفسيرها البياني للقرآن الكريم نلاحظ ملامح التجديد من خلال اتباع هذا المنهج السابق ولكنه ليس جذريا بالمعنى المتصوَّر ، وببحثنا في تفسيرها لسورة الزلزلة نجد إقرارها لنفس تلك التقسيمات الموروثة كحدود الإيجاز ، و الإطناب وفق ما آلت إليه في الدِّراسات البلاغية .

" و فيها مع ذلك ، ظاهرة التكرار ، و التكرار مألوف في مواقف الإطناب ، والإطالة لكنه حين يأتي في مواقف الإيجاز الحاسمة ، يكون لافتا ، ومثيرا ، ففي سورة الزلزلة على إيجازها ، وقصر آياتها ،

---

[1] . ينظر : في البلاغة الغربية و الأسلوبيات اللسانية ، سعد عبد العزيز مصلوح ، عالم الكتب القاهرة ، الطبعة الثانية ، 2010، ص 38، 39، 40.

[2] . ينظر التفسير البياني للقرآن الكريم ، عائشة عبد الرحمن ، دار المعارف ، مصر ، ط7، ج 1، ، ص 10، 11.

نجد التكرار في ثمانية مواضع ، وهذه ظاهرة أسلوبية في القرآن الكريم ، يعمد فيها إلى التكرار مع الإيجاز والقصر ، ترسيخا وتقديرا ، وإقناعا [1]

ثم تنتقل عائشة عبد الرحمن إلى ملمح آخر في أسلوب القرآن يأتي على وجه الإطراد في مشاهد اليوم الآخر ، يتعلق بحذف الفاعل ، وإسناد الفعل للمجهول[2].

﴿**إذا زلزلت الأرض زلزالها** ﴾ سورة الزلزلة ، الآية (01).

﴿**فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة،وحملت الأرض و الجبال فدكتا دكة واحدة** ﴾سورة الحاقة الآيات (14/13) .

﴿**إذا رجت الأرض رجا ، وبست الجبال بسا** ﴾ سورة الواقعة ، الآيات (05/04) .

﴿**يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا ، وفتحت السماء فكانت أبوابا ، وسيرت الجبال فكانت سرابا** ﴾. سورة النبأ ، الآيات (من 18إلى 20) .

﴿**فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدِّهان** ﴾ سورة الرحمان، الآية (37) .

﴿**إذا السماء انفطرت ، وإذا الكواكب انتثرت** ﴾ سورة الانفطار الآية (2/1).

لتلاحظ عائشة عبد الرحمن : " و قد شغل أكثر المفسرين ، والبلاغيين بتأويل الفاعل ، عن الالتفات إلى إطراد هذه الظاهرة الأسلوبية في أحداث القيامة".[3]"

و قد هدى تدبر هذه الظاهرة الأسلوبية ، إلى أنَّ البناء للمجهول تركيز للاهتمام بالحدث ، بصرف النظر عن محدثه .و في الإسناد المجازي أو المطاوعة تقرير بوقوع الأحداث في طواعية تلقائية ، إذ الكون كله مهيأ للقيامة على وجه التسخير ، والأحداث تقع تلقائيا لا تحتاج إلى أمر أو فاعل "[4].

وقد ورد ذكرها لنفس الظاهرة في كتابها ( الإعجاز البياني للقرآن )تحت عنوان الإستغناء عن الفاعل[5].

---

[1] . المرجع نفسه، ص 79.

[2] . المرجع نفسه ، ص 80،81.

[3] . التفسير البياني للقرآن الكريم ، عائشة عبد الرحمن ، ص 81.

[4] . التفسير البياني للقرآن الكريم، عائشة عبد الرحمن ، ص81.

[5] ينظرالإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق،عائشة عبد الرحمن،دار المعارف،مصر1971،ص222، 223، 224، 225.

و تستعرض موقف البلاغيين ، والنحويين في حذف الفاعل في أساليب المطاوعة ، والإسناد المجازي والبناء للمجهول ، و نقض تفسيراتهم بالرجوع إلى السياقات القرآنية نفسها . فهم يرون مثلا أنَّ حذفه يكون للعلم به ، أو الجهل به أو الخوف منه أو الخوف عليه .

" و البلاغيون يقولون في حذف الفاعل : إنه يحذف للعلم أو الجهل به أو الخوف منه ، أو عليه . وتعرض هذه الوجوه على البيان القرآني ، فيرفض أن يكون حذف الفاعل ، سبحانه ، لأحداث القيامة للخوف عليه أو الجهل به ثم يشهد الإستقراء أنَّ القرآن لم يحذف الفاعل في مواضع العلم به يقينا، مثل : ﴿ **يغفر لمن يشاء ، و يعذب من يشاء** ﴾،﴿ **يرزق من يشاء بغير حساب** ﴾ ﴿**يحي ويميت** ﴾"[1].

وهذه الرؤية كما نرى ناتجة عن المنهج الذي أخذت به عائشة عبد الرحمن والذي يردُّ كما قلنا القواعد البلاغية، و النحوية إلى النص القرآني نفسه .

" واطراد هذه الظاهرة في موقف البعث و القيامة ، ينبه إلى أسرار بيانية وراء ضوابط الصنعة البلاغية و إجراءات الإغراب الشكلية "[2].

إنَّ عقم المباحث النحوية ، والصرفية التي وقفت عند حدود أحكام بناء الفعل للمجهول من دون البحث عن الماهية ، والمعنى الخفي ، جعلها تنأى عن إدراك الأسرار الجمالية لتلك الظاهرة ، إذ لم تكن تلك الغاية الفنية من همومها ، لأنها تحوَّلت إلى صنعة وتلك من المعايب المنهجية حسب عائشة عبد الرحمن .

[1] . الإعجاز البياني للقرآن الكريم ، عائشة عبد الرحمن، ص 224.

[2] . المرجع نفسه ، ص 224.

# الفصل الثاني :

## آلية الايجاز في بناء

## الخطاب القرآني

**تمهيد:**

في هذا الفصل المعنون : آلية الإيجاز في بناء الخطاب القرآني ، سنحاول مقاربة بعض الجوانب التي يتحدَّد من خلالها الدور الذي يشكله الإيجاز في بناء الخطاب القرآني ، و هذا انطلاقا من البحث في السياقات القرآنية ، وما تشكله من أهمية بالغة في تبلور عملية الفهم ، وهي إما سياقات تتعلق بالخطاب القرآني ذاته ، أو بتلك الملابسات اللانصية ، ونعني بها : أسباب النزول ، والمرويات المؤثورة عن الصحابة الذين يشكلون الجيل الذي عاصر نزول الوحي ، وتلقاه من الرسول صلى الله عليه وسلم .

وسوف نبدأ هذا الفصل ـ إن شاء الله ـ بمبحث يدرس مفهوم السياق عامة ، ودوره في مقاربة فهم الإيجاز في الخطاب القرآني : من خلال اسهامات المفسرين و الدَّارسين لعلوم القرآن قديما و حديثا .

ومبحثا ثانيا يرصد الجانب العدولي لأساليب الإيجاز في الخطاب القرآني: من حيث المفهوم ، ومن حيث التوظيف في الدِّراسات القرآنية ، و أيضا إلى مظاهره : تركيبيا ، ودلاليا .

وموقع الإيجاز كشكل عدولي في الدِّراسات السالفة الذكر .

أما المبحث الثالث فيتناول بالدراسة : مفهوم التلقي للخطاب القرآني ، ووظيفته في فهم الايجاز القرآني من حيث : ـ التخييل ـ الإيحاء ـ التكثيف الدِّلالي .

و آخر بحث سيكون ـ إن شاء الله ـ خاصا بالمناسبة في أساليب الإيجاز أي من حيث التناسب العام في الخطاب القرآني ، والتناسب الخاص. و سيكون هدفنا من خلال هذا الفصل الإجابة عن الأسئلة التالية :

ـ ما مدى وعي الدَّارسين للخطاب القرآني ( قديما و حديثا ) بالمحاور التي ذكرناها في عناوين المباحث السابقة وهي : السياق بكلِّ أبعاده ، و تشكلات عملية التلقي لأساليب الإيجاز في أبعاده الإيحائية والتخيلية ، وإلى وظائف أساليب الإيجاز في تحقيق التناسب العام ، والخاص للخطاب القرآني وسيكون اعتمادنا – في تحليل هذه المباحث – على المنهج : الوصفي التحليلي .

## المبحث الأول : السياق و مقاربة فهم الإيجاز القرآني

**أ ـ مفهوم السياق** :

**1. لغة** : ورد في لسان العرب : . ويقال له السِيَاقُ أيضا ، وأصله سِواقٌ ، فقلبت الواو ياء لكسرة السين وهما مصدران من سَاقَ يسُوقُ .

. وقد انسَاقَتْ و تَسَاوَقَتْ الإبلُ تَسَاوُقًا إذا تتابعت ، وكذلك تقاودت فهي متقاودة ، ومتساوقة .[1] وفي حديث أم معبد : فجآء زوجها يسوق أعنزا ما تساوق أي ما تتابع .

وفي أساس البلاغة للزمخشري نجد من حيث الاستعمال مايلي:

. ساقَ الله إليه خيرا.

. وساقَت الريحُ السحابَ . وأردتَ هذه الدار بثمن ، فساقَها الله إليك بلا ثمن.

. وهو يسُوْقُ الحديث أحسن سياق[2].

**2– اصطلاحا** : إنَّ الملاحظات التي تستوقفنا في بحثنا عن الاستعمال الإصطلاحي للفظ( السياق) في الدِّراسات اللغوية و البلاغية ، والنقدية ، وكتب التفسير هو اشتمالها على المفهوم الأصلي للوضع في الأصل اللغوي أي بمعنى التتابع ومن ثمَّ تطورها و بروزها كحدٍّ للحيز ، والفضاء الكلامي الذي تتوارد فيه الوحدات الكلامية وهذا الحيز إما أن يكون لفظيا ، أو معنويا بالنظر إلى المباحث التي درست في كتب اللسانيين العرب ، وتناولت مفاهيم القرائن الحالية ، والمقالية .وبتعبير آخر:"أي أنَّ كلمة السياق قد تطور مدلولها من الدلالة على مجرد السوق إلى الدلالة على كيفية هذا السوق وظروفه ، وما يصاحبه ، وما يجري عليه أسلوبه"[3].

**ب ـ السياق في دراسة الخطاب القرآني** : يشكل السياق وظيفة حيوية في تبلور دلالة الخطاب القرآني ، وقد تنبه المفسرون ، و المهتمون بعلوم القرآن لخطر هذه الآلية ، بل إنه لا يكاد يخلو كتاب من إعمال النظر في السياقات القرآنية لتفادي تحميل النص ما ليس منه ، أو تأويل يتعارض مع النص القرآني شكلا ، و مقصدا ، وروحا .

---

[1] – ينظر لسان العرب ، ابن منظور ، مادة سوق ، مج : 03 ، ج 24 ص: 20124

[2] – ينظر أساس البلاغة للزمخشري ، مادة : سوق ، ج : 01 ، ص : 484.

[3] . السياق و الدلالة ، د: مسعود بدوخة ، بيت الحكمة ، الجزائر ، ط 1، 2012، ص 77.

وقد ركزت جهود المفسرين على اختلاف مناهجم – مدرسة التفسير بالأثر ، و التفسير بالرأي ـ على أبعاد السياق في الإنتاج الدِّلالي للنص القرآني .وكذا الرؤية التي جاء بها علماء أصول الفقه بتحصيل الأحكام و المعاني من طرق الالفاظ وفق المحددات السياقية المتنوعة .

**ب ـ1 السياق في التفسير و علوم القرآن** : يمكن التمييز بين مدرستين في تفسير القرآن ، بحيث تستند الأولى ـ التفسير بالأثر ـ إلى تفسير القرآن بالقرآن و تفسير القرآن بالسنة ، وتفسير القرآن من خلال أقوال الصحابة ، والتابعين .

أما المدرسة الثانية : وهي التفسير بالرأي فقد توسعت في فهم دلالات الخطاب القرآني بإعطاء العقل مجالا أوسع للوصول إلى أكبر قدر من أوجه الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم ، وبالتالي فإنَّ الاشتغال على الامكانات اللغوية شكل فارقا أساسيا ميز هذه المدرسة عن سابقتها .

على أنَّ تفسير القرآن عند كلتا المدرستين يتضمن كل العناصر السياقية ـ لغوية وغير لغوية ـ من خلال

معرفة أسباب النزول ، والناسخ والمنسوخ ، والمكي ، و المدني ، ومعرفة أول ما أنزل و آخر ما أنزل وهي سياقات خارجية ، وداخلية بالتعبير المعاصر تشتمل على عناصر السياقات ؛ التاريخية والإجتماعية ، والنفسية .و سياقات لغوية أو مقالية تفسر الألفاظ القرآنية من خلال الاستعمال الإجتماعي العام .وقد اشتهر في هذا المجال ابن عباس فيما عرف بمسائل ابن الأزرق حول عدد من الألفاظ الواردة في القرآن شرحها ابن عباس بمقاربتها بشواهد شعرية تضمنت تلك الألفاظ وفق تراكيب سياقية متنوعة .

ومع تدوين العلوم ، وتحول اللساني العربي من السليقة إلى صنائع بتعبير ابن خلدون تضافرت جملة من العلوم في خدمة تفسير القرآن من نحو و صرف ، وبيان ، ولغة بحيث أننا نجد في الميدان اللغوي ما سمي بغريب القرآن و الذي تعنى مباحثه بدلالات الألفاظ في مختلف الاستعمالات السياقية (المجازية ) للعرب المعتمد على كلامهم في عصر الاحتجاج ، ومع تبلور النظرية النظمية عند الجرجاني ـ والتي يشكل السياق فيها بكلِّ أبعاده ( اللغوية ، وغير اللغوية ) ركنا أساسيا في التحليل الدِّلالي ـ وظفت هذه النظرية في التفاسير البيانية منذ كشاف الزمخشري مرورا بروح المعاني للألوسي ، ووصولا إلى التحرير و التنوير للطاهر بن عاشور .

ومن خلال كلِّ ما سبق يمكننا ملاحظة المعالم الكبرى التي تنطلق منها المدرستان:

. تفسير القرآن بالقرآن : فالقرآن كله سياق عام يفسر بعضه بعضا ، بالإضافة إلى معرفة أوجه القراءات.

. تفسير القرآن بالسنة النبوية و حيثيات النزول "ذلك أن السياق .كما يقول ابن القيم : يرشد إلى تبيين المجمل ، و تعيين المحتمل و القطع بعدم احتمال غير المراد ، وتخصيص العام ، وتقييد المطلق وتنوع الدِّلالة وهذا من أعظم القرائن الدَّالة على مراد المتكلم "[1]

ونفس الأمر نجده عند من كتبوا قديما في علوم القرآن ، فالسياق آلية محورية في تحديد المعاني .

يقول الزركشي في الفصل الذي عقده تحت عنوان ( الأحكام المستنبطة من تنبيه الخطاب : " و اعلم أنَّ هذا النوع البديع ينظر إليه من ستر رقيق ، وطريق تحصيله فهم المعنى و تقييده من سياق الكلام كما في آية التأفيف فإنَّا نعلم أنَّ الآية إنما سيقت لاحترام الوالدين ، وتوقيرهما ، ففهمنا منه تحريم الشتم ، والضرب "[2].

ولننظر كيف استدلَّ المفسرون من خلال تحكيم السياق في تحديد الدِّلالة ، يقول صاحب أضواء البيان : " ومن أمثلته قول بعض أهل العلم : إنَّ أزواجه صلى الله عليه وسلم لا يدخلن في أهل بيته في قوله ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرِّجس أهل البيت** ﴾ الآية ، فإنَّ قرينة السياق صريحة في دخولهن لأنَّ الله تعالى قال : ﴿ **قل لأزواجك إن كنتن تردن** ﴾ ثمَّ قال في نفس خطابه لهن : ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس**﴾ ، ثم قال بعده :﴿**واذكرن ما يتلى في بيوتكن** ﴾."[3]

و السياق في الخطاب القرآني تندمج فيه العناصر السابقة ، لتحدِّد دلالة التراكيب ، ونورد هنا كلاما للسيوطي يشير فيه إلى باب أسماه ( في بيان الموصول لفظا ، المفصول معنى ) و هو أصل كبير للوقف ترتفع بفهمه كثير من معضلات الدِّلالة في الخطاب القرآني :

"من ذلك قوله : ﴿**هو الذي خلقكم من نفس واحدة ، وجعل منها زوجها ليسكن إليها** ﴾ ، إلى قوله :

---

[1] السياق ، والدِّلالة ، د: مسعود بودوخة ، بيت الحكمة ، ص 128.

[2] . البرهان في علوم القرآن،الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي،تح :أبو الفضل ابراهيم،ط3،( 1984/ 1404ه) مكتبة دار التراث . القاهرة ، ج2 . ص 21.

[3] . أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين الشنقيطي ، دار عالم الفوائد ، مكة المكرمة ، ط1، 1426، المجلد الأوَّل، ص 19.

﴿ **جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون**﴾.

فإن الآية في قصة آدم و حواء كما يفهمه السياق ، و صرح به في حديث أخرجه أحمد و الترميذي . وحسنه ، والحاكم . وصححه . من طريق الحسن سمرة مرفوعا . وأخرجه ابن أبي حاتم و غيره بسند صحيح عن ابن عباس .

لكن آخر الآية مشكل حيث نسب الإشراك إلى آدم و حواء ، وآدم نبي مكلم و الأنبياء معصومون من الشرك قبل النبوة و بعدها إجماعا ، وقد جرَّ ذلك بعضهم إلى حمل الآية على غير آدم و حواء وأنها في رجل وزوجته كانا من أهل الملك ، وتعدى إلى تعليل الحديث ، والحكم بنكارته .

وما زلت في وقفة من ذلك حتى رأيت ابن حاتم قال : أخبرنا أحمد بن عثمان ابن حكيم حدثنا أحمد بن مفضل ، حدثنا أسياط عن السدى في قوله : ﴿**فتعالى الله عما تشركون** ﴾، قال هذا فصل من آية آدم ، خاصة في آلهة العرب ...فانحلت عني هذه العقدة ، وانجلت لي هذه المعضلة ، واتضح بذلك أنَّ آخر قصة آدم، وحواء ﴿ **فيما آتاهما**﴾و أنَّ ما بعده تخلص إلى قصة العرب ، وإشراكهم الأصنام . ويوضح ذلك تغيير الضمير إلى الجمع بعد التثنية،ولو كانت القصة واحدة لقال : عما يشركان"[1] .

"ولهذا قال الله : ﴿ **فتعالى الله عما يشركون** ﴾ ثم قال : فذكر آدم و حواء أولا كالتوطئة لما بعدهم من الوالدين ، وهو كالإستطراد من ذكر الشخص إلى الجنس "[2].

**ب ـ 2 السياق عند الأصوليين** : لقد دفع البحث عن الأحكام و المعاني علماء أصول الفقه إلى إعطاء السياق دورا فاعلا في استجلاء الدِّلالات القرآنية من الألفاظ و التراكيب و هكذا نجدهم يقسمون تلك الدلالات إلى دلالة إشارة ، ودلالة عبارة ، ودلالة فحوى ، ودلالة اقتضاء [3].

وبما أنَّ الغاية من هذا العلم البحث عن الأحكام الفقهية المستنبطة من مصادر التشريع ( القرآن والسنة النبوية ) فقد توصلوا من خلال رصد السياقات القرآنية إلى تحديد مفاهيم العام الباقي على

---

[1] . الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي ، ج 1، ص 255، 256.

[2]. تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، دار الإمام مالك ، الجزائر ، ط1، 2006، ج2، ص 413.

[3] . ينظر : أسلوب الحذف في القرآن الكريم و أثره في المعاني و الإعجاز ، د: مصطفى شاهر خلوف ، ص 104، 105، 106، 107.

عمومه ، والعام المخصص ، والمطلق المقيد ( وكلها تتحدَّد بالسياقات المختلفة )، و للتدليل على عمق المسلك الذي انتهجه الأصوليون في مباحثهم الدِّلالية نشير إلى صيغ الأمر والنهي .و اللتان تحكمهما قوانين صرفية ونحوية ثابتة ، ولكنَّ الأصوليين من خلال التوسع في دلالات السياقات المتنوعة التي وردت فيها الصيغتان في الخطاب القرآني ميزوا الأمر الذي ينصرف إلى الوجوب ،والأمر الذي ينصرف إلى الندب .والنهي متى يكون للتحريم ، ومتى يكون للكراهة .و قد نشأ من ذلك ثراء ضخم للاجتهاد الفقهي ، الذي استفاد من المتاحات الدِّلالية للخطاب القرآني وفق القرائن اللفظية التي تتأسس عليها الأحكام في المذاهب الفقهية .

يقول صاحب كتاب بداية المجتهد و نهاية المقتصد في معرض حديثه عن الخلاف في فهم عود الشرط في آية المحرَّمات من النساء :

" ومبنى الخلاف من الشرط في قوله تعالى : ﴿ **اللاتي دخلتم بهنَّ** ﴾يعود إلى أقرب مذكور وهم الرَّبائب فقط ، أو إلى الرَّبائب و الأمهات المذكورات قبل الربائب في قوله تعالى :﴿ **وأمهات نسائكم ، وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن** ﴾ فإنه يحتمل أن يكون قوله . اللاتي دخلتم بهن . يعود على الأمهات و البنات ، ويحتمل أن يعود إلى أقرب مذكور وهم البنات "[1].

إنَّ مما لا شكَّ فيه حجم العناية التي أولاها الفكر المنهجي عند المسلمين للدقة في الملاحظة والتدقيق في النصوص المرجعية ( قرآن و سنة ) التي ينبني عليها الإسلام و يكفي هنا الإشارة إلى مسألة التعارض في الأدلة وكيف سعى الأصوليون وغيرهم إلى مناهج الجمع ، أو الترجيح بينها ، وفق ضوابط سياقية غاية في الإحكام .

و للشاطبي ( 790هـ) كلام عن السياق و إن لم يذكره بالإسم :" فإن قلنا أنَّ القرآن نزل بلسان العرب ، وإنه عربي، و إنه لا عجمة فيه ، بمعنى أنه أنزل على لسان معهود العرب في ألفاظها الخاصة وأساليب معانيها ، وأنها فيما فطرت عليه من لسانها تخاطب بالعامِّ يراد به ظاهره ، وبالعامِّ يراد به العامُّ في وجه ، والخاصُّ في وجه ، وبالعامِّ يراد به الخاصُّ، و الظاهر يراد به غير الظاهر ، وكلُّ ذلك

[1]. بداية المجتهد ، ونهاية المقتصد ، محمد بن رشد القرطبي ، دار المعرفة ، بيروت . لبنان ، ط6، 1983، ج2، ص 34.

يعرف من أوَّل الكلام أو وسطه أو آخره و تتكلم بالكلام ينبئ أوله عن آخره ، أو آخره عن أوله وتتكلم بالشيء يعرف بالمعنى كما يعرف بالإشارة "[1].

و هي بلا شكٍّ حدُّ السياق ، ومفهومه الدَّقيق الذي ظلَّ شامخا مع طول القرون .

## جـ ـ السياق و الإيجاز في القرآن الكريم :

**1– السياق والإيجاز بالحذف في القرآن** : رأينا في ما سبق أهمية السياق في تحديد دلالات الخطاب القرآني على وجه العموم ، وندرس هنا دور السياق في أساليب الإيجاز القرآني والذي توسع في دراسته المفسرون و البلاغيون ( قديما و حديثا )ومن الملاحظات التي تستوقفنا في هذا الجانب عنايتهم. عندما يتحدَّثون عن الإيجاز بالحذف في القرآن الكريم. بسياق الذكر الذي يقابل سياق الحذف في الخطاب القرآني لأنَّ الذكر أصل ، و الحذف فرع وهو من أعظم الآليات التي يتوسلون بها إلى إدراك المعاني التي تخفى مع الحذف ، واشتهرت هذه الآلية السياقية في مباحث الأشباه و النظائر في القرآن الكريم خاصة، إذ اعتبر هؤلاء العلماء أنَّ القرآن كله سياق عام من خلال تفسير القرآن بالقرآن .

" ينبغي أن يكون المقدَّر موافقا وملائما للسياق ، وإذا احتمل النص أكثر من تقدير ، فإنَّ التقدير الذي يكون أكثر ملاءمة للسياق هو الأولى ، وعلى هذا فإنَّ تقدير ما ظهر في القرآن أولى من كلِّ تقدير ، فإذا ورد الحذف في موضع من القرآن ، وذكر المحذوف في موضع آخر منه ، فإنَّ هذا المذكور هو أولى من كلِّ تقدير لأنَّ أصحَّ طرق التفسير أن يفسر القرآن بالقرآن "[2].

و نوضح هذا بما أورده الشنقيطي في أحد الأمثلة من الخطاب القرآني :" و مثاله في أحد المفعولين قوله :﴿ **ثمَّ اتخذتم العجل** ﴾ ، ونحوها من جميع آيات اتخاذهم العجل إلها ، فإنَّ المفعول الثاني محذوف في جميعها ، وتقديره اتخذتم العجل إلها ، ونكتة حذفه دائما التنبيه على أنه لا ينبغي أن

---

[1] . الموافقات في أصول الشريعة ، أبو إسحاق الشاطبي ، ضبط : عبد الله درَّاز ، المكتبة التجارية الكبرى ، ج2، ص( 65، 66) ب ت .

[2] . أسلوب الحذف في القرآن الكريم وأثره في المعاني و الإعجاز ، د: مصطفى شاهر خلوف ، ص 93.

يتلفظ بأنَّ عجلا مصطنعا إله ، وقد أشار إلى هذا المفعول في طه بقوله ﴿ **فكذلك ألقى السامري فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا إلهكم و إله موسى** ﴾"[1].

فلا تذكر كلمة في القرآن إلاَّ إذا اقتضاها السياق ، وتطلبها النظم ، ولا تحذف كلمة في القرآن إلاَّ وحذفها أبلغ و أنسب ، وأكثر ترابطا في الأسلوب ، وأحكم للصياغة الفنية المعجزة " [2].

و قد يكون في الآية حذف لأكثر من كلمة في موضعين مختلفين بحيث يغني ما هو مذكور عن ما هو محذوف في كلا النظيرين ، والمشكل للمعنى هو السياق نفسه ، و قد أطلق عليه بعض المفسرين [3] مصطلح الاحتباك ، وعدَّهُ كنوع من أنواع البديع ، وهو تصنيف في محله لطابعه الجمالي الأخاذ .

" قال تعالى :﴿ **قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله و أخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين و الله يؤيد بنصره من يشاء إنَّ في ذلك لعبرة لأولي الأبصار** ﴾ آل عمران 13، فهذا النص فيه حذف في موضعين و التقدير ؛ فئة مؤمنة تقاتل في سبيل الله ، وأخرى كافرة تقاتل في سبيل الطاغوت ، ويؤيد ذلك قوله تعالى في موضع آخر :﴿**الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله و الذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت** ﴾ النساء 76، فهذه الآية بيان للنص السابق "[4].

ومن أكثر الحذوفات الموجودة في الخطاب القرآني تلك التي نجدها في القصص إذ كثيرا ما يوجد تفصيل مذكور في في سورة ، وغير مذكور في سورة أخرى ، ليتناسب الذكر ، و الحذف مع مختلف السياقات القرآنية ، وليجعل النص القرآني وحدة واحدة يفسر بعض آياته البعض الآخر ، وتندمج معها محققة المعنى الكلي و هذا من خلال السماح للمتلقي بإعادة بناء تلك التفاصيل من مختلف السياقات .

---

[1] . أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين الشنقيطي ، ج1، ص 22.

[2] . الإعجاز اللغوي لمشاهد القيامة في القرآن الكريم ، د: رعد طالب كريم العنبكي ، مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع ، المدينة المنورة ، ط1، 2011، ص 184.

[3] . ينظر : التحبير في علم التفسير ، السيوطي ، دار الفكر ، بيروت ، ط1، 1996، ص 114، 115.

[4] . أسلوب الحذف في القرآن الكريم ، مصطفى شاهر خلوف ، ص 141.

" قوله تعالى : ﴿ **أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل** ﴾ لم يبين هنا هذا الذي سئله موسى من قبل ماهو ؟ و لكنه بينه في موضع آخر ، وذلك في قوله : ﴿ **يسألك أهل الكتاب أن تنزِّل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة** ﴾" [1].

وتتعدَّد أوجه الحذف في الخطاب القرآني ، مثلما نجده في المتشابه اللفظي [2]. إذ أنه يشمل كلَّ

مستويات الجملة من الحرف إلى الكلمة ، إلى شبه الجملة و الجملة ، ونحاول أن نبحث من خلال إحدى هذه المستويات عن السياقات التي وردت فيها وما يحدثه سقوط إحدى أركان الجملة في إنتاج دلالات جديدة .

و لنتأمل هذه السياقات المختلفة :

" قوله تعالى : ﴿ **و ما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدُّنيا و زينتها وما عند الله خير و أبقى أفلا تعقلون** ﴾ القصص 60.

و قوله تعالى : ﴿ **فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير و أبقى** ﴾ الشورى 36.

وكما نرى فإنَّ ﴿**وزينتها** ﴾ المذكورة في الآية الموجودة في سورة القصص غير موجودة في الآية المذكورة في سورة الشورى ، ويكفي هنا رصد السياق العام الذي وردت فيه الآيتين لتفسير هذه الظاهرة على الرغم من ورود هذه الشواهد في باب المناسبة من أبحاث المتشابه اللفظي إلا أنَّ بعد السياق واضح وجليٌّ من خلال شروح المفسرين وائمة تأويل الآيات المتشابهات في القرآن الكريم :

ففي سورة القصص التي تضمنت قصة قارون [3]،وما كان عليه من الزهو بما أوتي من مال هو زينة الحياة الدنيا ، ولنتأمل هذه الصورة :

---

[1] . أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، الشنقيطي ، ص 99.

[2] الآيات المتشابهات لفظا هي التي تكررت في القرآن ، و ألفاظها متفقة أو هي التي تكرَّرت مع زيادة أو نقصان أو تقديم و تأخير ، أو إبدال حرف مكان حرف آخر .

[3] . ينظر المتشابه اللفظي في القرآن الكريم بلاغة إيجاز الحذف:د.نوري صابر محمد الزيباري ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، عمان الأردن ، ط1، 2014/2013، ص 144، 145،146.

﴿**فخرج على قومه في زينته** ﴾ القصص 79، و إذا بهذا المشهد يغري ضعاف الإيمان ممن استهوته مناهج الحياة الدنيا ﴿ **يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون** ﴾ .

" قال الكرماني (504هـ ) لأنَّ في هذه السورة : ذكر جميع ما يبسط فيه الرزق ، و أعراض الدنيا كلها مستوعبة بهذين اللفظين فالمتاع مالا يغنى عنه في الحياة من المأكول ، والمشروب ، والملبوس والمسكن ، والمنكوح ، والزينة ما يتجمل به الإنسان وقد يستغني عنه : كالثياب الفاخرة ، والمراكب الرائقة و الدور المخصصة "[1]." و لم يقع في آية الشورى ذكر ﴿**وزينتها** ﴾ إذ لم يرد فيها ما ورد هنا مما استدعى هذه المناسبة .... بل تضمنت حقارة الدنيا ، ونزارة رزقها ، وأنه مقدور غير مبسوط وتلك حال الأكثر"[2].

من كلِّ ما سبق يظهر لنا مدى الحرص الذي أولته الدِّراسات التي عكفت على البحث في الخطاب القرآني عامة . وفي ظاهرة الحذف في القرآن الكريم خاصة . لمسألة السياق عند مقاربة الدِّلالات القرآنية ، و أنَّ أهم هذه السياقات ، هو السياق القرآني ذاته ، فالقرآن يفسر بعضه بعضا .

**2 ـ السياق و الإيجاز بالقصر** : إذا كان الإيجاز بالحذف إسقاطا لوحدة أو وحدات من التركيب لوجود دليل ، ولغاية جمالية محدَّدة ، فإنَّ الإيجاز بالقصر هو تقليل الألفاظ و تكثير المعاني ، والسؤال الذي يطرح هنا :

ـ ما هي الوظائف التي يطلع بها السياق في هذا النوع من الإيجاز في الخطاب القرآني ؟

نقول في البداية أنَّ دلالة أيَّ لفظة ترتبط ضمن النسيج النظمي الدلالي في أي تركيب لغوي فالكلمات الموجــودة في لغة من اللغات تجمع دلالات وضعية ودلالات نــاتجة عن الاستعمالات في البيئة الإجتماعية ، وهكذا فإننا عندما نقف عند كلمة ما فإننا نقف عند قائمة طويلة من الدِّلالات المتاحة في ذاكرة تلك الكلمة ، والذي يحدِّد هذه الدِّلالة أو تلك من مجموع الدِّلالات الممكنة لأي لفظة إنما هو السياق النظمي الذي يؤطر تلك الدِّلالة أو الدلالات المستهدفة .

إذن فدور السياق و أثره في توجيه المعنى مفصليٌّ ، وحاسم :

---

[1] . المصدر نفسه ، ص 145.

[2]. المصدر نفسه ، ص 145، 146.

" ولا سيما إذا احتمل اللفظ أكثر من معنى ، وكذلك إذا تقاربت الألفاظ في المعاني ، ووقع الظنُّ عليها أنها من المترادفات ، فالسياق هو الحكم الفصل في تحديد كلِّ ذلك " [1] .

و ما دمنا نتكلم عن الإيجاز بالقصر الذي هو تقليل الألفاظ ، وتكثير المعاني فإنَّ هذا النوع يتطلب دلاليا عكس الصورة الأولى حيث يتم تفجير طاقات دلالية كثيرة مقصودة من خلال أقل تركيب ممكن ، ولنلاحظ هذه الآية التي استوقفت كثيرا من المفسرين ، والبلاغيين : ﴿ **ولكم في القصاص حياة** ﴾ البقرة 179.، ولننظر إلى تموضع كل كلمة ، وماهي عليه من التعريف والتنكير، ومعنى كل كلمة ابتداء، ومعناها . التعارض . داخل السياق .

" كلام فصيح لما فيه من الغرابة ، وهو أنَّ القصاص قتل وتفويت للحياة ، وقد جعل مكانا و ظرفا للحياة ، ومن إصابة محز البلاغة بتعريف القصاص ، وتنكير الحياة ، لأنَّ المعنى :و لكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص حياة عظيمة ، وذلك أنهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعة ، وكم قتل مهلهل بأخيه كليب حتى كاد يفني بكر بن وائل ، وكان يقتل بالمقتول غير قاتله فتثور الفتنة ويقع بينهم التناحر ، فلما جاء الإسلام بشرع القصاص كانت فيه حياة أي حياة ، أو نوع من الحياة وهي الحياة الحاصلة بالارتداع عن القتل لوقوع العلم بالاقتصاص من القاتل ، لأنه إذا همَّ بالقتل فعلم أنه يقتصُّ فارتدع منه سلم صاحبه من القتل ، وسلم هو من القود فكان القصاص سبب حياة نفسيين " [2].....

" أنَّ الآية رادعة عن القتل والجروح معا لشمول القصاص لهما ، والحياة أيضا في قصاص الأعضاء لأن قطع العضو ينقص مصلحة الحياة ، و قد يسري إلى النفس فيزيلها ...في أوُّل الآية (ولكم) و فيها لطيفة ، وهي بيان العناية بالمؤمنين على الخصوص ، وأنهم المراد حياتهم لا غيرهم لتخصيصهم بالمعنى مع وجوده فيمن سواهم "[3].

---

[1] . الاعجاز اللغوي لمشاهد القيامة في القرآن الكريم ، د: رعد طالب كريم العنبكي، مكتبة دار الزُّمان ، المدينة المنورة ، ط1 2011، ص 47.

[2] . تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ضبط ، محمد عبد السلام شاهين ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان ، ط5، ج1، ص 220، 221.

[3] . الاتقان في علوم القرآن ، السيوطي، ج3، ص 125.

فقد رأينا كيف اجتمع لهذا التركيب المعجز كلُّ تلك الدلالات . **تنزيل من حكيم حميد .** من خلال مجموع السياق التركيبي للآية وجدنا :[1]

ـ التخصيص بـ (ولكم )لجماعة المؤمنين مع وجوده فيمن سواهم .

ـ ذكر ( في القصاص ) دون ( في القتل ) مثلا ، لأن القصاص مشعر بقيمة العدل بخلاف مطلق القتل ، و أنَّ القتل يحيل إلى الوحشة بخلاف لفظ الحياة .

ـ مجيء لفظ ( حياة) نكرة بحيث أنه يفيد تعظيما أي أنَّ في القصاص حياة متطاولة .

ـ جعل القصاص ظرفا للحياة ، ومنبعا لها من خلال إدخال (في ) عليه .

و قد جمع العلماء ما يربو عن العشرين وجها فاقت فيه هذه الآية ، ما اشتهر من كلام العرب (القتل أنفى للقتل) ، وهو أوجز كلام عرفته العرب في هذا المعنى ، ولا وجه للمقارنة ، فالفضل بين كلام الله و كلام البشر ، كفضل الله على عباده ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، بل إنَّ القول بأنهما في نفس المعنى محال ، و غير وارد البتة .

وما يهمنا في هذا المقام تحديدا هو دور السياق في تفجير دلالات جديدة ، وكثيرة وهو ما أبان عنه المثال السابق ، فالسياق التركيبي هو الذي يحدِّد الدلالة لا الألفاظ في ذواتها " وهي أن تكون الألفاظ مختلفة المعاني إذا فرِّقت ومتفقتها إذا جمعت ، وألف منها كلام . و ذلك أن ليس كلامنا فيما يفهم من لفظتين مفردتين نحو (قعد) و (جلس)،و لكن فيما فهم من مجموع كلام، ومجموع كلام آخر " [2]

من هنا جاء اهتمام كثير من اللغويين والمفسرين بمسألة تأكيد الفروق بين الألفاظ انطلاقا من الأوضاع السياقية المتباينة بحيث أنهم أنكروا ما اصطلح عليه بالترادف عامة فضلا عن أن يكون في الخطاب القرآني أي " أن خصوصية الانتقاء القرآني تدعونا إلى الاقرار بتفرد كل كلمة بمعناها الخاص مستندين إلى السياق القرآني ، فإذا كان الترادف موجودا في اللغة ، فهو بعيد عن تهذيب القرآن اللغوي ، وتمكن مفرداته من معانيها وظلالها الخاصة "[3].

---

[1] . ينظر : المصدر نفسه ، ج3، ، ص 123، 124، 125.

[2] . دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، ص 198.

[3] - جماليات المفردة القرآنية ،الدكتور أحمد ياسوف ، دار المكتبي ، دمشق ، سورية ، ط : 03، 2009.ص74.

ولكي نوضح هذا المفهوم نورد هنا بعض الشواهد التي ساقها الدكتور مسعود بودوخة في معرض حديثه عن دور القرائن المقالية والحالية في إبراز المعاني القرآنية ودفع أي التباس فيها من خلال تفسير الزمخشري " وهذه القرائن إما أن تكون مجاورة للآيات التي تفسر بها ، و إما أن تكون في موضع آخر من القرآن الكريم "[1]

" ومن التفسير بالقرائن المجاورة تفسير الزمخشري لكلمة (الفطرة) في قوله تعالى : ﴿ **فطرت الله التي فطر الناس عليها** ﴾ الروم (30) بأنها الخلقة مستدلا بقوله تعالى بعد ذلك مباشرة ﴿ **لا تبديل لخلق الله** ﴾ الروم (30).

وكذلك تفسيره لكلمة (القرين) بأنه الشيطان الذي قيض لابن آدم ، وهذا في قوله تعالى في سورة ق ﴿ **وقال قرينه هذا ما لديَّ عتيد** ﴾ ق 23 ، والقرينة السياقية التي حملت الزمخشري على هذا التأويل قوله تعالى بعد ذكر القرين في الآية السابقة ﴿ **قال قرينه ربنا ما أطغيته** ﴾ ق 27."[2]

وبناء على كلِّ ماسبق وأن أشرنا إليه يظهر لنا بوضوح الأدوار و الوظائف المحورية التي يقوم بها السياق بكلِّ أبعاده في إبراز الدلالات المختلفة في الخطاب القرآني .

[1] – السياق والدلالة ، الدكتور مسعود بودوخة ، ص 161.

[2] ـ المرجع نفسه ، ص 161.

## المبحث الثاني: الإيجاز و العدول في الخطاب القرآني:

**أ– تمهيد** : يشكل العدول ظاهرة جمالية في غاية الأهمية من حيث قدرته على كسر نمطية اللغة في كل مستوياتها الصوتية , والصرفية والدلالية والنحوية. وبالرغم من أن الدراسات العربية الحديثة أعادت تسليط ضوء الدراسة عليه تحت وقع المناظرة بين هذا المصطلح , والمصطلح الغربي(Déviation/ l'écart) المترجم في العربية بمفهوم الانزياح , إلا أن الاضطراب حاصل بين استعمال المصطلح التراثي والمصطلح الجديد بمفهومه الغربي , والحقيقة أننا بتأمل بسيط نجد أنَّ هاذين المصطلحين يتقاطعان في نفس المفهوم تقريبا , والتجارب الانسانية كثيرا ما تتفق في بعض الرؤى اللغوية وغير اللغوية , مع وجود تفاوت طبيعي يحفظ لكل رؤية خصوصيتها , وفرادتها .

فإذا كان الانزياح في الدِّراسات الأسلوبية هو الأسلوب في حدِّ ذاته لإخراجه اللغة من الدائرة اللغوية الضيقة إلى دائرة أكثر نشاطا ، إذ أنه يساهم في عملية مفاجأة القارئ ، ولفت انتباهه بشيء جديد يخرق المعايير الجاهزة ، فإننا نجد تقريبا نفس هذا المفهوم عند الجاحظ (255هـ ) حينما يقول :

" لأنَّ الشيء من غير معدنه أغرب ، وكلما كان أغرب كان أبعد في الوهم،وكلما كان أبعد في الوهم كان أطرف ، وكلما كان أطرف كان أعجب ، وكلما كان أعجب كان أبدع "[191] .

فالجاحظ يشير بوضوح إلى قيمة المفارقة من حيث نزوع النفس الانسانية إلى طلب غير المألوف وإعجابها ، وانبهارها به ، وعلى هذا فإنَّ القرآن عند نزوله شكل انقلابا عاما لا على مستوى المفاهيم ، والتصورات فحسب ، بل حتى عن الأشكال التعبيرية السائدة في شبه الجزيرة العربية آنئذ .

" فكان أن صدم أوائل من سمعوه بما سمعوا ، واعتراهم من الدهشة ، والذُّهول أقصى ما يعتري سامعا بما سمع ، فسلموا له بالإعجاز ، وهم الذين لم يكونوا أحرص على شيء حرصهم على تحسين أساليب الكلام و أنواع الخطاب ، ووجدوا القرآن مباينا لها بخروجه عن العادة "[192].

ويمكن اعتبار هذا النوع من العدول ، عدولا كليا ينقض العادة التعبيرية السائدة ، وعلى الرَّغم من الوعي الكامل في التفكير الجمالي العربي . بمفهوم الانزياح ، وظلاله الدِّلالية ، ودوره في إثارة ، وشدِّ القارئ، من خلال التلوين الأسلوبي في كلِّ مستويات التركيب إلاَّ أنه لم يكن مجالاً للدَّرس في باب

---

[191] . البيان و التبيين ، الجاحظ، ص 93، ج1.

[192] . عناصر الوظيفة الجمالية في البلاغة العربية ، د: مسعود بودوخة ، ص 75.

محدَّد ، على الرغم من أنه كظاهرة لغوية بارزة شدَّت انتباههم بلا شكٍّ من خلال جملة من المفاهيم والمصطلحات نذكر منها : العدول ،ومخالفة مقتضى الظاهر ، التلوين وشجاعة العربية ، الالتفات التحويل ، الاتساع ، المجاز[193]...الخ

إنَّ علوم البلاغة العربية ـ وبخاصة علمي المعاني ، والبيان ـ هي في جوهرها دراسة للأشكال الانزياحية للغة العربية وضمن هذا الإطار نجد الانزياح التركيبي ، والمتمثل في شكل التركيب ، وما يطرأ عليه من تغيرات من حيث : التقديم ، والتأخير ، الذكر ، والحذف ، التكرار ، التعريف و التنكير ، المطابقة من عدمها بين ( التذكير ، والتأنيث ) ، ( الجمع والإفراد)، المخالفة بين الأدوات ،وغير ذلك مما ينجم عنه من دلالات معينة ، وعلاقة كلٍّ ذلك من حيث المناسبة مع مختلف الأغراض الدِّلالية المستهدفة .

في حين أنَّ علم البيان هو الآخر مجال الدَّرس فيه ينصبُّ في رصد الانزياحات الدِّلالية من الناحية التصويرية المؤداة من خلال : الاستعارات بأشكالها المختلفة و الكناية ، و التعريض ، والتشبيه بكلِّ مستوياته.

وعلى هذا فإنَّ مفهوم الانزياح ـ التركيبي أو الدِّلالي ـ ليس غريبا في الدَّرس اللساني العربي ، بل إنه ذو جذور متينة ، وأوراق وارفة الظلال ، و ذو أصالة لا غبار عليها .

وقد توجهت الدِّراسات الأسلوبية العربية حديثا نحو دراسة أهمِّ أشكال الانزياح اللغوي في التراث اللساني العربي القديم .

ويلاحظ محمد عبد المطلب أنَّ البلاغيين ساروا في اتجاه معاكس عن ذلك الذي اتخذته المباحث النحوية ، واللغوية [194]، إذ أنَّ هذه الأخيرة قد أقامت مباحثها على رعاية الأداء المثالي للغة ، في حين أنَّ الدَّرس البلاغي أقام مباحثه على أساس العدول عن تلك المثالية في الأداء الفني .وهذا لا يعني أنهم لا يهتمون بالمعايير القاعدية المؤطرة للإنجاز اللغوي " بل إنَّ ذلك يؤكد إدراكهم لتحققه ،

---

[193] . المرجع نفسه ، ص 51.

[194] . ينظر البلاغة و الأسلوبية ، محمد عبد المطلب ، ص 277.

بحيث جعلوه الخلفية الوهمية وراء الصياغة الفنية التي يمكن أن يقيسوا إليها عملية العدول في هذه الصياغة " [195].

و يكفي هنا النظر إلى الأسس التي قامت عليها نظرية النظم عند الجرجاني ، والتي تجعل من الخلفية التركيبية النحوية محورا هاما تتشكل ضمن حدوده العامة المعاني العميقة ، أو معنى المعنى من خلال التصرف في مستويات التراكيب كلها أو بعضها ، وعلى هذا فقد عد محمد عبد المطلب مسألة العدول عن التراكيب الأصل ، أو النموذج عند البلاغيين ما هو إلا مقياس لتحديد كمية العدول وكيفيته . " وهو عدول يتم من خلال عوامل نفسية تكتنف عملية التخاطب : كتشويق السامع أوللتفاؤل ، أو للتلذذ "[196].

ومن أهمِّ الأشكال العدولية التي رصدها محمد عبد المطلب تخطي الرتب النحوية . من حيث التقديم والتأخير. و التعريف و التنكير ، و الإيجاز و الإطناب ، والالتفات ، وعن هذا الأخير يستشهد بما قاله الزمخشري عن فائدته:

" وفي التعليل لبلاغة الالتفات يلحظ الزمخشري أنَّ العدول من أسلوب إلى أسلوب فيه إيقاظ للسامع وتطرية له بنقله من خطاب إلى خطاب آخر لأنَّ السامع ربما ملَّ من أسلوب فينقله إلى أسلوب آخر تنشيطا له في الاستماع و استمالة له في الإصغاء "[197].وهكذا فإنَّ كلَّ تحول عدولي عن الصيغ المثالية يعطي طاقة تعبيرية خاصة ، حصلت بفعل ذلك التغير .

ومن الجهود الأسلوبية الحديثة التي اهتمت بمفهوم العدول نجد محاولة الدكتور تمام حسان حيث نجده يحدِّد مستويات عديدة للعدول كالعدول عن أصل البنية :

" يعدل عن أصل البنية إما بإجراء تصريفي فتتحول صورة اللفظ الأصلية و إما بنقل المعنى بتضمين لفظ معنى لفظ آخر ، أو إنابته عنه ، و إما بتسخير اللفظ لتوليد معان هامشية لم تكن له في الأصل اللغوي المجرِّد ، وذلك بواسطة الحكاية ، أو تنكير اللفظ ، أو تعريفه ، أو تعميم الإشارة إلى المقصود

---

[195] . المرجع نفسه ، ص 269.

[196] . المرجع نفسه ، ص 272.

[197] . المرجع نفسه ، ص 279.

باستعمال الموصول أو إفادة معنى الشرط من خلال الموصول أيضا ، أو إعطاء الضمير وظيفة غير وظيفة الرَّبط كإفادة الشأن أو الفصل "[198].

وهناك مستوى آخر للعدول ، وذلك بالإجراء التصريفي ، وتتضمن ظواهر من مثل : الإدغام والاخفاء،والإقلاب،والإعلال،والإبدال ،والنقل،والقلب،والحذف،والمناسبة .وكلها إجراءات تصريفية عدولية ذات غاية إقتصادية و طلبا للخفة في النطق .[199]

و بالإضافة إلى ذلك تناول تمام حسان جوانب العدول في الرتبة من حيث التقديم و التأخير،ويلاحظ بأنها من أهمِّ المباحث التي عنيت في الدَّرس البلاغي العربي .

وفي مجال التضام تبرز بعض الظواهر العدولية مثل : الحذف و الزيادة و الاعتراض و الفصل النحوي وتجاهل الاختصاص النحوي ، وتجاهل المناسبة المعجمية ( المجاز )[200].

تلكم هي أبرز ملامح العدول التي حظيت بالدِّراسات الأسلوبية العربية و هي كما رأينا تغطي كلَّ المستويات التركيبية ، والدِّلالية ، وسنحاول التركيز في العنوان التالي على العدول في أساليب الإيجاز القرآني ، وسنبدأ بالعدول في الإيجاز بالحذف ، و أهم أشكاله في الخطاب القرآني .وعن الآثار الدِّلالية التي تولدها تلك العدولات .

## ب/ عدول الإيجاز في الخطاب القرآني :

### 1- الإيجاز بالحذف والعدول:

يعتبر الحذف من أبرز الظواهر اللغوية التي تتمثل في طيِّ ذكر بعض الوحدات لغايات أسلوبية : جمالية فنية ، وأخرى دلالية .و الحذف في الخطاب القرآني كما يقول تمام حسان ليس في مضمون القرآن .إنما هو راجع إلى طبيعة اللغة ، نفسها و تراكيبها ،" ذلك بأنَّ اللغة تجعل للجملة العربية أنماطا تركيبية معينة ، ففي الجملة أركانها ومكملاتها ، وفي عناصرها ما يفتقر إلى غيره ومالا يستغني المعنى عن تقديره ، فإذا لم تشتمل الجمل على أحد أركانها ، أو ما يقتضيه المعنى أو يقتضيه التركيب

---

[198] . البيان في روائع القرآن ، تمام حسان ، ص 348/347.

[199] . المرجع نفسه ، ص 348.

[200] . المرجع نفسه ، ص 380.

من مكملاتها ، وعناصرها الأخرى ، ثمَّ اتضح المعنى بدون ذكر هذه العناصر لوجود الدليل على المحذوف عددنا ذلك حذفا جيء به لطلب الخفة اختصارا أو اقتصارا أو تجنبا للحشو أو لسبب آخر غير ذلك " [201] ،أي أنَّ وجود الحذف هو بالنظر إلى القواعد القياسية التي استنبطها النحويون من استقراء كلام الفصحاء من العرب في عصر الإحتجاج .و بالتالي فإنَّ عدم ورود أي وحدة من الوحدات في التراكيب يفرض تقديره ، وعلى هذا فإنَّ عدم الذكر أو الحذف اعتبره البلاغيون العرب عدولا عن أصل مفترض ذو غاية دلالية ، وفنية محدَّدة : "لأنَّ نفس السامع تتسع في الظنِّ والحساب وكل معلوم فهو هين ، لكونه محصورا " [202].

وهو أمر يدلُّ " على أنَّ علة الجمال لا ترجع إلى التعبير بالنمط الافتراضي ، بل ترجع إلى الأسلوب المنزاح عنه وهو هنا أسلوب الحذف "[203].و الأمر هنا ليس متعلقا بالجانب الجمالي فحسب ، بل إنه في الخطاب القرآني ذو حتمية من حيث مناسبته للغرض التعبيري الذي سيق له : " ولا شكَّ أنَّ كلَّ مفردة وضعت وضعا فنيا مقصودا في مكانها المناسب ، وإنَّ الحذف من المفردة مقصود ، كما أنَّ الذكر مقصود ، وإنَّ الإبدال مقصود ، كما أنَّ الأصل مقصود ، وكلُّ تغيير في المفردة أو إقرار على الأصل مقصود له غرضه "[204].

ومن الانزياحات في مستوى الحروف نجد حذف الحرف حيث يكون هذا الحذف منسجما مع الطبيعة الدِّلالية للتراكيب القرآنية ، ولنلاحظ هاتين الآيتين :

قال الله تعالى :

. ﴿ **لا يحلُّ لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهنَّ من أزواج** ﴾الأحزاب 52.

. ﴿ **و آتوا اليتامى أموالهم و لا تتبدَّلوا الخبيث بالطيب ، ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوبا كبيرا** ﴾ النساء 02.

---

[201] . المرجع نفسه ، ص 380.

[202] العمدة في محاسن الشعر ، وآدابه،ونقده،ابن رشيق،تح: محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ،بيروت ،ط5ج1، ص253.

[203] . عناصر الوظيفة الجمالية في البلاغة العربية ، مسعود بودوخة ، ص 97.

[204] . بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ، فاضل صالح السامرائي ، ط2، 2006، القاهرة ، ص 04.

فالملاحظ أنه في آية الأحزاب ورد الفعل ب( تبدَّل ) فحين أنه في آية النساء جاءت الصيغة ب( ولا تتبدَّلوا) من دون حذف " ذلك أنَّ آية الأحزاب حكمها مقصور على الرسول صلى الله عليه وسلم فهو منهيٌّ عن أن يتبدَّل بأزواجه أزواجا ، أما الآية الثانية فهي حكم عام للمسلمين على مرِّ العصور فقال في الحكم المحدَّد ، والحدث المقصور على شخص واحد ( تبدَّل) بالحذف من الفعل ، وقال في الحكم العام الممتدِّ على مرِّ العصور ( تتبدَّلوا) فجاء بالصيغة القصيرة للحدث القصير وبالصيغة الطويلة للحدث الطويل الممتد "[205].وقد فصلنا القول في مبحث المناسبة و الحذف بالاستشهاد بجملة من الحذوفات من الخطاب القرآني ، وإنما أردنا أن نشير إلى القيمة الدِّلالية للإنزياح بالحذف من الوحدات التركيبية في المنجز اللغوي أيا كانت تلك الوحدة من الحرف إلى الجملة ، وإنما يقاس ذلك الحذف بالنظر إلى القواعد القياسية المجرَّدة من كلام العرب وبالتالي فإنَّ الحذف كفرع إنزياح عن الأصل وهو الذِّكر ، كما يمثل قيمة معنوية عند المتلقي بإثارة انتباهه ، وتوسيع خياله من خلال الإيحاء الموجود في الحذف و الاقتصاد في اللغة ، وجمالا فنيا في الأسلوب .

ومن أشكال العدول بالحذف ، حذف الرابط ، الذي تطرق إليه الدكتور تمام حسان ، واعتبره أسلوبا عدوليا مقبولا عدل به عن استصحاب الربط طالما أمن اللبس مع وجود دليل الحذف [206] وعلى الرغم من أنه لم يشر إلى القيم الجمالية لهذا الشكل العدولي إلا أنه حدد جملة من مستوياته في الخطاب القرآني مثل أن يكون الرابط المحذوف :

ضمير الغائب كما في قوله تعالى:﴿**كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل** ﴾ البقرة (25) أي : رزقناه أو رزقنا إياه.

﴿**وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم**﴾ البقرة (41) ودليل المحذوف فيها الموصول وافتقاره إلى ما يربط صلته به .

﴿**إنَّ الله يعلم ما تسرون وما تعلنون**﴾البقرة (77) أي : تسرونه وتعلنونه.

كما يكون العدول في حذف ضمير الغائبة مثل قوله تعالى :

﴿**اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم**﴾ البقرة (40-47) أي : أنعمتها.

وقد يقدر المحذوف مجرورا بالحرف نحو :

---

[205] . المرجع نفسه ، ص 12.

[206] – ينظر : البيان في روائع القرآن ، تمام حسان ، ص (376-377-378).

﴿**واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا**﴾ البقرة (48) أي لا تجزي فيه.

﴿ **يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم**﴾ آل عمران (154) أي : وطائفة منكم قد أهمتهم.

ومنه أيضا حذف اسم الإشارة كقوله تعالى :

﴿**فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار** ﴾ البقرة (24) أي : فإن لم تفعلوا ذلك .

﴿**فذبحوها وماكادوا يفعلون**﴾ البقرة (71) أي: يفعلون ذلك.

﴿**وإن لم تفعل فما بلغت رسالته** ﴾ المائدة (67) أي : وإن لم تفعل ذلك .

ومجمل القول هنا في عدول الحذف اشتماله على كل مستويات الجملة – وهي موجودة في كتب النحو و البلاغة وليس الغرض استقصاؤها جميعا – بل و يكون العدول بحذف أكثر من جملة من الخطاب كلما كان دليل الحذف ، وأمن اللبس ، وكان التعويل على فهم واستنتاج القارئ من مجمل السياقات ، وأكثر ما يكون هذا الحذف في القصص القرآني ولنتأمل هذا الشاهد من سورة يوسف :

﴿**وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم وكذلك مكنا ليوسف في الأرض**﴾يوسف (54-56).

" أي : وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي فأتوه به فكلمه وسمع منه فرضى عنه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين فخطر ليوسف أن يطلب منه أن ينصبه خازنا على ما في خزائن الملك ، ومن ثم قال للملك اجعلني أمينا على خزائن الأرض إني حفيظ عليم فأجابه الملك إلى ما طلب وولاه أمر الخزائن ، وكذلك مكنا ليوسف.."[207]

ومن سورة طه قوله تعالى :

﴿**قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى. وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى**﴾ طه (68-70).

" أي : قلنا لاتخف إنك أنت الأعلى وألق ما في يمينك فألقى عصاه فابتلعت حبالهم وعصيهم فبهتوا لذلك وآمنوا بالله قالوا آمنا برب هارون وموسى . ودليل الحذف في كل ذلك هو قرينة السياق

[207] – المرجع نفسه ، ص : 384.

والمحذوف من كل ذلك حشو لا ضرورة له ، ولا وجه لذكره "[208] .

## 2- العدول في أسلوب الإيجاز بالقصر:

أما بالنسبة للعدول في الإيجاز بالقصر فإنه و إن كان عدولا عن التطويل أو الإطناب إلاَّ أنَّ الدَّرس البلاغي لم يصل إلى تحديد مفاهيمه لتلك المصطلحات على وجه الدِّقة فالسكاكي يضع العرف اللغوي معيارا تقاس إليه ظاهرتا الإيجاز و الإطناب [209].وهو توجه يقيس درجة العدول باعتبار العرف الاجتماعي ، أو بتعبير آخر السياق غير اللغوي ، مقصيا بذلك جانب السياق اللغوي ذاته ، أي القيمة الإنزياحية أو العدولية للإيجاز داخل الخطاب في ذاته كمعيار ثابت، يقاس إنطلاقا من خلفيته إنزياح الإيجاز ،والسؤال الذي يطرح هنا :

. ماهي المستويات العدولية لايجاز القصر في الخطاب القرآني ؟.

لقد رأينا في مباحث سابقة وجهات نظر لبعض علماء الاعجاز البلاغي للقرآن كالرماني قديما ودرَّاز حديثا ، والتي ترى أن أسلوب القرآن مبني على الايجاز لأنه لا يتجاوز سبيل القصد، وما دامت الوجازة " متفاوتة بين وجيز وأوجز بمراتب لا تكاد تنحصر "[210]، فقد يكون ذلك متضمنا لمستويات عديدة أيضا للعدولات في الخطاب القرآني ، بالإضافة إلى الشكل البارز وهو العدول عن التطويل و مثال ذلك ما نجده في في هذه الشواهد القرآنية :

فقد ورد في سورة يوسف قوله تعالى : ﴿ **فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا** ﴾ يوسف ، الآية: 80.

إذ أراد إخوة يوسف استبقاء أخيهم ، بنفي أن يكون قد سرق صواع الملك ، و التي سبق ليوسف أن أمر بوضعها في رحل أخيه وبالتالي إيجاد مبرر مقبول لإبقاءه في مصر بحكم شريعة المملكة. فجاءت تلك العبارة المركزة تركيزا معجزا لتعبر عن تلك النهاية اليائسة للحوار الذي دار بين يوسف وإخوته[211] وأيضا في تصوير حال إخوة يوسف : " وهذه صفة اعتزالهم لجميع الناس وتقليبهم الآراء

---

[208] – المرجع نفسه ، ص : 384.

[209] . ينظر : عناصر الوظيفة الجمالية في البلاغة العربية ، مسعود بودوخة ، ص 99.

[210] . المرجع نفسه ، ص 99.

[211] – ينظر : الايجاز في كلام العرب ونص الاعجاز ـ دراسة بلاغية ـ د مختار عطية ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، د ، ت ، ص 202.

ظهرا لبطن وأخذهم في تزوير ما يلقون به أباهم عند عودهم إليه وما يوردون عليه من ذكر الحادث ، فتضمنت تلك الكلمات القصيرة معاني القصة الطويلة "[212].

وعلى هذا يمكن اعتبار وجود أكثر من مستوى للايجاز في الخطاب القرآني ، وبالتالي عدول من موجز إلى أوجز ولنتأمل هذا الشاهد من قوله تعالى: ﴿ **إنَّ ربكمُ الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يُغشي الليلَ النهارَ يطلبه حثيثاً والشمسَ والقمرَ والنجومَ مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله ربُّ العالمين** ﴾ الأعراف الآية 54.
والشاهد هنا قوله تعالى :

﴿ **ألا له الخلق والأمر** ﴾ " تجد أن هذه الجملة من الآية الكريمة قد دلت على استقصاء جميع الخلق والشئون ، حيث نبهت الآية إلى خلق السماوات والأرض والاستواء على العرش وإغشاء الليل النهار وتسخير الشمس و القمر والنجوم "[213].

" ثم تأتي هذه الجملة ( ألا له الخلق والأمر ) مفتتحة بأداة التنبيه (ألا) التي تدل على أن مدخولها من الأمور المهمة ، وإنه لكذلك ، إنه جملة قليلة الألفاظ غزيرة المعاني ، إذ دلت على اختصاصه تعالى بجميع الخلق والشئون ، التي أشارت الآية إلى بعض منها ، ولك أن تتصور مدى اتساع الخلق والأمر الذي دلت عليه تلك الجملة القصيرة "[214].

ومهما يكن من أمر فإن الإيجاز يعتبر من أهم الأشكال العدولية من حيث السمة الفنية ، والجمالية بتضمنه لقوة إيحائية هائلة تتولد من ثنايا التراكيب القرآنية في كل مستوياتها .

---

[212] – الاعجاز والايجاز ، أبو منصور الثعالبي ، الطبعة الأولى ، مصر ، 1897، ص :13.

[213] – من بلاغة النظم القرآني ، د بسيوني عبد الفتاح فيود، ص 220.

[214] . المرجع نفسه ، ص 220.

## المبحث الثالث: الإيجاز في الخطاب القرآني و مفهوم التلقي:

**تمهيد** : ارتبط مفهوم التلقي بالقارئ ، وحدود تفاعله عقليا ، ووجدانيا مع الخطابات الفنية ، ورصد آثار التفاعل ، والانفعال الذي يحدث بإزاء فعل القراءة وهو أمر فتح الباب واسعا لمعرفة حدود ذلك التلقي فذهبت بعض الاتجاهات الأسلوبية الغربية إلى جعل القارئ مشاركا فاعلا في إعادة إنتاج دلالة النص لأنَّ أيَّ نصٍّ ماهو إلاَّجملة من العلامات ، أو الدَّوال التي تتولد عنها مدلولات لا حصر لها بحسب ثقافة كلِّ قارئ ، وتاريخه النفسي ووضعه الاجتماعي و الاقتصادي . وكلُّ نصٍّ يسعى إلى التأثير في قارئ معين عبر اللغة ، ومن خلال عدد هائل من الرموز ، والعلامات التي تثير ذلك القارئ بحسب حساسيته لتلك الرموز و الإشارات .

و بتأثير من هذه النظريات الغربية . التي تتعامل مع نصوص بشرية ، يلازمها النقص و القصور حتى تحتاج إلى قارئ يثري انتاجها الدلالي ، ويبقي على نضارتها ونبضها . جاءت بعض المحاولات لاقتحام الخطاب القرآني ، من خلال تلك القراءات المعاصرة " التي أغرقت الخطاب القرآني بوابل من التأويلات الغريبة ، والإسقاطات المتعسفة و الاقتحامات المتهوِّرة ، وكأنَّ لسان حالها يدعو جهرا إلى تغليب سلطة القارئ على حمولة النص المقروء ، وهي بذلك تفقد الخطاب القرآني هويته ، وتعاكس أغراضه ، وتبشع جماله "[215].

و يرجع هذا الأمر إلى التناهي المنهجي مع فكر الآخر ، وقصور الرؤيا في إدراك الفوارق الجذرية بين مفهوم التلقي للقرآن ، و غيره من الخطابات البشرية .

إنَّ القرآن نصٌّ إلهي ، يخاطب الإنسان، ويوجه سيرته العقدية ، ويحكم معالم سلوكه الإجتماعي والاقتصادي ، والنفسي ، ويطلق مكامنه الوجدانية و العقلية ، وينميها ، ويتعهدها ، وهو فوق كل هذا لا يخلق على كثرة الردِّ ، فلا يزال المؤمن يقرأ القرآن ،وكلُّ مرة يبدو له و كأنها أوَّل قراءة ﴿ **تنزيل من حكيم حميد**﴾ ، شفاء لما في الصدور ، هدى ورحمة للمؤمنين ، كتاب مبين ، ميسر الذِّكر مبارك لا تنتهي عجائبه عبر العصور إلى أن يرث الله الأرض و من عليها . قراءته وتدبر آياته قربى،وعبادة .

---

[215] . التقرير الكامل للندوة الدولية : الخطاب القرآني : البنية،الفهم والاستنباط،جامعة فاس 2013، admin @ diae.net

إنَّ أحاسيس المؤمن اتجاه كتاب الله يعزُّ وصفها،وتبيان فرادتها ويكفي هنا أن نقول أنَّ المؤمن لا يقرب من هذا الكتاب إلاَّ وهو طاهر ﴿**لايمسه إلا المطهرون**﴾فلا بد لهذا القارئ من تهيؤ ، واستعداد لقراءة هذا الكتاب المعجز أو حتى لسماعه ﴿**وإذا قرء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون**﴾ الأعراف ،الآية 204.

وعند كلامنا عن مفهوم التلقي ، والقراءة لكتاب الله نشير إلى هذه الآيات الصريحة الداعية صراحة إلى الولوج إلى عوالمه الإلهية المعجزة ، وتدبر معانيه ؛ والارتقاء إلى نجوم آياته ليغتني العقل والوجدان معا ﴿**كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبرو آياته وليتذكر أولو الألباب** ﴾ ص 29، ﴿ **ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكون كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون**﴾ الحديد 16.

﴿ **أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها** ﴾محمد 24، ولكي نكوِّنَ صورة واضحة عن مفهوم التلقي للخطاب القرآني ، في أسمى تجلياته ما علينا إلاَّ أن نرصد ذلك فيمن أنزل عليه القرآن الكريم أول مرة محمد صلى الله عليه و سلم ، فقد جاء في صحيح البخاري عن عبد الله بن مسعود قال : قال لي النبي صلى الله عليه وسلم:(اقرأ عليَّ) قلت : يا رسول الله آقرأ عليك وعليك أنزل قال (نعم) فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية ﴿ **فكيف إذا جئنا من كلِّ أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا** ﴾النساء41، قال :( حسبك الآن) فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان .[216]

وروى الترميذي : عن ابن عباس قال : قال أبو بكر : يا رسول الله قدشبت قال : (شيبتني هود و الواقعة ، والمرسلات ، وعم يتساءلون ، و إذا الشمس كورت ) وفي رواية (هود وأخواتها )[217].وتروي لنا السيرة قصة تأثر عمر بن الخطاب حين سماعه للقرآن في إحدى روايتي قصة اسلامه , وانبهار الوليد ابن المغيرة المشرك الذي انطلقت من عقال كبره هذه الكلمات الدالة على الجمال الباهر الأخاذ لأسلوب القرآن الكريم " قال : والله إنَّ لقوله لحلاوة، وإن أصله لعذق ، وإن فرعه لجناة " .[218] إنَّ القصد الذي نريده من مفهوم التلقي للخطاب القرآني هو ذلك التفاعل الحاصل عند المؤمن من خلال التأمل ، والتدبر في سوره ، وآياته ، ومن خلال تمثلها ممارسة فعلية في الحياة ، ورؤية

---

[216] . ينظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني ، المكتبة التوفيقية ، مصر ، ج8، ص 908.

[217] . الترميذي 3293، وصححه الألباني في الصحيحة 955.

[218] – السيرة النبوية ، ابن هشام ، ج:01 ، ص : 224

كلية للكون. والطريق إلى ذلك التفاعل ممهدة انطلاقا من جملة من الآليات , والظواهر الأسلوبية في الخطاب القرآني, فلو نظرنا مثلا إلى بناء القصة القرآنية , و أسلوبها المعجز في رسم الملامح النفسية والفكرية والجسدية للشخوص , وطريقة عرض الأحداث لكثير من القصص القرآني لوجدنا أنفسنا بحاجة ماسة إلى إعادة بناء تلك التفاصيل المتموضعة بحكمة إلاهية معجزة في ثنايا القرآن الكريم ، ولا شك أن هذا الجهد لخليق ببعث خيال قارىء القرآن ، وتحفيز تفكيره ، وإثارة وتوجيه مشاعره الوجدانية وهو يرى بأحاسيسه ، وبعقله ، ويعيش بكامل كيانه مرور مشاهد الأنبياء ودعوتهم إلى عبادة الله الواحد القهار , وصراعهم من أجل إحلال رسالة الله بين خلقه , وصور القهر , والكبر والتجبر , والضلال من جهة , ومن جهة أخرى قصص الثبات على الايمان , وقوة الحق والسماحة وبشاشة الوجوه , وصفاء السرائر , ونقاء الفطرة , كيف لا يتفاعل قارئ القرآن وهو يكاد يرى بأم عينيه روعة الخلق الإلهي , وقدر الخالق , وبداية الخليقة و نهايتها , وبعثها ووقوفها للحساب عند بارئها , وصور عذاب أشقيائها , ومنازل التكريم لفائزيها ، ومن الظواهر الأسلوبية التي تشد قارئ القرآن نظمه المعجز في أوجز عبارة , وأحكم بناء , وأدق تعبير , وجمال تركيب , وسنحاول في هذا المبحث دراسة أشكال التلقي لأساليب الايجاز في الخطاب القرآني في مستويي: الإيجاز بالقصر والإيجاز بالحذف.

وقد اخترنا دراسة أبعاد الإيحاء كأبرز شكل من أشكال الحذف , ورصد بعض صوره في القرآن الكريم بالإضافة إلى بعد التكثيف الدلالي في الإيجاز بالقصر , وعلاقة كل ذلك بعملية التلقي , وقد وضعنا كهدف لهذا المبحث الإجابة عن الأسئلة التالية :

1- ما هي مجالات القراءة ومستوياتها , وحدودها في فهم الإيجاز في الخطاب القرآني ؟

2- وما هي الظواهر التأثيرية التي يثيرها الحذف لدى القارئ ؟

3- ما هي وجوه التلقي الجمالي للحذف في الخطاب القرآني؟

**أ– الإيجاز بالقصر والتكثيف الدلالي :**

إنَّ طبيعة الإيجاز التركيبي يجعل التوهج , والاشعاع الدلالي ينطلق من أوجز العبارات , ويجعله يرتكز على أسس تركيبية , وصرفية , وصوتية خاصة , فهذا النوع من الاقتصاد اللغوي الذي يحتاج من القارئ إدراكا دقيقا للدلالات الوضعية للمفردات , والدلالات المتولدة الجديدة الناتجة من السياقات التركيبية التي ترد فيها , وتتطلب تنبها لما تطويه تلك التراكيب الموجزة من مستويات دلالية متنوعة ولا شك أن المفسر لكتاب الله –كقارئ ومتلق متمرس يجمع الأدوات اللغوية , والنحوية والصرفية والصوتية اللازمة – باستطاعته إدراك بعض تلك المنتجات الدلالية للإيجاز القرآني ما دامت تلك القراءة بشرية نسبية لخطاب مطلق لا حد لدلالته ضمن الفضاءين: الزماني والمكاني .

وحدود القراءة التفسيرية طبعا لا تقف عند الجوانب اللغوية فحسب– وإلا فهي قراءة معرضة للزلل – بل تحتاج إلى إحاطة واسعة بجملة من الشروط العلمية , والمنهجية الضابطة لتلك القراءة من ذلك :

– هضم وإتقان للحديث الشريف .

– إطلاع على فهوم الجيل الأول من الصحابة .

– إلمام بأوجه القراءات المتواترة للقرآن الكريم .

– إطلاع واسع على التراث العربي شعرا ونثرا.

– ذائقة مرهفة ، وحس دقيق للجمال ، وسعة أفق فكري.

– معرفة بأسباب النزول ، وكذا معرفة بالناسخ والمنسوخ.

– معرفة بالسياق التاريخي، والجغرافي، والإثني للبيئة التي نزل فيها الوحي.

وكلها شروط وضوابط سياقية ضرورية من أجل قراءة واعية، ومسئولة وعلمية للخطاب القرآني، ومهما يكن من أمر فإن تجليات هذا التكثيف الدلالي في القرآن الكريم يكون أحيانا من خلال طريقة التصوير، وأهم أدوات هذه الطريقة : الاستعارة ، والتشبيه ، والكناية وغيرها، من ذلك مانجده في هذه الآيات : ﴿ **ياأيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا. وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا** ﴾ الأحزاب(46/45) فإن في هذه الاستعارة مجالا واسعا لانفتاح الدلالة أمام خيال قارىء

القرآن، ومضمون هذه الصورة ﴿**وسراجا منيرا**﴾ " استعارة للنور الذي يتضمنه شرعه ، فكأنَّ المهتدين به ، والمؤمنين يخرجون بنوره من ظلمة الكفر"[219].

" أي يستضاء به في ظلم الضلالة كما يستضاء بالمصباح في الظلمة".[220]

و لننظر إلى هذه الكناية و ظلالها الدلالية التي تصوِّر قصة أصحاب الفيل :﴿ **ترميهم بحجارة من سجيل** (4) **فجعلهم كعصف مأكول** (5)﴾ الفيل (5/4).

" وذهب غير واحد إلى أنَّ المعنى كتبن أكلته الدَّواب ، وراثته ، والمراد كروث إلاَّ أنه لم يذكر بهذا اللفظ لهجنته فجاء على الآداب القرآنية ، فشبه تقطع أوصالهم بتفرُّق أجزاء الرَّوث ففيه إظهار تشويه حالهم ."[221]

ولننظر إلى ما انطوت عليه هاتين الجملتين من الآية الكريمة في وصف الجنة : ﴿ **وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين**﴾الزخرف 71.

" إنَّ الأنفس جميعها ، والأعين كلها ، لو أطلق لها العنان لتتصوَّر، وتتخيل ما يشتهى ، ويلذ ، فإنَّ كلَّ ما تصوَّرت و تخيلت لموجود في الجنة أكثر و أكثر"[222].

أي أنَّ لقارئ القرآن مجالا رحبا يقرأ من خلاله في صفحة خياله الظلال الدلالية التي تثيرها فيه هذه التراكيب الموجزة في ألفاظها ، الواسعة في فضاءاتها الدلالية .

ومناط التخيل في الخطاب القرآني يكون أحيانا من خلال أقلِّ الوحدات التركيبية ، والمتمثلة في الحروف مثلما نجده في هذه الآية من سورة طه في وصف إغراق الله لفرعون وجنوده:﴿**فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليمِّ ما غشيهم** ﴾طه78.

وفي هذا يقول صاحب الكشاف: " ( ما غشيهم ) من باب الاختصار ، ومن جوامع الكلم التي

---

[219] – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ابن عطية الأندلسي ، دار الخير بيروت ، لبنان ، تح : الرحالةالفاروق، عبد الله ابراهيم الأنصاري ، السيد عبد العال السيد ابراهيم ،محمد الشافعي الصادق العناني ، ط2 ، 2007، مج :07، ص : 128.

[220] – فتح القدير ، الشوكاني ، ص : 1173.

[221] . روح المعاني ، الألوسي ، ج30، ص 237.

[222] . من بلاغة النظم القرآني،دراسة بلاغية تحليلية ،د:البسيوني عبد الفتاح فيود،مؤسسة المختار ، القاهرة،ط1، 2010،ص 222.

تستقلُّ مع قلتها بالمعاني الكثيرة ، أي : غشيهم ما لا يعلم كنهه إلاَّ الله "[223].

ومن الإيجاز الذي يأتي على هيئة ألفاظ جامعة :

﴿ **خذ العفو و أمر بالعرف و أعرض عن المشركين** ﴾ الأعراف 199.

وقوله تعالى : ﴿ **إنَّ الله يأمر بالعدل و الإحسان و إيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر و البغي** ﴾ النحل 90.

ففي الآية الأولى توجيه إلى جملة من الأخلاق في ألفاظ جامعة قليلة ، ففي أخذ العفو " التسامح في الحقوق ، واللين والرفق في الدعاء إلى الدين ، والصفح عمن أساء و الرفق في الأمور كلها ، وفي (الأمر بالعرف ) صلة الرحم ، وحفظ اللسان ، وغض البصر وكف الأذى ، والقيام بمتطلبات الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة ، والموعظة الحسنة ، وفي ( الإعراض عن الجاهلين ) التؤدة في معالجتهم والترفق بهم ، و الصبر عليهم ، والحكم و كظم الغيظ "[224] .و هذه الآية تعطينا صورة في غاية الوضوح عن الحمولة الدلالية لتلك الألفاظ المركزَّة الكثيفة التي يربو معناها بكثير عن ألفاظها ، ونفس الأمر نجده في الآية الأخرى ." وقد روي عن عبد الله بن مسعود قوله :( ما في القرآن آية أجمع للخير والشر من هذه الآية )"[225] .

" إذ العدل هو الصراط المستقيم ، والوسطية التي جعل الله عليها هذه الآمة ، قال تعالى: ﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس** ﴾ البقرة 143.، فلا إفراط و لا تفريط ، بل عدل في جميع الأمور ، اعتقادا وعبادة ، وعملا و خلقا.

و الإحسان هو الإخلاص و المراقبة ،كما جاء معناه في الحديث : ( أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ).و ذا يستلزم الاتقان و الإخلاص و المراقبة و الخضوع و الخوف من ذي الجلال

و الإكرام .و إيتاء ذي القربى يتسع لكلِّ النوافل التي بنبغي النهوض بها ، هذا فيما أمر الله تعالى به في هذه الآية ، أما النهي فعن كلِّ خصال الشر ، عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وعن المنكر:

---

[223] . الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، الزمخشري ، تح : الشخ عادل أحمدعبد الموجود الشيخ علي محمد معوض ، مكتبة العبيكان ، الرياض ،ط1، 1998، ص 99، ج4.

[224] . من بلاغة النظم القرآني ، د: بسيوني عبد الفتاح قيود ، ص 220.

[225] . المرجع نفسه 221.

كلُّ ما أنكره الشرع وحرمه ، وعن البغي : الاستكبار ، والطغيان ، ومجاوزة حدود الله التي نهى عن مقاربتها "[226].

**ب ــ الحذف في القرآن و الإيحاء** : يعتبر الحذف من الآليات المهمة في الإيحاء للمتلقي بتصوُّر ماهية دِّلالات العناصر المحذوفة في الخطاب القرآني ، وهو مؤشر أيضا على تعميم الدِّلالة ، واتساع أفق التأويل لدى المتلقي [227].وهذا المعنى نستشفه من قول صاحب البرهان في علوم القرآن عن فائدة الحذف " فمنها التفخيم و الإعظام ؛ لما فيه من الإبهام ، لذهاب الذهن في كلِّ مذهب ، وتشوُّفه إلى ما هو المراد ، فيرجع قاصرا عن إدراكه ، فعند ذلك يعظم شأنه ، ويعلو في النفس مكانه .ألا ترى أنَّ المحذوف إذا ظهر في اللفظ زال ما كان يختلج في الوهم من المراد ، وخلص للمذكور ! "[228].

ومن فوائده أيضا :" زيادةُ لذّة بسبب استنباط الذهن للمحذوف ، وكلما كان الشعور بالمحذوف أعسر ، كان الالتذاذ به أشد و أحسن .

ومنها زيادة الأجر بسبب الاجتهاد في ذلك ...ومنها طلب الإيجاز و الاختصار و تحصيل المعنى الكثير في اللفظ القليل " [229].

و ضمن هذا الإطار يأتي الحذف في الخطاب القرآني ليترك للنفس فسحة لتجول في تلك المعاني المطوية .

و لنتأمل قوله تعالى :﴿ **حتى إذا جآءوها وفتحت أبوابها** ﴾ فقد وقع حذف جواب الشرط ليراد به التعجب والتهويل و إطلاق الخيال يحلق بعيدا في تصوُّر تلك المعاني المحذوفة مع جواب الشرط . "والواو للحال ، والجملة حالية بتقدير (قد) على المشهور أي جاءوها وقد فتحت لهم أبوابها كقوله تعالى :﴿ **جنات عدن مفتحة لهم الأبواب** ﴾ ويشعر ذلك بتقدُّم الفتح كأنَّ خزنة الجنات فتحوا أبوابها ووقفوا منتظرين لهم ، وهذا كما يفتح الخدم باب المنزل للمدعو للضيافة قبل قدومه ، وتقف منتظرة له ، وفي ذلك من الاحترام و الإكرام ما فيه ، والظاهر أنَّ قوله تعالى : ﴿**وقال لهم خزنتها** ﴾

---

[226] . المرجع نفسه 221/220.

[227] . ينظر:دراسات أسلوبية في تفسير الزمخشري،د: مسعود بودوخة ،عالم الكتب الحديث،إربد الأردن ، ط1، 2011،ص 143.

[228] . البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، ج3، ص 104.

[229] . المصدر نفسه ، ص 105.

إلخ عطف على ﴿ **فتحت أبوابها** ﴾ وجواب (إذا ) محذوف مقدَّر بعد ﴿**خالدين**﴾ للايذان بأنَّ لهم حينئذ من فنون الكرامات مالا يحيط به نطاق العبارات" [230].

ومنه أيضا حذف جواب القسم من مثل قوله تعالى ﴿ **ق.و القرآن المجيد. بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب** ﴾ على رأي من ذهب إلى أنه محذوف [231]، فقد اختلف عدد من العلماء في تقديره :"كأنه قيل : والقرآن المجيد إنا أنزلناه لتنذر به الناس وقدَّره أبو حيان : إنك جئتهم منذرا بالبعث ، ونحو ما قيل : هو إنك لمنذر ...وقال الأخفش . و المبرد والزجاج : تقديره لتبعثن "[232].

فالملاحظ هو ذلك الهامش التقديري الذي تركه حذف جواب الشرط وكان بابا لتعدد المعنى .

وقد يكون في حذف جواب القسم تعويل على فهم المتلقي ،و لنتأمل :هذه الآيات من سورة النازعات : ﴿ **والنازعات غرقا .و الناشطات نشطا .و السابحات سبحا . فالسابقات سبقا .فالمدبرات أمرا .يوم ترجف الرَّاجفة .تتبعها الرَّادفة .قلوب يومئذ واجفة . أبصارها خاشعة . يقولون أءنا لمردودون في الحافرة .أءذا كنا عظاما نخرة** ﴾.النازعات (11/1).

" ولم يأتي الجواب لعلم السامع به ، إذ كان فيما تأخر من قوله دليل عليه ؛ كأنه قال : والنازعات وكذاو كذا ، لتبعثنَّ ؛ فقالوا ﴿ **أءذا كنا عظاما نخرة** ﴾ نبعث ؟! "[233].وجآء في سورة الرعد ﴿ **ولوأنَّ قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعا** ﴾ الرعد 31.ففي هذه الآية حذف جواب (لو) لدلالة المقام عليه .

" والمعنى : ولو أنَّ قرآنا ( سيرت به الجبال) عن مقارها ، وزعزعت عن مضاجعها ،( أو قطعت به الأرض ) : حتى تتصدَّع ، وتتزايل قطعا ، ( أو كلم به الموتى ) فتسمع وتجيب ، لكان هذا القرآن لكونه غاية في التذكير ونهاية في الإنذار و التخويف "[234].

---

[230] . روح المعاني ، الألوسي ، ج24، ص 34.

[231] . انظر فتح القدير ، الشوكاني ، ص 1396.

[232] . روح المعاني ، الألوسي ، ص 172، ج26، فتح القدير ، الشوكاني ، ج26، ص 1396.

[233] . تأويل مشكل القرآن ، ابن قتيبة ، دار التراث ، القاهرة ، ط2، 1973، تح : السيد أحمد الصقر ، ص 224.

[234] . الكشاف ، الزمخشري ، ج 3،ص 351-352.

ووجه تخصيص هذه الأشياء الثلاثة من بين الخوارق المذكورة أنَّ كفارا من قريش أرسلوا إلى النبي قائلين : لو وسعت لنا جبال مكة فسيرتها حتى تتسع أرضنا فنحترتها فإنها ضيقة ، أو قرِّب إلينا الشام فإنا نتجر إليها ، أو أخرج قصيا نكلمه [235].

وفي سورة النور:ورد حذف جواب لولا في﴿**ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأنَّ الله تواب حكيم** ﴾ النور 10.

﴿**ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأنَّ الله رؤوف رحيم** ﴾النور20.

"وقال المبرد تأويله والله أعلم : لهلكتم ، أو لم يبق لكم باقية ، أو لم يصلح أمركم ، ونحوه من الوعيد الموجع "[236].

" وقال الزجاج : المعنى لنال الكاذب منكم أمر عظيم ؛ وهذا أجود مما قدَّره المبرد"[237].

" وكذلك (لولا) التي بعدها في قوله تعالى:﴿**ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأنَّ الله رؤوف رحيم**﴾ جوابها محذوف ، وقدره بعضهم في الأولى ، لافتضح فاعل ذلك وفي الثانية : لعجل عذاب فاعل ذلك "[238].

يقول الزمخشري بأنَّ إعادة ذكر المنة بترك المعاجلة بالعقاب " حاذفا جواب لولا كما حذفه ثمة ، وفي هذا التكرير مع حذف الجواب مبالغة عظيمة " [239].و عدم الذكر هذا أبلغ و أوقع في النفس من الذكر بتخيل عذاب الله واقعا لهم يمنعه فضل الله ورأفته بعباده،وفيه دليل على تعظيم الحرمات وعدم الخوض فيها صونا للأعراض .

إذن فعدم الذكر في الخطاب القرآني يجعل القارئ يتساءل عن الدِّلالات المتوارية ، والتي يسمح بها السياق مما يولد لديه طاقة تخيلية ونشاطا تفاعليا مع الخطاب القرآني يقول ابن القيم في تفسيره لسورة التكاثر : " و ( التكاثر ) تفاعل من الكثرة ؛ أي : مكاثرة بعضكم لبعض ، وأعرض عن ذكر

---

[235] . ينظر : التحرير والتنوير ، الطاهر بن عاشور : ج13، ص 143، مفاتيح الغيب ، الفخر الرازي ، ج19، ص 54.

[236] . البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ،ج3، ص 187.

[237] . المصدر نفسه ، ص 187.

[238] المصدر نفسه ، ص 187.

[239] . الكشاف ، الزمخشري ، ج4، ص 278.

المتكاثر به إرادة لإطلاقه ، وعمومه ، وأنَّ كلَّ ما يكاثر به العبد غيره . سوى طاعة الله ، ورسوله وما يعود عليه بنفع معاده . فهو داخل في هذا التكاثر فالتكاثر في كلِّ شيء ، من مال ، أو جاه ، أو رئاسة ، أو نسوة ، أو أو حديث أو علم . ولا سيما إذا لم يحتج إليه . و التكاثر في الكتب والتصانيف ، وكثرة المسائل وتفريعها ، وتوليدها ، والتكاثر أن يطلب الرجل أن يكون أكثر من غيره وهذا مذموم ؛ إلاَّ فيما يقرب إلى الله "[240].

فعدم ذكر ماهية ذلك التكاثر فتح للعقل استقصاء للوجوه التي يمكن أن تندرج في مفهوم لفظة التكاثر.

ومن المظاهر البارزة للحذف في القرآن الكريم عدم ذكر مفعول المشيئة بعد : لو ، و إن : وقد ذكر الزركشي بأنه يكون للبيان بعد الإبهام [241]، ولنتأمل هذه الآيات :

﴿ **ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم** ﴾البقرة 20.

﴿**ولو شاء الله لجمعهم على الهدى** ﴾ الأنعام 35.

﴿ **ولو شاء لهداكم أجمعين** ﴾النحل 09.

﴿ **فإن يشأ الله يختم على قلبك** ﴾ الشورى 24.

﴿ **من يشأ الله يضلله** ﴾ الأنعام 39.

أي لو شاء الله أن يفعل ذلك لفعل .

وتتجلى القيمة التأثيرية في هذا الحذف في أنَّ النفس تتطلع إلى معرفة المحذوف " فإذا ما ذكر الجواب الدَّال عليه ، وقع في النفس موقعة لأنها قد تعلقت بشيء أبهم ، ثم استبان بالجواب ، فيكون لهذه الاستبانة وقع ، وأثر في النفس أيُّ أثر " [242].

إنَّ من جماليات الحذف في الخطاب القرآني قدرته المعجزة على تصوير الأحاسيس ورسم الأجواء النفسية ، ببعث إيحاءات ، وإشارات دقيقة في نفس و عقل القارئ حتى يغوص في الأبعاد الدلالية

---

[240] . الفوائد ، لابن القيم الجوزية ، دار بن الجوزي ، القاهرة مصر ، ط1، 2006، ص 34/33.

[241] . ينظر: البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، ج3، ص 168،167، 169.

[242] . من بلاغة النظم القرآني ، د: بسيوني عبد الفتاح فيود ، ص 111.

للخطاب ، وقد يكون هذا الإيحاء بحذف أقل الوحدات التركيبية مثل الحرف ، ولننظر إلى ما أحدثه عدم ذكر حرف النداء في هذه الآية من ظلال ، وإيحاءات في سورة يوسف : ﴿ **يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين** ﴾ يوسف 29.حذف حرف النداء أي : يا يوسف أعرض عن هذا " ووراء حذف حرف النداء تكمن معان غزيرة ، يكمن تقريب يوسف وملاطفته ، فقد ثبتت براءته ، وحقت به تلك الملاطفة ، ثم إنَّ الملاطفة وراءها مأرب يشعر به الحذف أيضا ، وهو الايماء بأنَّ ما حدث يجب أن يضمر في السرائر فلا ينطق به إنسان ، ولا يجري به لسان كما ينبئ هذا الحذف بحال العزيز ويصوِّر آلامه ، وضيق صدره عندما وقف على حقيقة الأمر ، وثبت أنَّ امرأته هي التي أرادت السوء ، ولذا أجمل الحدث ، وأشار إليه بكلمة واحدة(هذا) رغبة في إخفائه ، وأملا في كتمانه وعدم إشاعته "[243].

وتتعدَّد الحذوفات في القرآن الكريم من حذف للمسند و المسند إليه ، والصفة ، والموصوف والمفعول به وغيرها من الوحدات ، وليس الغرض استقصاءها كلها و إنما غرضنا دراسة جماليات الحذف وحمولاته الإيحائية , والتخييلية بالنسبة للقارئ , وهنا نكتفي بالإشارة إلى حذف المسند إليه في سياقين متشابهين : ﴿**كلا إذا بلغت التراقي.وقيل من راق.وظن أنه الفراق.والتفت الساق بالساق.إلى ربك يومئذ المساق** ﴾ القيامة (26 إلى 30).

﴿ **فلولا إذا بلغت الحلقوم.وأنتم حينئذ تنظرون.ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون**﴾ الواقعة ( 83إلى 85). فالمحذوف هنا ( الروح , أو النفس )[244], لأنه " لا يبلغ التراقي والحلقوم عند الموت إلا الروح , ووراء الحذف في الآيتين سر آخر , وهو الإشعار بما صارت إليه الروح , فقد أصبحت على وشك أن تفارق الجسد , وكأن طيها من اللفظ دليل على وشك المفارقة , وقرب صعودها إلى بارئها "[245].

ومن الجوانب المهمة للحذف في القرآن الكريم ما يوجد في القصص القرآني : من حذف لمشاهد كاملة بتعبير سيد قطب , أو حذفا لأكثر من جملة بحسب بعض البلاغيين , وتلك الفراغات تسمح للقارئ بتخيلها من ذلك ما ورد في هاتين الآيتين من سورة يوسف : ﴿ **وقال الذي نجا منهما**

---

[243] . المرجع نفسه ، ص 96.

[244]. ينظر , فتح القدير , الشوكاني ج27, ص1452 , روح المعاني ، الألوسي : ج29/ص146

[245] من بلاغة النظم القرآني , د بسيوني ع الفتاح فيود , ص100

**وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون.يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون** ﴾ (46/45). فقد انتهى المشهد عند قول الشرابي ( فأرسلون ) ليبتدأ المشهد الموالي بخطاب المرسل إلى يوسف مباشرة , وقد ذهب المفسرون في تقدير ذلك الحيز ما بين المشهدين إلى أوجه عديدة يقول صاحب مفاتيح الغيب " فأرسل وأتاه وقال أيها الصديق "[246]وعند الزركشي : " فأرسلوني إلى يوسف لأستعبره الرؤيا , فأرسلوه إليه لذلك , فجاء فقال له "[247]

ومن سورة النمل , حينما أمر سليمان الهدهد بحمل كتابه إلى ملكة سبأ (بلقيس ): ﴿ **إذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون** ﴾ النمل (28) ونقرأ مباشرة بعدها حديث الملكة إلى الملإ بأن كتابا كريما قد ألقي إليها :﴿**قالت يا أيها الملأ إني ألقي إلي كتاب كريم (29) إنه من سليمان وإنه باسم الله الرحمن الرحيم (30) ألا تعلو علي وأتوني مسلمين (31)**﴾. ولا شك فيما لهذا الحذف بين المشهدين من توسيع للمدارك التخييلية عند قارئ القرآن وتحفيز تنبهه لسيرورة الأحداث في نسج القصة . ولكي نعطي تمثيلا دقيقا عما نقول نرصد ما قاله المفسرون في هذه الجزئية :

جاء في الكشاف : " فيقال : دخل عليها من كوة فألقى الكتاب إليها , وتوارى في الكوة ".[248]

وفي فتح القدير : " في الكلام حذف , والتقدير : فذهب الهدهد , فألقاه إليهم , فسمعها تقول يا أيها الملأ "[249]

أما الألوسي فيورد روايات كثيرة عن كيفية دخول الهدهد إلى بلقيس , ولكن ما يهمنا ما أورده من تعليل طي ذلك المشهد :

" وإنما طوى ذكره إيذانا بكمال مسارعته إلى إقامة ما أمر به من الخدمة , وإشعارا بالاستغناء عن التصريح به لغاية ظهوره " [250]

---

[246] مفاتيح الغيب , الفخر الرازي ج12/ص152- انظر فتح القدير ، الشوكاني ص699 ج13

[247] البرهان في علوم القرآن , الزركشي ج3/ص194

[248] الكشاف , الزمخشري , الجزء الرابع , ص450.

[249] فتح القدير , الشوكاني , ج: 19/ص1079

وسيكون لنا تفصيل إن شاء الله لدراسة أساليب الإيجاز في بناء القصة القرآنية في الفصل الثالث .

وكخلاصة لهذا المبحث الذي تناولنا فيه مفهوم التلقي في الخطاب القرآني وعلاقة الإيجاز بهذا المفهوم كآلية فعالة تشد القارئ للقرآن من أجل تدبره , والإمعان في سياقاته وتراكيبه وجدنا :

أنَّ الإيجاز بالقصر يمتاز بخواص إعجازية في شد القارئ إلى القرآن من حيث التكثيف الدلالي وتعدد المعنى , وأن من صور هذا الإيجاز طريقة التصوير الذي يجمع للقارئ الإيحاء , وقوة التأثير من خلال الصورة المركزة , واتساع الدلالة أمام المتلقي .

وفي الإيجاز بالحذف لاحظنا مكمن التأثير في المخاطب يأتي وفق عدة أوجه منها :

1- الإيحاء , والتخيل .

2-التهويل , والتعظيم .

3- تمكين معاني المحذوفات في نفس المتلقي ببحثه عنها.(بعد تربوي – تعليمي).

4- التنبيه , والتحفيز على تتبع سيرورة الخطاب القرآني .

[250] روح المعاني , الألوسي الجزء : 19 , ص194.

## المبحث الرابع : المناسبة في أساليب الإيجاز :

### أ ـ مفهوم المناسبة :

**أ ـ 1 لغة** :" المناسَبَة في اللغة : المشاكلة ، والمقاربة " [251].

وفي مادة نسب أورد ابن منظور :

" . النسَبُ : نسَبُ القرابات .

. النسبة و النسبة ، والنسب : القرابة.

. و ناسبه : شَرِكَهُ في نَسَبِه .

. وتقول : ليس بينهما مناسبة أي مشاكلة ."[252].

### أ ـ2 اصطلاحا :

يعتبر علم المناسبة من علوم القرآن التي اعتنت بدراسة جوانب الارتباط ، و التناسب ، والانسجام في آي ، و سور القرآن الكريم ، بحيث أنَّ الغاية من هذا العلم التأكيد على أنَّ القرآن وحدة واحدة وبنيان معجز في تماسك تراكيبه ، ومعانيه .

" لقد كانت نظرة الباحثين في إعجاز القرآن قائمة على الإيمان بالتناسب التامِّ للنص القرآني سواء في ذلك تناسب أجزائه في ذاتها ، وتناسب تراكيبه مع المقامات الواردة فيها ،وبذلك تناولوا القرآن الكريم نصا متجانسا تلتحم فيه الأجزاء ، وتترابط عناصرها لتؤدي وظيفة عامة تتسق و المقام الواردة فيه "[253].

وعن معنى الارتباط ، في الآيات يقول السيوطي :

" ومرجعها في الآيات و نحوها إلى معنى رابط بينها عامٌّ أو خاصٌّ ، عقليٌّ أو حسي أو خياليٌّ أو غير

---

[251] . الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي ج 3 ، 262.

[252] . لسان العرب ، ابن منظور ، مادة نسب ، مج 6 ، ص 4405.

[253] . عناصر الوظيفة الجمالية في البلاغة العربية ، د: مسعود بودوخة ، عالم الكتب الحديث ، إربد الأردن،ط1،2011ص 175.

ذلك من أنـواع العلاقات ، أو التلازم الذهني كالسبب و المسبب ، والعلة و المعلــول، و النظيــرين والضدَّين "[254].

" و الذي ينبغي في كلِّ آية أن يبحث أوَّل كلِّ شيء عن كونها مكملة لما قبلها ، أو مستقلة ، ثم المستقلة ؛ ما وجه مناسبتها لما قبلها ؟ ففي ذلك علم جمٌّ ، وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له "[255].

أما عن فائدته فيقول السيوطي :

" وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض ، فيقوى بذلك الارتباط و يصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء "[256].

و هو دليل واضح على السبق الحاصل للتفكير الإسلامي من خلال دراسة نصية الخطاب القرآني في بعده الشامل .

و يعتبر أحمد بن ابراهيم بن الزبير الثقفي أو ما يعرف بأبي جعفر الغرناطي (708هـ ) من أوائل من كتب في تناسب السور ، إذ أنَّ الدِّراسات حول المناسبة في الخطاب القرآني كانت قبله تتوقف عند حدود المناسبة و الارتباط في حدود الآيات :

" و إني تأملت منها ـ بفضل الله ـ وجوه ارتباطاته ، وتلاحم سوره ، وآياته إلى ما يلتحم مع هذا القبيل من عجائب شواهد التنزيل ، فعلقت في ذلك ما قدر لي ثمَّ قطعت بي قواطع الأيام عن تتميم رومي من ذلك و عملي ، فاقتصرت بحكم الاضطرار في هذا الاختصار على توجيه ترتيب السور وإن لم أر في هذا الضرب الخاص شيئا لمن تقدَّم وغبر ، وإنما بدر لبعضهم توجيه ارتباط آيات في مواضع مفترقات "[257]. هذا ونشير إلى ما أورده الزركشي في البرهان من أنَّ أول من أظهر علم المناسبة الإمام أبو بكر النيسابوري الفقيه الشافعي (324 ت) "وكان يقول على الكرسي إذا قرئ عليه

---

[254] . الاتقان في علوم القرآن ، السيوطي ، ج3،ص 262.

[255] . البرهان في علوم القرآن، الزركشي ،ج1،ص 37.

[256] . المصدر نفسه ، ج3،ص 262.

[257] . البرهان في تناسب سور القرآن ، أحمد بن براهيم بن الزبير الثقفي ، تح :د:سعيد بن جمعة الفلاح ، دار بن الجوزي ، ط1 1428هـ ، ص 76،77.

الآية: لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه ؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة ؟ وكان يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة "[258] أي أن هذا العلم كان معروفا ،ويدرس في حلقات العلم منذ القرن الرابع للهجرة ، إلا أنه لم تؤلف فيه كتب وإلا لكان الغرناطي أشار لذلك .

وكتب بعد الغرناطي في هذا المجال الإمام السيوطي كتابه ، تناسق الدُّرر في تناسب الدُّرر ، ولبرهان الدين البقاعي كتاب آخر ( نظم الدُّرر في تناسب الآي و السور )[259].

و الحقُّ أنَّ مباحث هذا العلم كانت موجودة ، وتناولها المفسرون ، وإن لم تتبلور في كتاب خاص يدرس جانبا معينا كتناسب السور للغرناطي ، ومن أهمِّ التفاسير التي تعرضت لوجوه المناسبة في الخطاب القرآني نجد كشاف الزمخشري (467هـ، 538هـ ) ، ومفاتيح الغيب للفخر الرَّازي ( 544هـ ، 604هـ ) ، وحاك جل المفسرين المحدثين على منوالهما على غرار : الشوكاني في فتح القدير، الألوسي في روح المعاني، الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير وغيرهم.

أما عن التناسب فهو نوعان : تناسب عام يعنى بالجانب المقامي ، أي مناسبة الكلام وما سيق له وتناسب خاصٌّ يعنى بدراسة تناسب الحروف في الكلمة ، والكلمات مع بعضها البعض في السياق التي ترد فيه ، وبالجانب الايقاعي في فواصل الآيات .

فإذا نظرنا إلى هذا التقسيم وجدناه في مباحث البلاغيين أيضا إذ أنهم عدُّوا مطابقة الكلام لمقتضى الحال معيارا جماليا ثابتا [260]، واعتبروه من بلاغةالكلام .

" و أما بلاغة الكلام فهي : مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته ، ومقتضى الحال مختلف ، فإنَّ مقامات الكلام متفاوتة ، فمقام التنكير يباين مقام التعريف ومقام الاطلاق يباين مقام التقييد ومقام التقديم يباين مقام التأخير ، ومقام الذكر يباين مقام الحذف ...، وكذا خطاب الذكي يباين خطاب العبي ، وكذا لكلِّ كلمة مع صاحبتها مقام"[261].

ويلخص القزويني مفهوم المطابقة بهذا التعبير الجامع ، والدَّقيق :

---

[258] – البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، ج 1 ، ص 36.

[259] . ينظر : الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي ، ج3، ص 261.

[260] . ينظر: عناصر الوظيفة الجمالية في البلاغة العربية ، د: مسعود بودوخة ، ص 173، 174.

[261] . الإيضاح في علوم البلاغة : الخطيب القزويني ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان ، ص 11، 12.

" فمقتضى الحال هو الاعتبار المناسب " [262]، وهذا النوع من مشمولات علمي المعاني والبيان ، أما التناسب الخاص في مباحث البلاغيين فقد انصبَّ اهتمامه على رصد الجوانب البديعية في النصوص النثرية و الشعرية ، وهي مباحث تتناول الوزن و القافية ، والطباق ، و الجناس ...الخ ، أي الجوانب التي يرجى منها تحسين جوانب الجمال في صياغة التراكيب ، وأيضا يكون التناسب في تجانس الحروف في الكلمة إلى تجاور وتناسب الكلمة بإزاء الأخرى إلى الانسجام العام للتركيب بعيدا عن أي تعقيد تركيبي أو معنوي :

" و الانسجام أن يكون الكلام لخلوِّه من العقادة كانسجام الماء في انحداره ، ويكاد لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه أن يسيل رقة ، وغالب ما يأتي ذلك إذا لم يقصدوا فيه نوعا من أنواع البديع يحصل به التكلف "[263] .

**ب ـ الإيجاز والتناسب العام** : قلنا إنَّ التناسب العام هو رباط معنوي يشدُّ أركان التراكيب ويجعلها تلتحم في كيان منسجم دلاليا وهذا الانسجام ظاهرة موجودة في القرآن كله ، وإذا أخذنا أقصر سور القرآن مثالا لبدى لنا بكلِّ وضوح ذلك التناسق المعجز ، من ذلك ما لاحظه السيوطي في سور : القارعة ،و التكاثر،و العصر،و الهمزة بحيث نرى انتظامها الدلالي الباهر :" أقول : هذه السورة واقعة موقع العلة لخاتمة ما قبلها ، كأنه لما قال هناك : ﴿**فأمه هاوية** ﴾ ، قيل : لم ذلك ؟ فقال : لأنكم ﴿ **ألهاكُم التكاثر** ﴾ ، فاشتغلتم بدنياكم ، ، وملأتم موازينكم بالحطام ، فخفت موازينكم بالآثام ولهذا عقبها بسورة العصر ، المشتملة على أنَّ الإنسان في خسر ، بيان لخسارة تجارة الدنيا ، وربح تجارة الآخرة ، ولهذا عقبها بسورة الهمزة المتوعد فيها من جمع مالا وعدَّده يحسب أنَّ ماله أخلده فانظر إلى تلاؤم هذه السور الأربع ، وحسن اتساقها "[264].

و هكذا يستمرُّ ذلك التجانس على نحو عجيب مع ما يلي تلك السور : ففي سورة الفيل التي قصت في خمس آيات في غاية القصر حكاية أصحاب الفيل الذين حاولوا هدم البيت الحرام وكيف انتهى أمرهم إلى شرٍّ مآل ، يلي هذه السورة مباشرة ، سورة قريش يقول أبو جعفر الغرناطي : " أي

---

[262] . المصدر نفسه ، ص 12.

[263] . شرح عقود الجمال في علم المعاني و البيان ، السيوطي ، دار الفكر ، بيروت . لبنان ، ص 153.

[264] . تناسق الدرر في تناسب السور ، السيوطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان ، ط1، 1986، ص 143.

أنه تعالى فعل ذلك بأصحاب الفيل ، ومنعهم عن بيته ، وحرمه لانتظام شمل قريش ، وهم سكان الحرم ، وقطان بيت الله "[265].

وعلى هذا النحو من التجانس تنتظم كلُّ سور القرآن من الفاتحـة إلى آخر سورة في المصحف والأمر نفسه في ارتباط الآيات مع بعضها البعض يقول الزركشي " وإذا ثبت هذا بالنسبة إلى السور فما ظنك بالآيات وتعلق بعضها ببعض! بل عند التأمل يظهر أنَّ القرآن كله كالكلمة الواحدة ".[266]

إنَّ عملية الوصول إلى إدراك تلك الرَّوابط الخفية تتطلب إعمالا للتفكير و التدبر يصل أطراف الجمل

و العبارات بعضها ببعض مثلما نجده في سورة الغاشية عند قوله تعالى :﴿ **أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ، وإلى السماء كيف رفعت ، وإلى الجبال كيف نصبت ،وإلى الأرض كيف سطحت** ﴾. الغاشية (17إلى 20).

فقد وقع التساؤل عن وجه الجمع بين الإبل ، والسماء و الجبال ، والأرض " و الجواب أنه جمع بينها على مجرى الإلف و العادة بالنسبة إلى أهل الوبر، فإنَّ كلَّ انتفاعهم في معايشهم من الإبل ، فتكون عنايتهم مصروفة إليها ، ولا يحصل إلاَّ بأن ترعى وتشرب ، وذلك بنزول المطر ؛ وهو سبب تقلب وجوههم في السماء ثمَّ لابدَّ لهم من مأوى يأويهم ، وحصن يتحصنون به ، ولا شيء في ذلك كالجبال ، ثمَّ لا غنى لهم . لتعذُّر طول مكثهم في منزل . عن التنقل من أرض إلى سواها ؛ فإذا نظر البدوي في خياله وجد صورة هذه الأشياء حاضرة فيه على الترتيب المذكور "[267].

إنَّ تلك الملاحظات العميقة التي رصدت الروابط التي تجمع أجزاء الكلام بعضه ببعض تصب في رصد هذا النوع من التناسب في الخطاب القرآني والذي يوظف حينما لا يظهر الارتباط تركيبا بين الآي ،أي في المستوى السطحي،فيتوصل إلى مستوى آخر. المستوى العميق . الذي يحصل من خلاله التجانس العام .

و إذا انتقلنا إلى وجوه التناسب العام في الإيجاز بالحذف . وهو سقوط ذكر وحدة من وحدات التركيب ، أو حرف فأكثر في الكلمة الواحدة ، أو حذف لأكثر من تركيب . و معرفة ماهية ذلك

---

[265] . البرهان في تناسب سور القرآن ، أحمد بن ابراهيم بن الزبير الثقفي ، دار ابن الجوزي ، ص 218.

[266] . البرهان في علوم القرآن ، الزركشي، ص 39 .

[267] . المصدر نفسه ، ج1،ص 45.

التناسب.نجد أن أظهر ما كانت هذه المباحث عند من عنوا بدراسة توجيه متشابه القرآن أمثال الكرماني و الغرناطي ، ومن جماعة المفسرين قديما نجد الرازي ، فقد توجهوا إلى إبراز الفروق الدلالية في الآيات المتشابهة تركيبا ، انطلاقا من التمايز في ذكر أو عدم ذكر بعض الحروف أو الكلمات وما يترتب عن ذلك الذكر أو الحذف من وجوه التناسب ، من ذلك ورود ذكر ضمير(هم) في الآية 72من سورة النحل ﴿ **والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون** ﴾ بينما في الآية 67من سورة العنكبوت لم يذكر ضمير الغيبة : ﴿ **أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون** ﴾ ، والتعليل هنا حسب الكرماني أنه في آية النحل اقتضى تغير جهة الخطاب من المخاطب إلى الغيبة تقييدهم بهم ، لئلا تلتبس الغيبة بالخطاب ، في حين أن ما في العنكبوت اتصل بآيات كانت فيها جهة الخطاب واحدة هي الغيبة [268].ولا يخفى هنا أنَّ التناسب هنا معنوي يدفع الالتباس عن جهة الخطاب .

و في سورة الشعراء عند سؤال إبراهيم لأبيه و قومه قال :

﴿ **إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون** ﴾ الآية 70، وفي الصافات قال : ﴿ **ماذا تعبدون** ﴾ ذلك لأنَّ ما لمجرَّد الإستفهام ، ولهذا كان الجواب :﴿ **نعبد أصناما** ﴾الآية 71، في حين أن ( ماذا ) فيه مبالغة وقد تضمن في الصافات معنى التوبيخ قال :﴿ **أئفكا آلهة دون الله تريدون .فما ظنكم برب العالمين**﴾الآية 87/86، فجاء في كلِّ سورة ما اقتضاها ما قبله وما بعده [269].

. ومنه سقوط ذكر الصفة في الذَّاريات ، و ذكرها في سورة المعارج :

﴿ **وفي أموالهم حق للسائل و المحروم** ﴾الذَّاريات 19، ﴿ **الذين في أموالهم حق معلوم للسائل و المحروم** ﴾المعارج 24ـ25، ووجه المناسبة أن سياق آية الذاريات ﴿ **إنهم كانوا قبل ذلك محسنين ، كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ،و بالأسحار هم يستغفرون**﴾ فقد وصفوا بطول التطوع ، والتنفل تهجدا ، واستغفارا ، أما إذا انتقلنا إلى آيات المعارج فقد تقدمها ﴿ **إلاَّ**

---

[268] . ينظر: البرهان في توجيه متشابه القرآن ، محمود بن حمزة بن نصر الكرماني ،تح: عبد القادر أحمد عطا ، دار الكتب العلمية بيروتلبنان ، ط1، 1986، ص114.

[269] . ينظر : ملاك التأويل ، أبو جعفر الغرناطي ، ص 891، 892.

**المصلين** ﴾ والصلاة هنا هي الصلاة المكتوبة ، وفي آي الكتاب تقترن بها الزكاة المفروضة ، فجاء وصف الحقِّ هنا بـــ (معلوم ) ، وليس شيء غير الزكاة مقدَّر معلوم وقتا ، ونصابا .

ومما سبق نجد أنَّ مفهوم المناسبة في الخطاب القرآني يرتبط بمحدِّدين هامين : هما السياق ، والمقام وهذا ما لاحظه فاضل السامرائي ؛ فإذا اقتضى المقام الذكر ذكر ، وإلاَّ لم يذكر [270].

**ج ــ الإيجاز و التناسب الخاص** : إنَّ التناسب الخاص يقع بخواص تحصل للتراكيب بتلاؤم الحروف في الكلمة ، وتجانس الكلمات بجوار بعضها البعض ، فلهذا المبحث الجمالي خصوصية من حيث عنايته بالجانب الايقاعي ، وبتناسق التوقيع الصوتي في رؤوس الآي ( الفواصل ) و ظلال ذلك من خلال المناسبة مع الغرض التعبيري العام في بنية الخطاب القرآني ،وهذه الجوانب الجمالية في التراكيب قام لها صرح علم شامخ من علوم البلاغة هو علم البديع ، بحيث أنَّ جلَّ اهتمامه متجهٌ صوب الأبعاد التحسينية ، والتزينية للتراكيب بعد تمام الفائدة " و كأنها تعطيها رونق الفصاحة من تنميق الأسجاع ، و الموازنة بين جمل الكلام ، وتقسيمه بالأقسام المختلفة الأحكام ، والتورية باللفظ المشترك عن الخفي من معانيه ، والمطابقة بين المتضادات ليقع التجانس بين الألفاظ ، والمعاني فيحصل للكلام رونق،ولذَّة في الأسماع، و حلاوة،وجمال كلها زائدة عن الإفادة "[271].

و يظهر من هذا التعريف الفصل بين هذا الجانب الجمالي الشكلي و دلالة التراكيب بحيث يأتي زائدا عليها .ومما يؤكد هذه النظرة المحدودة للتجانس و الانسجام التركيبي وقوفها عند القشور الخارجية للتراكيب في مواضع محدودة من الخطاب القرآني ، و هذا ليس بالأمر الجديد في المباحث البلاغية العربية فقد جاء في سر الفصاحة : " ومما ورد في القرآن العظيم من هذا الفن قوله تبارك وتعالى :﴿**ثمَّ انصرفوا صرف الله قلوبهم** ﴾التوبة 127، و قوله تبارك وتعالى :﴿ **يخافون يوما تتقلب فيه القلوب و الأبصار**﴾ النور 37، و قوله عزوجل ﴿ **يمحق الله الربا ويربي الصدقات** ﴾البقرة 276."[272].

وعند القزويني رأينا تلك التقسيمات الكثيرة لأنواع المحسنات قد بلغت عشرات من الأنواع : كالمشاكلة و اللف و النشر ، الاطراد ، و الجناس ، وردِّ العجز على الصدر ، والقلب وغيرها بل إنَّ

---

[270] . ينظر : من أسرار البيان القرآني ، د: فاضل صالح السامرائي ، دار الفكر ، عمان . الأردن ، ط2، 2010، ص 90.

[271] . مقدمة ابن خلدون ، ص 528.

[272] . سر الفصاحة ، ابن سنان الخفاجي ، دار الفكر ، عمان . الأردن ، ط1، 2006.، ص 188.

الأمر يبلغ عند متأخري البلاغيين حدَّ الوصول إلى تقسيم قسم واحد إلى أقسام عديدة على نحو ما نجد في الجناس الناقص فقد وصل به بعضهم إلى نحو عشرة أضرب [273] و الملاحظ على تلك الدراسات أنها كانت تقف عند كل جزئية جمالية تتمثل لها بآية ، أو أبيات من الشعر دون الوصول إلى بلورة نظرية متكاملة لمفهومي التناسب ، والانسجام تشمل الأبعاد الدِّلالية لبنية الخطاب القرآني ، وتفسير نوعية الرابطة بين الايقاع الموسيقي ، والإنتاج الدِّلالي في هذا الخطاب.

وفي تجربة سيد قطب في العصر الحديث محاولة رائدة لدراسة هذا النوع من الانسجام المعجز في الخطاب القرآني ، يقول في معرض حديثه عن سورة المسد : " تناسق في اللفظ ، وتناسق في الصورة . فجهنم هنا نار ذات لهب ، يصلاها أبو لهب ، وامرأته التي تحمل الحطب ، وتلقيه في طرائق محمد لإيذائه و الحطب مما يوقد اللهب .وهي تحزم الحطب بحبل ، فعذابها في النار ذات اللهب أن تغل بحبل من مسد ، ليتم الجزاء من جنس العمل ...وهكذا يلتقي تناسق الجرس الموسيقي ، مع حركة العمل الصوتية ، بتناسق الصور في جزئياتها المتناسبة ، بتناسق الجناس اللفظي ، ومراعات النظير في التعبير ، ويتسق مع جو الصورة ، وسبب النزول ...ولكن حين يتجه الوجدان إلى الصور و الظلال وإلى الإيقاع ، والتناسق يجد هذه الوفرة من السمات الفنية ، وهذه الصور المطوية، و تلك اللمحات و الألوان التي تجتمع في فقرات قصار جد قصار "[274].

و إذا أردنا حصر أهم العناصر التي شكلت التناسب ، والانسجام من خلال ما ذكره سيد قطب فإننا نجد :

. تناسق اللفظ ـ تجانس الجرس الموسيقي ـ حركة العمل الصوتية ـ الجناس اللفظي .

. مراعاة النظير في التعبير .

. تناسق جزئيات الصور المتناسبة .

. جو الصورة و سبب النزول .

---

[273] . ينظر ، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة ، وعلوم حقائق الإعجاز ، يحي ابن حمزة العلوي ، دار الكتب الخديوية ، 1914 ج2 ص 359إلى 372.

[274]. مشاهد القيامة في القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق ، بيروت . لبنان ، ط7، 1983، ص 67/66.

و الحقيقة أنها رؤية متكاملة تنظر للتناسب في الخطاب القرآني بتظافر مجموعة من الخصائص الفنية الداخلة في بناء تناسب الخطاب القرآني : ضمنيا وتركيبيا .

أما تلك الحلى اللفظية كما عرفناها في مباحث علم المعاني من طباق ، وجناس ، ومقابلة ، ورد للعجز على الصدر و غيرها ، ماهي إلاَّ عناصر جزئية في تشكيل جماليات الخطاب ، ولا تفسر ظاهرة التناسب بكلِّ أبعاده الحقيقية .

فنحن حينما نتكلم عن ظاهرة الإيجاز في علاقته مع التناسب الخاص ، نجده يتناغم مع الموقف والحدث الوارد في سياق الخطاب القرآني مثلما نجده يعبر عن موقف السرعة في هذه الآيات من سورة القيامة : " المشهد الأوَّل هنا : مشهد لهول القيامة ، تشرك فيه الحواس الانسانية ، والمشاهد الكونية والنفس البشرية : فالبصر يخطف ، والقمر يخسف ، والشمس تقترن بالقمر بعد افتراق ....يتساءل الإنسان المذعور المرعوب : أين المفر ؟ ولا ملجأ و لامستقر، فالمستقر ، والمرجع إلى الله ، حيث (ينبأ الإنسان يومئذ بما قدَّم و أخر)، و حيث لا تقبل منه المعاذير ، فهو على نفسه بصير ، ومما يلاحظ هنا أنَّ كلَّ شيء سريع قصير : الفقر ، و الفواصل ، والايقاع الموسيقي ، والمشاهد الخاطفة وكذلك عملية الحساب :﴿ **ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم و أخر** ﴾ هكذا في سرعة وإجمال ، وقد تمَّ التناسق بين هذا كله بالقصر و السرعة .و لقد كان هذا كله مقصودا كذلك "[275].

و من صور إعجاز الانسجام في الخطاب القرآني جمال الفواصل ، وسنحاول تسليط الضوء على هذه الظاهرة في بناء الخطاب القرآني من خلال العنوان التالي .

## د ـ الحذف وتناسب الفواصل القرآنية :

إنَّ الأذن العربية عريقة في سماع تلك الايقاعات المتجانسة في خطبها ، وفي شعرها خاصة : حيث موسيقى الأوزان ووحدة القافية ، وتلاؤم حروف الرَّوي .

" فالنفس البدوية طروب في جوهرها ، وجميع مطامحها ، وانفعالاتها ، واندفاعاتها إنما تتجلى في تعبير موسيقي موزون ، هو بيت الشعر "[276].ونزول القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم أحدث رجة

---

[275] . المرجع نفسه ، ص 79/78.

[276] . الظاهرة القرآنية ، مالك بن نبي ، تر : عبد الصبور شاهين ،دار الفكر،دمشق سورية،إعادة 2000، ط4،1987، ص 189.

عظيمة ، أبهتت هؤلاء البدو بأسلوبه المعجز ، ونسقه الفريد ، فأخرسهم ذلك عن الخوض في النظم و النثر زمانا .[277]

و لما كان القرآن يعبر عن فكرة عالمية " سيختار القرآن للتعبير عن هذه الفكرة صورة جديدة هي : (الجملة ) . فالآية القرآنية ستقصي ناحية شعر البادية ، ولكنَّ نسقه يبقى على كل حال ، إذ هي تحررت من الوزن فحسب فاتسع مجالها "[278].

ومن أبرز ظواهر هذه الآية من الناحية الصوتية و الايقاعية جمالية الفاصلة ، وفي القرآن سور كاملة كانت فواصلها على نمط واحد:

" و ذلك نحو سورة (ق ) فإنَّ كلَّ آياتها تنتهي بحرف قبله مد بالواو أو الياء نحو المجيد والوعيد والغروب ،والخروج ، ونحو سورة الحجرات فإنها كذلك نحو : عليم وعظيم ، وتشعرون و يعقلون "[279].فلا شكَّ إذن في أنَّ القرآن يعنى بجانب الانسجام الموسيقي في الفواصل القرآنية [280]. ولكنه لا يفعل ذلك على حساب المعنى ، فالفاصلة تأتي منسجمة مع أخواتها عندما يقتضي المعنى ذلك .

والسؤالان اللذان سنحاول الإجابة عنهما :

. ما دور الحذف في تشكل فواصل بعض الآيات و في بناء انسجام الخطاب القرآني ؟ .
. ما هي الظلال الجمالية التي تنشأ عن ذلك الحذف في الفواصل ؟.

أوَّلا علينا أن نكرِّر أنَّ الفاصلة القرآنية تأتي منسجمة مع أختها عندما يقتضي المعنى ذلك ، وإلاَّ فإنَّ المعنى هو السيد في التعبير القرآني ، و هذا الرَّأي تتفق معه عائشة عبد الرحمن في مسألة الحذف وتناسب الفواصل ، فقد جاء من خلال حديثها في تفسير سورة الضحى عند الآية : ﴿ **ما ودَّعك ربك وما قلى** ﴾ الضحى الآية 3، " و أما تعليل الحذف برعاية الفاصلة فليس من المقبول عندنا أن يقوم البيان القرآني على اعتبار لفظي محض ، وإنما الحذف لمقتضى معنوي بلاغي ، يقويه الأداء اللفظي ،دون أن يكون الملحظ الشكلي هو الأصل ، ولو كان البيان القرآني يتعلق بمثل هذا ، لما

---

[277] . ينظر مقدمة ابن خلدون ،ابن خلدون ، ص 530.
[278] . الظاهرة القرآنية ، مالك بن نبي ، ص 190.
[279] . من أسرار البيان القرآني ، د: فاضل صالح السامرائي ، دار الفكر ، عمان . الأردن ، ط2، 2010، ص 163.
[280] . المرجع نفسه ، ص 163.

عدل عن رعاية الفاصلة في آخر سورة الضحى ﴿ **فأما اليتيم فلا تقهر . و أما السائل فلا تنهر وأما بنعمة ربك فحدث** ﴾"[281].

ونحن وإن وافقناها في أن البيان القرآني لا يقوم على اعتبار لفظي ، بل معنوي بالأساس ، وهذا لاخلاف فيه ، فإنَّ ظاهرة هذا الانسجام الايقاعي في فواصل الآي مثير للإبهار، وللانتباه حقا فإعجاز القرآن لم يترك ناحية من الجمال ، والجلال ، في التراكيب أو المعاني إلاَّ وهو آخذ بالأعجز منها لقدرات البشر ، ولا مجال هنا أن يكون في خيالنا ما هو حاصل عند الناس مثلا عندما يتكلفون في نظمهم ، ونثرهم تلك الأساليب الرنانة ، والأسجاع المتكلفة التي يصرفون من أجلها المعاني حتى تتلاءم مع قوالبهم كما عرفنا ذلك في الأشكال السردية العربية التي يشكل التأنق طابعها العام على نحو ما نراه في المراسلات السلطانية ، والإخوانية خلال مراحل معينة من تاريخنا ، بل إننا نزعم أنه يستحيل في لغة الشعر والنثر على حدٍّ سواء الحفاظ على إيقاعاتها من دون أن يكون ميل ما إلى إغفال ناحية المعنى لفائدة الحفاظ على الأوزان الموسيقية ، ومن ذا الذي بين يديه اللغة طوع يمينه يتصرف فيها تركيبا و إيقاعا ، ومعنى كيف يشاء ، وعلى النحو الأمثل ، أما في القرآن الكريم فكلُّ شيء عنده بمقدار ، وعلى النحو الأجمل و الأعجز .و بعودتنا إلى ما قالته عائشة عبد الرحمن فإننا نلاحظ على الأقل تغيرا في مستويات الإيقاع في سورة الضحى أي أنَّ الفاصلة لم تكن واحدة ولكن هذا لا يمنع من القول بأنَّ الإيقاع قد تغير ولنتتبع هذا :

﴿ **والضحى** ﴾،﴿ **والليل إذا سجى** ﴾﴿**ماودعك ربك وما قلى** ﴾﴿**وللآخرة خير لك من الأولى** ﴾﴿**ولسوف يعطيك ربك فترضى**﴾﴿**ألم يجدك يتيما فآوى** ﴾﴿**ووجدك ضالافهدى** ﴾ ﴿**ووجدك عائلا فأغنى** ﴾.الضحى (01ـ08)

ثمَّ يتغير الإيقاع ، والفاصلة ﴿ **فأما اليتيم فلا تقهر، وأما السائل فلا تنهر** ﴾ الضحى(9ـ10) ويتغير الايقاع مرة أخرى ﴿**وأما بنعمة ربك فحدِّث** ﴾.الضحى(11).

و الملاحظات التي تستوقفنا في هذه السورة مايلي :

" وحذفت مفاعيل ( فآوى، فهدى ، فأغنى )للعلم بها من ضمائر الخطاب قبلها ، وحذفها إيجاز وفيه رعاية على الفواصل "[282].

[281] . التفسير البياني للقرآن الكريم ، عائشة عبد الرحمن ، دار المعارف ، مصر ، ط7،ج 1، ص 39.

. يلاحظ الطاهر بن عاشور أنَّ النعم الثلاث المتفرع عليها هذا التفصيل بأما تقابلها ثلاثة أعمال [283].

| الآية | مقابلها |
|---|---|
| 01. ألم يجدك يتيما فآوى | . فأما اليتيم فلا تقهر |
| 02. ووجدك ضالا فهدى | . وأما السائل فلا تنهر |
| 03. ووجدك عائلا فأغنى | . وأما بنعمة ربك فحدث |

01. أي كما آواك ربك ، وحفظك من عوارض النقص المعتاد ليتيم فكن أنت مكرما للأيتام .

02. لأنَّ الضلال يستدعي السؤال عن الطريق ، فجعل الله الشكر عن هدايته إلى طريق الخير أن يوسع باله للسائلين .

03. و أمره الله أن يظهر نعمة الله عليه بالحديث عنها ، واعلان شكرها .

والملفت للانتباه أن ليس المراد بنعمة ربك نعمة خاصة ، وإنما أريد الجنس عموما في المقام الخطابي فتكون الجملة تذييلا عاما .

و السؤال الذي يلح هنا ، هل ورود الجملة تذيلا عاما له علاقة بتغير الإيقاع في (فحدِّث )؟.

ومهما يكن من أمر فإنَّ حذف المفاعيل في هذه السورة القصيرة ساهم في إحكام التجانس الايقاعي وانسجام الايقاع مع دلالة التراكيب بحيث أنَّ بحذف (الكاف) زيادة على اتفاق الفواصل. حصل من خلاله إطلاق في دلالة التراكيب أي أن الله ما قلاك ، ولا قلى أحدا من أصحابك ولا أحدا ممن أحبك إلى يوم القيامة [284].....

وإذا انتقلنا للنظر إلى سورة أخرى من سور القرآن وهي سورة النجم فإننا نلاحظ ذلك التناسب المعجز بين فواصل الآيات ، ولنتتبع هذه الايقاعات :

---

[282] . تفسير التحرير و التنوير ، محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1984، ج30،ص 400.

[283] . ينظر: المرجع نفسه ، ص 401، 402، 403.

[284] . ينظر : مفاتيح الغيب، الفخر الرازي ، دار الفكر ، بيروت لبنان، ط1، 1981،ج31، ص 210.

﴿ **والنجم إذا هوى .ما ضلَّ صاحبكم وما غوى .وما ينطق عن الهوى .إن هو إلاَّ وحي يوحى علمه شديد القوى .ذو مرَّة فاستوى .وهو بالأفق الأعلى .ثمَّ دنا فتدلى .فكان قاب قوسين أو أدنى .فأوحى إلى عبده ما أوحى . ما كذب الفؤاد ما رأى .أفتامرونه على ما يرى .ولقد رآه نزلة أخرى .عند سدرة المنتهى .عندها جنة المأوى .إذ يغشى السدرة ما يغشى .ما زاغ البصر وما طغى .لقد رأى من آيات ربه الكبرى** ﴾.النجم (18/1).

. وهي سورة مكية ، وعدد آياتها 62آية ، يرى الدكتور فاضل صالح السامرائي بأنَّ خطا تعبيريا واضحا في هذه الآيات يتمثل في الإبهام ، وعدم الإفصاح عن الأمر ، أو الشيء تكريما ، وتفخيما أو لغير ذلك [285].

ولنتتبع هذا الخط التعبيري : من ذلك قوله تعالى :

.﴿ **ما ضلَّ صاحبكم** ﴾ فلم يرد هناك ذكر لاسمه .

.﴿ **إن هو إلاَّ وحي يوحى** ﴾ ذكر الضمير ، ولم يذكر الشيء الذي يعود عليه.

.﴿ **علمه شديد القوى ذو مرة**﴾ ذكر صفة المعني ، ولم يذكر اسمه .

.﴿ **فكان قاب قوسين أو أدنى** ﴾ فجاء ب(أو) ولم يقطع .

.﴿ **فأوحى إلى عبده ما أوحى** ﴾ حيث لم يرد ذكر ما أوحى إليه ، و الموحي ، وأضاف العبد إلى ضمير لم يذكر صاحبه .

**.﴿ ما كذب الفؤاد ما رأى** ﴾ لم يذكر الذي رآه.

**.﴿ ولقد رآه نزلة أخرى**﴾ لم يذكر المرئي.

.﴿ **إذ يغشى السدرة ما يغشى**﴾ ماذا غشيها .

.﴿ **لقد رأى من آيات ربه الكبرى**﴾ ماذا رأى ؟.

[285] . ينظر : من أسرار البيان القرأني ، فاضل صالح السامرائي ص 228.

من هنا يظهر ذلك التمازج والتناسب بعدم الذكر و الافصاح عن الأشياء ، مع الأغراض المعنوية كالتفخيم و التكريم أو غير ذلك ، و قد أشاع ذلك الخط الايقاعي الموحي بحركة جبارة ، هائلة للنزول أو السقوط من أعلى إلى أسفل إثباتا أو نفيا ، كما لاحظ ذلك السامرائي " فهويٌّ النجم سقوطه أو غروبه ، والضلال سقوط ، والغيٌّ سقوط ، والنطق عن الهوى سقوط ، والتدلي نزول من أعلى إلى أسفل ، والكذب سقوط ، والمماراة على الرؤية سقوط ، والنزلة نزول ، وزيغان البصر وطغيانه سقوط، ثمَّ إنَّ هذه الآيات متناسبة مع جوِّ السورة التي هي فيها ، أو بتعبير آخر إنَّ السورة مطبوعة بطابع هذه الآيات "[286]، بالإضافة إلى تلك الطاقات الإيحائية المتولدة من ذلك الاطلاق وهي ناحية تناولناها بالدَّرس في المبحث السابق الخاص بعملية التلقي .

وكخلاصة لهذا المبحث الخاص بالمناسبة يمكن أن نستنتج الملاحظات التالية :

1ـ إنَّ مفهوم المناسبة في دلالة الخطاب القرآني له جذور راسخة في التفكير الإسلامي ، فقد تواصلت الجهود الفكرية في التفسير خاصة في بلورة مفهوم الوحدة ، والانسجام الدلالي للقرآن الكريم خاصة .

2. القرآن وحدة واحدة ، وبنيان معجز في تراكيبه ، ومعانيه .

3. يتحدَّد مفهوم المناسبة في الخطاب القرآني انطلاقا من إدراك الجوانب المقامية ، والسياقية .

4. شكلت ظاهرة الحذف في بناء الخطاب القرآني جزءا مهما من التفكير في توجيه متشابه القرآن ووجوه مناسباته مع مختلف السياقات القرآنية ، أما بالنسبة للتناسب الخاص فقد خلصنا إلى :

. أنَّ عناية الدِّراسات البلاغية خاصة بالجوانب البديعية انصرف إلى تجزيء الاصطلاحات ، دون البحث في بلورة نظرية شاملة للتناسب .

. التوظيف للتراث البلاغي في علم البديع ، وتطويره في قراءة معاصرة للخطاب القرآني ، تجربة سيد قطب .

ـجماليات الفاصلة في الخطاب القرآني ، ودورها في البناء التركيبي و الدلالي .

. التعبير القرآني و عنايته بالانسجام الايقاعي في الفاصلة القرآنية .

---

[286] . المرجع نفسه ، ص 229.

. تأتي الفاصلة منسجمة مع أخواتها عند اقتضاء المعنى لذلك ، وإلاَّ لم يراع ذلك في الخطاب القرآني .

. تمازج عدم الذكر مع أبعاد التفخيم ، والتكريم ، والاطلاق ، وانسجام الفاصلة ، وغير ذلك .

# الفصل الثالث :

## أساليب الايجاز في بناء القصص القرآني

**تمهيد:**

تتعدد مجالات، وصور الإيجاز في الخطاب القرآني، وهي من الكثرة بحيث لا يتسع مجال هذه الرسالة للإحاطة بكل جوانبها، والوقوف عند كل دقائقها،وأسرارها.

ولأجل هذا آثرنا تحديد مجال الدراسة التطبيقية للايجاز في القرآن الكريم من خلال تجلياته في القصص القرآني ، متبعين في ذلك المنهج التحليلي الوصفي في قراءة أبعاد الإيجاز القرآني بصوره الشاملة ،والتي لاتتوقف عند أسلوب الحذف والقصر فحسب، بل تتعداهما إلى دراسة كل ما من شأنه أن يصب في بوتقة مفهوم الايجاز بكل أبعاده من حيث كونه إقتصاد لغوي.

وضمن هذا الإطار تندرج مفاهيم : الاضمار، والعطف، و الأسماء الموصولة ، وأسماء الإشارة وألفاظ العموم و غيرها من الأشكال الاقتصادية التي رأينا الإمام السيوطي يجملها ضمن رؤية كلية للإيجاز في كتابه الإتقان إلا أنها ظلت في شكلها النظري، وبحاجة ماسة إلى ممارسة تطبيقية توظف تلك الآليات ضمن نظرة إلى الإيجاز تتسم بالشمول، وتبتعد ماوسعها عن طابع الدراسات التجزيئية للظواهر اللغوية كما هو الشأن في الإيجاز.

وهذه الرؤية التي سنعكف إن شاء الله على النسج على منوالها، هي محاولة نرى أنها جديرة بالبحث بالنظر إلى المنهج، والرؤية اللذين أشرنا إليهما، وإلى أصالتها بالمقارنة مع ما اطلعنا عليه من بحوث ومؤلفات لامست جانبا أو جوانب من الإيجاز في الخطاب القرآني .

وبما أنه من الاستحالة الإحاطة بكل أبعاد الإيجاز في الخطاب القرآني كله ، فقد آثرنا الاكتفاء بدراسة مقاطع محدودة ضمن مايتسع له مجال هذه الرسالة ، وبقدر ما يعطي صورة واضحة عن ماهية أساليب الايجاز و أثاره في بناء الخطاب القرآني .

﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (124) وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (125) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (126) وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (127) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (128) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (129) وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (130) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (131) وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (132) أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (133) تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (134) وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (135) ﴾ البقرة (124 إلى 135)

**أ. موضوع القصة** : تبدو المشاهد في هذا المقطع من السورة في سياق الرد على ادعاءات اليهود والنصارى في أحقيتهم الدينية دون سواهم من المسلمين حسدًا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم زيف تلك الاختلاقات وبطلانها ، فالدافع الحقيقي هو الاستعلاء والتجبر والتكبر بما اقترفت واكتسبت أيديهم من آثام وافتراءات على الله ، و قتلهم أنبياءه . ولكي يفضح القرآن ما انطوت عليه نفوسهم الخبيثة يأتي على بنيانهم المتهالك من الأساس حيث النقطة الأولى ، والمتكأ الأساس الذي انطلقت منه الرسالات السماوية ، وهي قصة ابراهيم أبو الأنبياء الذي يدعي كل من اليهود

والنصارى بأنهم أولى الناس به ، وبدعوته زورًا وبهتانا ، وهذا ما يفضحه القرآن ويقرِّرُ بأنَّ أولى الناس بعقيدة ابراهيم هو النبي محمد وأتباعه من المسلمين ، فالدين عند الله هو الإسلام لم يتغير ولم يتبدل مذ خلق آدم ، وضمن هذا المقطع تبرز إشارات قوية إلى أن معيار الانتماء إلى الحنيفية السمحة هو الالتزام بتعاليمها ، والقيام بأعبائها ، وليس الدين متاعا ، وعرضا دنيويا يرثه الأبناء عن الآباء مثلما تصورته اليهود والنصارى ، أي " أنَّ العقيدة تراث القلب المؤمن لا تراث العصبية العمياء "[287].

**ب . الايجاز والبناء الفني في القصة :**

والملاحظ أنَّ الخطاب القرآني حينما يعرض هذه الحقائق يخلص إليها بتصوير فني أخاذ ،نابض بالحركة والحيـــاة بحيث تتلاشى الفوارق الزمنية البعيـــدة عن تلك الشخوص ، والأحداث حتى ليكاد قـــارئ القرآن يرى رأي العين مشاهد رفع ابراهيم وولده اسماعيل لقواعد البيت الحرام ، وهما في أعلى درجات الامتثال والعبودية ، والاخلاص لله تعالى ، ومما ساعد على هذا الاستحضار وجود الظرف (إذ) الذي كمـــا يقول كثير من المفسريـــن أنه في محل نصب بعد فعل الامر المحذوف (اذكر) أو اذكروا[288] الشـــيء الذي يجعل القارئ يجد نفسه بلا سابق تنبيه أو إشارة مندمجا في صلب الحدث فيما يشبه البث الحـي المبـــاشر عبر شاشة تلفزيونية لمشهد من المشـــاهد أوحدث من الأحداث في نقطة ما من هذا العـــالم غير أن هذا المشهد وتلك الأحداث تأتي من نقطة بعيدة عمرها آلاف من السنين.

﴿ **وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ** ﴾ هنا نحن بإزاء مشهد حواري في غـــاية الايجاز أو بتعبير محمد الغزالـــي هو "إيجاز بالغٌ حد الروعة بدون أن يخل بالمقصود " [289]، وبعيدا عن البحث في ماهية الكلمات التي ابتلى الله ابراهيـم بها ، فأتمهـــا ، وهل قوله تعالى (**إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا**) واقعة ضمن تلك الكلمـــات كتفصيل لما أجمل أو غير ذلك ، فالعبرة في امتثال إبراهيم التام لما أمر به وعهد إليه

---

[287] ـ في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، ط 32 ، 2003، مج 01 ، ص 111.

[288] . ينظر تفسير الطبري . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . ابن جرير الطبري ، تح : د : بشار عواد معروف ، عصام فارس الحارستاني، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط1 ، 1994، ج 1 ، ص 383. روح المعاني ، الالوسي ، ج1 ،ص 373 .

[289] ـ نظرات في القرآن ، دار الشهاب للطباعة والنشر ، باتنة ، الجزائر ، 1986،ص 158.

﴿**وإبراهيمَ الذي وفى**﴾ النجم 37، أي أن البعد الايحائي للفظة (كلمات) إجمال لمجمـوعة من الأوامر والابتلاءات التي يعرفها قارئ القرآن من مواضع متعددة في السياق القرآني كله ، وقد يكون من تلك الكلمـات قوله تعالى (**إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا**) لتدخل بعد هذا عاطفة الأبوة الحانية ، والرغبة الفطرية ( ومن ذريتي ) :

" عندئذ تدرك إبراهيم فطرة البشر : الرغبة في الامتداد عن طريق الذراري والأحفاد . ذلك الشعور الفطري العميق ، الذي أودعه الله فطرة البشر لتنمو الحياة وتمضي في طريقها المرسوم "[290].

أي ـ اجعل ـ فجاء التركيب القرآني " من قبيـل عطف التلقين ، فهـو خبر في معنى الطلب ، وكأنَّ أصله ، واجعل بعـض (ذريتي) ...لكنه عدل عنه إلى المنـزل لما فيه من البلاغـة من حيث جعله من تتمة كلام المتكلم ، كأنه مستحق مثل المعطوف عليه ، وجعل نفسه كالنائب عن المتكلم ، والعدول من صيغة الأمر للمبالغة في الثبوت ، ومراعاة الأدب في التفادي عن صورة الأمر ،وفيه من الاختصار الواقع موقعه ما يروق كل نـاظر "[291] ، وربما كان هذا من قبيل الاستفهام ، وإن لم يكن بصيغته كمـا يقول الشوكاني : " أي : ومن ذريتي ماذا يكون يا رب ؟ فأخبر أنَّ فيهم عصـاة ، وظلمة ، وأنهم لا يصلحون لذلك ، ولايقومون به ، ولا ينالهم عهد الله سبحانه "[292].

ومهما يكن من أمر فإن تواري هذا الفعل ينمُّ عن أدب جمٍّ ، وخلق رفيع من إبراهيم في كلامه مـع الله جل شأنه ، أي أنَّ إبراهيم تجنب ذكر فعل الأمر (اجعل) الذي هو في حق الله دعاءٌ ورجاء بمـا أن المعنى المراد واضح من سـابق ماذكر في سياق قوله تعالى: (**إِنِّي جَاعِلُكَ**). وقد ينم ذلك الايجـاز عن لهفة ابراهيم وشوقه لسماع كلام ربه فأتى بهذا التعبير المقتضب (ومن ذريتي) .

وفي مشهد آخر:

---

[290] ـ في ظلال القرآن ، سيد قطب ، مج 01 ، 112.

[291] . روح المعاني ، الألوسي ، ج1 ، ص 376.

[292] . فتح القدير ، الشوكاني ، ص 91.

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (126).

نرى في جزء الآية الأول إبراهيم متضرعا لربه بأن ينعم على البلد الحرام بقوام الحياة : الأمن ،والرزق الرغد ، وفي جزئها الثاني (ومن كفر ...) تتحول جهة الخطاب لضمير لفظ الجلالة في جزاء من كفر (فأُمَتعُهُ) أي أن الضمير عائد إلى لفظ الجلالة "وأما على قراءة من قرأ (فأمتعه) بصيغة الأمر، وكذلك قوله (ثم أضطره) بصيغة الأمر ، فهي مبنيــة على أن ذلك من جملة كلام إبراهيم "[293] ، و الظــاهر أنَّ هذا من كلام الله سبحانه " ردًا على إبراهيم حيث طلب الرزق للمؤمنين دون غيرهم أي : وأرزُقُ من كفر فأُمتِعُهُ بالرزق قليــلاً ثم أضطره إلى عذاب النار " [294] بحيث يكــون البنــاء على ما سبق من قول إبراهيم ، وكأنَّ دعوة إبراهيم أجيبت ضمنا وانتقل الخطاب إلى جزاء فئة أخرى غير مذكورة في الطرف الأول من الآية وهي فئة الكافرين " وتأويل الآية : قال الله : يا إبراهيم ، قد أجبت دعوتك ، ورزقت مؤمنــي أهل هذا البلد من الثمرات وكفارهم ، متــاعاً لهم إلى بلوغ آجالهم ثم أضطر كفاهم بعد ذلك إلى النار "[295]وهو الاستنتاج الذي يصل القارئ إلى إدراكه انطلاقا من ملاحظة السيــاق الكامل للآية.

ولنتتبع هــذا الخط التعبيــري المدهش في هذه الآيــة ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (127) فبملاحظة بسيطة نجد :

ـ حذف الفعل اذكر قبل الظرف (إذ) " إذ في موضع نصب على المفعول به ، أي اذكر "[296].

---

[293] . فتح القدير ، الشوكاني ، ج1 ، ص : 93.

[294] . المصدر نفسه ، ج1 ، ص : 93.

[295] . تفسير الطبري . جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج1، 382.

[296] . التبيان في إعراب القرآن ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، 2010 ، ج 1 ، ص 94.

ـ توظيف للفعل المضارع الموحي بالحركة الحاضرة والمستقبلة بعد الظرف (إذ) لاستحضار المشهد أي أنَّ الظرف والفعل المضارع ( **وإذ يرفع** ) في هذه الآية " حكاية لحال ماضية ، استحضارا لصورتها العجيبة "[297] ، وهو الأمر الذي يعزز الانطباع عند القارىء بالاندماج،وتمام الحضور الذهني ،والوجداني في جو الصورة ، وحركية الحدث .

ـ ورودُ دعاءِ إبراهيمَ وإسماعيلَ ( **رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا** ) " في محل الحال بتقدير القول ،أي : قائلين ربنا "[298]. أي أن اتصال الدعاء مباشرة بما سبق أحكم قوة التصوير المباشر عند القارىء ، وأبعد عنه كل إيحاء لفظي بأنها قصة بل حدث حي بالصوت والصورة .

ـ دعاءُ وتضرعُ إبراهيم وإسماعيل في أثناء أو بعد ما تم بناء البيت أو في كليهما ـ وهو ظاهر النظم ـ من غير ذكر فعل الحكاية (قائلين ) أو (يقولون) ربنا تقبل منا ،أي أنَّ نسق الآية يجعل بأن لاحاجة لذكر ذلك الفعل مادام القارئ يستوعب الموقف ضمن صورة حية أكثر منها قصة واقعية تحكى .

لا شكَّ أننا حين ننظر إلى النظم والسبك المعجزين في هذه الآيات تستوقفنا ظواهر لغوية هي من صميم الايجاز :

**1. الحذف** : وهو يساهم في بناء الخطاب القرآني من خلال التعويل على استنتاج القارئ من سياق الخطاب القرآني المعنى أو المعاني المرادة وفق ما نراه من بروز لأفعال في مواضع ، وتواريها في أخرى تاركة المجال لاتساع الدلالة ، وتدبر القارئ ، وقد وجدنا أنَّ من أهم وسائله العطف :

﴿ **وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ** ﴾

﴿ **وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آَمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ** ﴾

﴿ **وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ** ﴾

﴿ **رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ ...** ﴾

" ( **وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا** ) عطف على الضمير المنصوب في (اجعلنا) وهو في محل المفعول الأول ، و ( أمة

---

[297] . فتح القدير ، الشوكاني ،ج1 ص 93.

[298] . المصدر نفسه ، ج1 ، ص ،93.

مسلمة لك ) في موضع المفعول الثاني معطوف على (مسلمين لك) ولو اعتبر حذف الجعل فلابد أن يحمل على معنى التصيير لا الايجاد لأنه ـ وإن صح من جهة المعنى ـ إلا أنَّ الأول لا يدلُّ عليه ، وإنما خصا ـ الذرية ـ بالدعاء لأنهم أحق بالشفقة "[299].

﴿ **وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يا بنيَّ...** ﴾

(**ويعقوبُ**)في قراءة الرفع معطوف على إبراهيم"أي : وأوصى يعقوب بنيه،كما أوصى ابراهيم بنيه"[300]. ﴿ **وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ والضمير الغائب عائد إلى أهل الكتاب " و (أو ) لتنويع المقال ـ لا التخيير ـ بدليل أن كل واحد من الفريقين يكفر الآخر ، أي: قال اليهود للمؤمنين :(كونوا هودا) وقالت النصارى لهم كونوا (نصارى) و(تهتدوا) جواب الأمر ، أي إن كنتم كذلك (تهتدوا) "[301].

" (**بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ**) أي لا نكون كما تقولون ، بل نكـون ( ملة إبراهيم) أي أهل ـ ملته ـ أو بل نتبـع (ملة إبراهيم) "[302].

وجملة القول أنَّ تقدير المحذوف خاضع للسياق اللفظي ، أو المعنوي ، مثلما يشرحه كلام الألوسي في معرض حديثه عن المثال السابق ، وهو عام في كل تقدير " والأول يقتضيه رعاية جانب لفظ ما تقدم ـ وإن احتاج إلى حذف المضاف ـ والثاني يقتضيه الميل إلى جانب المعنى "[303].

رأينا فيمـا سبق من الشواهد القرآنية أنَّ من آليـات الإيجاز بالحذف توظيـف العطف باستصحاب اللفظ السـابق أو تقدير المعنى المناسب وفق دلالة السيـاق عند القارىء المتمرس (المفسـر)، أو حتى عند القارىء العادي مما يعزز انتباهه وإجابيته للتوصل إلى الدلالات الممكنة في الخطاب القرآني .

---

[299] . روح المعاني ، الألوسي ، ج1 ، ص : 385.

[300] . فتح القدير ، الشوكاني ، ج1 ، ص :95

[301] . روح المعاني ، الألوسي ، ج1 ، ص 393.

[302] . المصدر السابق ، ج1 ، ص 394.

[303] . المصدر نفسه ، ج1 ، ص 394.

## 2 . الاضمار :

إنَّ توزع الضمـــائر وتموضعها المعجز في الخطـــاب القرآني بالاضـافة إلى بعده في إحكام نسيج النظم من خلال الربط بين التراكيب ذو قيمة إيجازية ظاهرة لا تخفى على دارس القرآن ، ومن المعــروف أنَّ كثرة استعمال الضمائر في الأساليب البشرية يحيل إلى ضروب من اللبس ناتجة عن عود تلك الضمائر أو إلى إضفائها نوعـا من الغموض والتعقيد في حال تقـارب وكثرة ورودها ، وهو مالا نجده في القرآن وحاشاه أن يكون كذلك ، ومن ذلك التعقيـد مـا ذكره صاحب المفتاح " وهـو أن يختل نظم الكلام ولا يدري السامع كيف يتوصل منه إلى معناه ، كقول الفرزدق (من الطويل) :

وما مِثْلُهُ في الناس إلا مُمَلكًا أبُو أمه حيٌّ أبُـوهُ يقاربـــهُ

كان حقــه أن يقــول : وما مثلــه في النــاس حيٌّ يقاربه إلا مملك أبو أمه أبوه ، فإنه مدح إبراهيم بن هشام بن إسماعيــل المخزومي خال هشام بن عبد الملك بن مروان ، فقال : (وما مثله) يعني إبراهيــم الممدوح ، (في الناس حي يقاربه) أي أحد يشبهه في الفضائل ، إلا ( مملكا ) يعني هشاما ،(أبو أمه) أي أبو أم هشام ،(أبوه) أي أبو الممدوح ، فالضمير في (أمه) للمملك ،وفي (أبـوه) للممدوح ،ففصل بين (أبو أمه) وهو مبتدأ و (أبوه) وهو خبره بـ (حي) ، وهو أجنبي ،وكذ فصل بين (حي) و (يقاربه) وهو نعت(حي) بـ(أبوه) وهو أجنبي،وقدم المستثنى على المستثنى منه،فهو كما تراه في غاية التعقيد [304]"

وبرجوعنا إلى الآيات القرآنية محل البحث ، ومن خلال المقطع بعمومه نلاحظ تعدد ورود الضمائر مما ضاعف من بروز ظاهرة الايجاز بوصفه آداء اقتصـاديا ـ بأقل الوحدات اللفظية الممكنة ـ عن المعــاني المرادة بإعجاز باهر ، إذ أنَّ في التناوب الحاصل بين الإظهار و الاضمار تناسب معجز يؤدي المعــاني المطلوبة ، ويرفع أي لبس ، وفوق كل هذا بأغراض بلاغية متنوعة و بأقل الوحدات الخطية .

وفيما يلي بعض اللمحات الايجازية في هذا الأسلوب :

---

[304] . بغية الايضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع ، عبد المتعال الصعيدي ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، مصر ،ط1 2009، ج1 ، ص 18-19.

﴿ **وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ** ﴾ وفي نصب إبراهيم ورفعه قرآءتان ، وكذا في (ربه) أي أن المعنى في الوجه الأول : " اختبره بأوامر ونواه "[305] ، وفي الثاني : " أنه دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه إليهن أم لا ؟ "[306] ، وضمن نفس التنوع الدلالي نلاحظ تغير عود الضميرين في كلمة (فأتمهن) فأما الضمير المنصوب فعائد للكلمات لا غير ، وأما المرفوع المستكن فيعود إما (لربه) أو لإبراهيم [307]، وعلى هذا يتعدد معناه حسب الألوسي إلى أربعة احتمالات :

ـ عوده على ابراهيم منصوبا ، ويكون المعنى في (فأتمهن) حينئذ :أتى بهن على الوجه الأتم ، و أداهن كما يليق .

ـ عوده على (ربه) مرفوعا ، أي يسر له العمل بهنَّ ، وقواه على . اتمامهنَّ . أو أتم له أجورهنَّ ، أو أدامهنَّ سُنةً فيه، وفي عقبه إلى يوم الدين .

ـ عوده على إبراهيم مرفوعا ، أي : أتمَّ إبراهيمُ الكلمات المدعوِّ بها بأنْ راعى شروطَ الإجابة فيها ولم يأت بعدها بما يضيعها .

ـ عوده إلى ربه منصوبا ، بمعنى : فأعطى سبحانه (إبراهيمَ) جميعَ ما دعاه.[308]

وواضح مما سبق الوظيفة الايجازية الفاعلة للضمير في نسق الخطاب القرآني بتوفره على طاقة إيحائية تكتنز بالمعاني المطوية ، والملاحظة الثانية ذلك اليسر وتلك السلاسة البديعة في تموضع الضمائر وتوزعها ضمن النظم القرآني بما يشعر القارىء بتدفق المعاني المتنوعة بأيسر التراكيب ، وهو مانراه من خلال هذا السبك العجيب بين ضمير الجماعة (هم) ، وحروف الجر (في ، على ، من) في الآية التالية:﴿ **رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (128) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (129)**﴾. والشاهد هنا في قوله تعالى :

﴿ **رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ** ﴾ أي أنَّ الضمير في (هم) عائد بدلالة

---

[305] . الكشاف ، الزمخشري ، ج1 ، ص : 182.

[306] . المصدر نفسه ، ج1 ، ص (182-183)

[307] . ينظر : روح المعاني ، الألوسي، ج1 ، ص 374.

[308] . ينظر : المصدر نفسه ، ج1 ، ص (374-375).

السياق في الآية الأولى إلى الأمة المسلمة المذكورة سابقا ، وقيل في الذرية [309]، ومهما يكن من أمرِ دلالة العائد فإنَّ ما نحن بإزائه الإشارةُ إلى البعد الايجازي في التراكيب ﴿**فيهم**﴾﴿**منهم**﴾﴿**عليهم**﴾ مضافا إليه التنوع الأخاذ في التوقيع الصوتي والدلالي. ونضيف هنا شاهدا آخر من قوله تعالى:

﴿ **وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآَخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (130) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (131) وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ** ﴾

حيث أن الضمير اختصار للتركيب السابق ، أي أن جملة مقول القول (**أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**) مؤولة بمعنى (الكلمة والجملة) ، وهذا بدلالة السياق في سورة أخرى من القرآن الكريم ، وهي سورة الزخرف حيث " رجوع الضمير في قوله ﴿ **وجعلها كلمة باقية** ﴾ الزخرف 28 إلى قوله : ﴿**إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني** ﴾ الزخرف 26-27 ، وقوله : كلمة باقية ، على أنَّ التأنيث على تأويل الكلمة "[310].

## 3 ـ التكثيف الدِّلالي :

ونعني به مجموع الإشارات والإيحاءات اللفظية التي تحيل المتلقي إلى أبعاد دلالية أوسع ، أي وجود طاقة تعبيرية كامنة في بعض الكلمات في النظم القرآني مما يعد في حد ذاته آلية أخرى تندرج ضمن مفهوم الايجاز ، وسنعرض لبعض من تلك الظلال الدلالية في الكلمة القرآنية انطلاقا من المقطع السابق من سورة البقرة :

﴿ **وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ** ﴾

(**بِكَلِمَاتٍ**) فقد اختلف العلماء في تعيين معناها كما يقول الشوكاني : " فقيل : هي شرائع الاسلام وقيل : ذبح ابنه ، وقيل : آداء الرسالة ، وقيل : هي خصال الفطرة ، وقيل : هي قوله ﴿ **إِنِّي**

[309] . ينظر فتح القدير،الشوكاني ،ج1 ،ص 95 ، روح المعاني ، الألوسي،ج1 ،ص386، الكشاف ، الزمخشري ، ج1،ص 187.

[310] . الكشاف ، الزمخشري ، ج1 ، ص 190.

**جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا** ﴾ "[311] أي أن تفسير مفهوم لفظة (بكلمات) ـ وغيرها ـ خاضع لسياق النص القرآني القريب ( إني جاعلك للناس إماما ) وسياق الخطاب القرآني بعمومه ، وفي هذا المعنى يورد ابن كثير رواية عن ابن عباس في شرح دلالة اللفظ السابق " الكلمات التي ابتلى الله بهن إبراهيم فأتمهن : فراق قومه في الله حين أمر بمفارقتهم ، ومحاجته نمروذ في الله حين وقفه على ماوقفه عليه من خطر الأمر الذي فيه خلافه ، وصبره على قذفه إياه في النار ليحرقوه في الله على هول ذلك من أمرهم والهجرة بعد ذلك من وطنه وبلاده في الله حين أمره بالخروج عنهم ، وما أمره به من الضيافة والصبر عليها بنفسه وماله ، وما ابتلي به من ذبح ابنه حين أمره بذبحه ، فلما مضى على ذلك من الله كله وأخلصه للبلاء ، قال الله له : ﴿**أَسلِمْ قالَ أَسْلَمْتُ لربِّ العالمين** ﴾ على ما كان من خلاف الناس وفراقهم "[312]، ومن الإشارة والتأويل أيضا ما جاء في روح المعاني : " ومنها التسليم ، والتوكل والرضا وعلومها "[313].

﴿**وإِذْ جَعَلْنَا البيتَ مثابةً للناسِ**﴾ فمعنى (مثابة) هنا مورد آخر لتعدد مستويات التأويل بحسب الحمولة الدلالية للفظ ( في أصل اللغة ومن حيث الاستعمال ) ، ومن حيث منطوق سياق الآية وهو ما سنلاحظه من خلال ما سنعرضه من آراء عن دلالة هذا اللفظ : فقد ذهب الخليل وقتادة إلى أن (مثابة) بمعنى (مرجعا لهم) ، وهي عند ابن عباس (معاذا و ملجأ)، فيما ذهب مجاهد وجبير إلى أنها بمعنى (مرجعا) يثوب إليه أعيان الزوار أو أمثالهم ، أو بدلالة آخرين : موضع ثواب يثابون بحجه واعتماره[314].

وشاهد آخر من قوله تعالى على لساني إبراهيم وإسماعيل :

﴿**واجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ** ﴾ " أي : منقادين قائمين بشرائع الاسلام ، أو مخلصين موحدين لك ـ فمسلمين ـ إما من استسلم إذا انقاد ، أو من أسلم وجهه إذا أخلص نفسه ، أو قصده ، ولكلٍّ

---

[311] . فتح القدير ، ج1 ،ص392.

[312] . تفسير القرآن العظيم ، ج1 ، ص : 261.

[313] . روح المعاني ، الألوسي ، ج1 ، ص 392.

[314] . ينظر المصدر نفسه ، ج1 ، ص 378.

من المعنيين عرض عريض ، فالمراد طلب الزيادة فيهما ، أو الثبات عليهما "[315] .

وفي قوله تعالى : ﴿**ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سَفِهَ نفسَه** ﴾ فـعند الزجاج " (سفه) بمعنى جهل ، أي جهل أمر نفسه فلم يفكر فيها. وقال أبو عبيدة المعنى : أهلك نفسه "[316] ، في حين يرى الزمخشري بأنَّ معنى " (سفه نفسه) امتهنها ، واستخف بها "[317].

## 4 . أسماء الإشارة :

من ظواهر الايجاز في الخطاب القرآني أسماءُ الإشـارة ، والتي تؤدي أدوارًا محورية في الربط بين التراكيب القرآنية ، بالاضافة إلى أنها ذات أبعاد جمالية من حيث الايحاء الدلالي كالتعيين وغيره .

ورد في قوله تعالى :

﴿ **وإذْ قالَ إبراهيـمُ ربِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا**﴾ فإنَّ في معنى الاسم (هذا) تعيين الوادي الذي ذكر في موضـع آخر من السيـاق القرآني ﴿ **ربنـا إنـي أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم** ﴾ " أي اجعل هـذا المكان القفر بلدًا الخ ، فالمدعـو به البلدية مع الأمن "[318] وهو ما يستلزم من القارىء الإحـاطة بكل العناصر السياقية لتحديـد ماهية المشار إليه في كلام إبراهيـم ، ذلك لأنَّ الخطاب القرآني يفسر بعضه البعض الآخر ضمن انسجـام تركيبي ودلالي في غاية الإحكام والروعة . وجاء في قوله تعالى أيضا :

﴿ **أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيـمَ وَإِسْمَاعِيـلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُـونَ (133) تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (134)**﴾

فـ (تلك) إشـارة خـاطفة مختصِرَةٌ ، تتضمن في معنـاها مجمل ماسبق ذكره في الآية الأولى من أسماء

---

[315] . المصدر نفسه ، ج1 ، ص 385.

[316] . فتح القدير ، الشوكاني ، ج1 ، ص 95.

[317] . الكشاف ، ج1 ، ص 188.

[318] . روح المعاني ، الألوسي، ج1 ، ص 381.

الأنبياء : إبراهيم ويعقوب ، وبنوهما الموحدون[319]، وزيادة تحقيق على مضي تلك الأمة " أي : إنَّ

السلف الماضين من آبائكم من الأنبياء والصالحين لا ينفعكم انتسابكم إليهم إذا لم تفعلوا خيرا يعود نفعه عليكم ، فإنَّ لهم أعمالهم التي عملوها ولكم أعمالكم "[320].

**5 ـ أسلوب الحصر:** قد مرَّ بنا رأي السيوطي في أسلوب الحصر على أنه من أنواع الايجاز بالقصر لأنَّ الجملة فيه نابت مناب جملتين [321]، وأهم أدوات هذا الأسلوب : (إلاَّ ، وإنما) و ضمن المقطع المدروس وجدنا هذا الأسلوب في قوله تعالى على لسان يعقوب :

**﴿ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾(132)**

فالشاهد في قوله تعالى ( فلا تموتن إلا وانتم مسلمون ) " فيه إيجاز بليغ . والمراد : الزموا الاسلام ولاتفارقوه حتى تموتوا " [322] أو أنَّ معناه " فلا يكن موتكم إلا على حال كونكم ثابتين على الإسلام فالنهي في الحقيقة عن كونهم على خلاف حال الاسلام إذا ماتوا ،كقولك : لا تصل إلا وأنت خاشع ، فلا تنهاه عن الصلاة ، ولكن عن ترك الخشوع في حال صلاته "[323].

ونكتة ورود النهي عن الموت على تلك الحال ما أوضحه الزمخشري في كشافه " إظهار أنَّ موتهم لا على حال الثبات على الاسلام موتٌ لاخير فيه . وأنه ليس بموت السعداء ، وأنَّ من حقِّ هذا الموت أن لا يحلَّ فيهم"[324].

---

[319] . ينظر الكشاف ، الزمخشري ، ج1 ، ص 193.

[320] . تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، ج1 ، ص 291.

[321] . ينظر : الاتقان في علوم القرآن ، السيوطي ، ج3 ، ص 126.

[322] . فتح القدير ، الشوكاني ، ج1 ، ص 95.

[323] . الكشاف ، الزمخشري ، ج1 ، ص (190-191).

[324] . المصدر نفسه ، ج1 ، ص 191.

# المقطع الثاني

اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (42) اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (43) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (44) قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى (45) قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى (46) فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى (47) إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (48) قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (49) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (50) قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى (51) قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى (52) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى (53) كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى (54) مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى (55) وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى (56) قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى (57) فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى (58) قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى (59) فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى (60) قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى (61) فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى (62) قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى (63) فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى (64) قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى (65) قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى (66) فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى (67) قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى (68) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى (69) فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى (70)

طه (42–70).

**أ . موضوع القصة :**

تمثل هذه الآيات جزءا من حياة موسى عليه سلام ، وأخيه هارون أي منذ أن كلفهما الله بالذهاب إلى فرعون وأمرهما بتبليغه رسالة رب العالمين ، وكيف كان ردُّ فرعون الذي أعماه تجبره ، و علوهُ في الأرض بغير الحق : إذ يظهر من جداله لموسى عقم حججه ، وتهافتها ـ مما ينمُّ عن سخف في التفكير وسفاهة في الرأي ـ أمام تلك الآيات الباهرة ، والحجج الدامغة التي عرضها موسى في مشهد المناظرة الحاسمة مع رأس الكفر والطغيان ، ولكن لفرعون منطق آخر " وهكذا لم يمض فرعون في الجدل لأن حجة موسى ـ عليه السلام ـ فيه واضحة وسلطانه فيه قوي ، و هو يستمد حجته من آيات الله في الكون ، ومن آياته الخاصة معه .. إنما لجأ إلى اتهام موسى بالسحر الذي يجعل العصا حية تسعى ويحيل اليد بيضاء من غير سوء . وقد كان السحر أقرب خاطر إلى فرعون "[325] وهكذا نراه يظهر نفسه متحديا لموسى بأن يجعل موعدا للحسم في القضية ﴿ **فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى**﴾ أي أنَّ فرعونَ كان واثقا من أنَّ موسى سينفضح أمره ، ويظهر للناس أن ما جاء به لا يعدو أن يكون سحرا كسائر ما تأتيه السحرة من خداع أبصار وحواس الناس " (فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا) وشدد عليه في عدم إخلاف الموعد زيادة في التحدي (لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ ) وأن يكون الموعد في مكان مفتوح مكشوف : (مَكَانًا سُوًى) مبالغة في التحدي "[326] ، ثم يمضي سياق القصة في رسم مشهد يوم الزينة حيث احتشد الناس للموعد المنتظر بين موسى ، وعتاة سحرة مصر بعد أن جمعهم فرعون لهزيمة موسى ، ويمضي الخطاب القرآني في عرض الحوار الذي دار بين موسى والسحرة ، والكشف الرائع للأجواء الخارجية التي جرت في كنفها المنازلة بين الطرفين ، وللأجواء النفسية قبل وأثناء وبعد العرض حينما رأى السحرة و فرعون وحشود الناس تلك الحبال والعصي ـ التي حولتها الخيالات الواهمة ساعيةً على الأرض ـ يتلقفها ذلك

---

[325]. في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ج 4 ، ص2340.

[326] . المصدر نفسه ، ج4، ص 2340.

الثعبان المبين الذي انقلب عن عصا موسى آية من الله رب العالمين، وبما أن السحرة هم أدرى بحقيقة السحر وبأوهامه لم يكن لهم بدٌّ ـ بعدما شاهدوا تلك الآية العظيمة ــ إلا أن يؤمنوا بالله العظيم ﴿**فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى**﴾ وبهذه التوبة وعلى هذا الخضوع ينتهي المقطع الذي حددناه للدراسة في هذا الجزء.

## ب ـ الايجاز والبناء الفني في القصة :

لا شكَّ في أنَّ أولَ ما يلفتُ انتباهَ القارىء في هذا المقطع هو ذلك الايقاع الجذاب السلس من بدايته إلى نهايته ، وهو الإيقاع المهيمن في سورة (طه) كلها إذ أنه " يستطرد في مثل هذا الجو من مطلعها إلى ختامها ـ رخيا شجيا نديا بذلك المدِّ الذَّاهبِ مع الألف المقصورة في القافية كلها تقريبا"[327] وغير خفي كذلك أنَّ مما أحكم هذا التنسيق والانسجام الايقاعي هو الايجاز بكل أبعاده ، فإذا نظرنا إلى الحذف والاقتصار ـ بالاضافة إلى أدوارهما في إطلاق الدلالة ، وشدِّ انتباه القارىء ـ وجدناهما أيضا يساهمان في إحكام البناء التركيبي والنسيج الفني للخطاب القرآني ، كما يمكن أيضا ملاحظة عدد من الظواهر الايجازية في هذا المقطع :

ـ الروابط اللغوية كالأسماء الموصولة (من ، ما ، الذي ) وهي تتضمن معاني الأشياء التي تعود عليها وغالبا ما تربوا خطيا عن الأسماء الموصولة.

ـ التعابير الدالة على العموم مثل (كل) ، و التعابير المتضمنة تكثيفا دلاليا (الايحاء).

ـ الضمائر.

وهي الظواهر التي سنستعرضها تحليليا في العناوين اللاحقة .

### 1 ــ الاقتصار :

قد سبق وأن أشرنا في الفصل الأوَّل من هذه الرسالة إلى اختلاف علماء اللغة (نحويين وبلاغيين) قديما وحديثا حول مسألة عدم ذكر المفعول به في الصيغ التركيبية الفعلية ، وهل يكون ذلك اكتفاءً بالحدث ذاته أي : أنَّ مدارَ التركيز متوجهٌ إليه حصرا ، وإلا لذكر المفعول به ، وهي الظاهرة اللغوية

---

[327] . في ظلال القرآن ، مج 04 ، ج 16 ، ص ، 2327.

التي أطلق عيها النحاة مصطلح (الاقتصار) ، أم أنَّ الأمر يتطلب تقديرا لمفعول محذوف من السياق التركيبي ، والحق أنَّ مسألة تقدير المفعول من عدمها خاضعة لمنطـوق السياق الذي يحدد ما إذا كان التقدير ضروريا أم لا .

وبعيـدا عن هذا الجدل هناك حقيـقة ثابتة في أنَّ أسلوبَ الاقتصـار من الأساليـب البارزة في ظاهرة الايجاز بما يحمل من شحنات دلالية تحيل القارئ إلى مستوى تدبري و تأويلي أكثر رحابة .

## 1 ـ 1 الاقتصار وانسجام الفاصلة :

مـا نلاحظه جليا من خلال المقطع الذي اخترناه من سورة (طه) بروز تأثير هذا الأسلوب في إحكام التناسب الايقاعي للقصة ، ولنأخذ هذه الشواهد :

﴿ **اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى** ﴾ (43).

﴿ **فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى** ﴾ (44).

﴿ **قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى** ﴾ (45).

﴿ **قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى** ﴾ (46).

﴿ **إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى** ﴾(48).

﴿ **قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى** ﴾ (50).

﴿ **قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى** ﴾ (52).

﴿ **وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى** ﴾ (56).

﴿ **فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى** ﴾ (60).

﴿**قَالَ لَهُمْ مُوسَى يْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى**﴾ (61).

﴿ **فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى** ﴾ (64).

﴿ **قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى** ﴾ (65).

﴿**قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى**﴾ (66).

﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾(69).

أي أنَّ الفواصل في الآيات السابقة كانت دائما تنتهي بجملة فعلية ـ فعل وفاعل مضمر ـ اكتفاء أو اقتصارا مما عزز تلك الوحدة الايقاعية في القصة .

## 1 ـ 2 الاقتصار وإطلاق الدلالة :

أما من الجانب الدِّلالي فإننا نلاحظ كيف ألقى هذا الأسلوب مرونة دلالية في تأويل المعاني الممكنة لتلك التراكيب ، وأضفى بعدا بلاغيا أخاذا ، و هو حكم تشهد له تلك التأويلات الكثيرة التي أفاض المفسرون في ذكرها كلٌّ بحسب فهمه لمنطوق السياق ، وسنتتبع رأي بعضهم في دلالة بعض من تلك التراكيب :

فقد جاء في تفسير الكشاف عند قوله تعالى : (**قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى**) وفي التركيب الأخير منه : (**أَنْ يَطْغَى**) ما نصه : " بالتخطي أن يقول فيك ما لا ينبغي ، لجرأته عليك ، وقسوة قلبه ، وفي مجيئه هكذا على الإطلاق وعلى سبيل الرمز : باب من حسن الأدب وتحاش عن التفوه بالعظيمة "[328] ، أو يكون المعنى في " (أو أن يطغى) بأن يقتلنا "[329] ، كما أنَّ هناك معنى خفيا في هذا التركيب أشار إليه الألوسي ، و هو استنزال رحمة الله تعالى[330] .

ـ ﴿ **إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى** ﴾ وهنا أيضا مساحة للتأويل في الفعلين المتعاطفين (**أَسْمَعُ وَأَرَى**) أي: "ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل ، فأفعل ما يوجبه حفظي ، ونصرتي لكما ، فجائز أن يقدر أقوالكم و أفعالكم ، وجائز ألاَّ يقدر شيء ، وكأنه قيل : أنا حافظ لكما ، وناصرٌ ،سامعٌ مبصر[331].

ـ ﴿ **قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى** ﴾ (50). استوقفت هذه الآية المفسرين كثيرا

---

[328] ـ الكشاف ، الزمخشري ، ج4 ،ص (85.84).

[329] . مفاتيح الغيب ، الفخر الرازي ، ج22 ، ص 61

[330] . روح المعاني ، ج16 ، ص 197.

[331] . الكشاف ، الزمخشري ، ج4 ، ص 85.

بما حملته من دلالات متنوعة ، على الرغم من قصر العبارة ووجازتها " ولله در هذا الجواب ما أخصره ومـا أجمعه ، وما أبينه لمن ألقى الذهن ، ونظر بعين الانصـاف "[332] ، **(ثُمَّ هَدَى)** " أي أرشد ، ودلَّ سبحانه بذلك على وجوده ، فإن من نظر في هذه المحدثات ، وما تضمنته من دقائق الحكمة علم أنَّ لهـا صانعا واجب الوجـود ، عظيم العطـاء والجـود ... **(ثُمَّ هَدَى)** إلى طريق الانتفاع والارتفاق بمـا أعطاه ، وعرفه كيف يتوصل إلى بقائه وكماله إما اختيارا كما في الحيوانات أو طبعا كما في الجمادات والقوى الطبيعيـة النباتية والحيوانيـة "[333] ، ومن المفسرين من يقاربُ معنى الهـداية من سياق الخطاب القرآني ، على نحو ما أورده ابن كثير في تفسيره عن بعضهم " أعطى كلَّ شيء خلقه ثم هدى كقوله تعالى : **(والذي قدر فهدى)** (الأعلى3) أي : قدر قدرا وهدى الخلائق إليه ، أي : كتب الأعمال و الآجال والأرزاق ، ثم الخلائق ماشون على ذلك و لا يحيدون عنه،ولا يقدر أحد على الخروج منه "[334].

ـ ﴿**وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى** ﴾(56) ، والضمير في الفعل عائد إلى فرعون **(وَأَبَى)** بمعنى: " أن يقبل شيئا منها ، وقيل : فكذب الآيات ، وأبى قبول الحق " [335] ، أو أنَّ فرعون كذب موسى "وأبى عليه أن يجيبه إلى الإيمان "[336] .

ـ ﴿ **فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْـدَهُ ثُمَّ أَتَى**﴾(60). " أتـى الموضع بالسحرة ، وبالقوم والآلات " [337] . ثم إنَّ مشهدا يكـاد ينطق به الفعل في نهـاية الآية عن نفسية فرعون المزهوة بمـا حضره لهزيمة موسى. ـ ﴿**قَالُوا يَـا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى** ﴾(65) " و إن مع مـا في حيزها في محل نصب بفعل مضمر أي : اختر القاءك أولا ، أو إلقاءنا ، ويجوز أن تكون في محل رفع على أنهـا ومابعدها حيز مبتدأ محذوف ، أي : الأمر إلقاؤك ، أو إلقاؤنا ، ومفعول **(تُلْقِيَ)**

---

[332] . الكشاف ، الزمخشري ، ج4 ، ص 85.

[333] . روح المعاني ، الألوسي ، ج16 ، ص 202.

[334] . تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، ج3 ، ص227.

[335] .. الكشاف ، الزمخشري ، ج4 ، ص 89.

[336] . فتح القدير ، الشوكاني ، ج16 ، ص 912.

[337] . مفاتيح الغيب ، الفخر الرازي ، ج2 ، ص 73.

محذوف ،والتقدير: إما أن تلقي مـا تلقيه أولا ، ( وإمـا أن نكون ) نحن ( أول من ألقى ) مـا يلقيـه ، أو أول من يفعل الالقاء"[338] ، وفي كلام السحرة إظهـارٌ للثقة بأمرهم[339] ، أو مراعـاة حسن أدب مع موسى عليه السلام وإعطائهم النصفة من أنفسهم ، ولذا رزقهم الله توبة من عنده[340].

## 2 ــ حذف المشاهد :

إنَّ مـا نعنيـه بالحذف هنـا ليس ذلك الذي يمس بنية التركيـب المعيـاري في الجملة العربية من مسند ومسند إليه ، وباقي التوابع ، ممـا كنـا قد تناولنـاه بالتحليل في المقطع الأول من سـورة البقرة ، إنمـا القصد دراسة الايجاز بحذف المشاهد كما يقول سيد قطب ، و هي آلية فنية في الخطـاب القرآني من أعظم آثـارها توسيـع ملكة التخييل عند قارئ القرآن ، وتجاوز المشـاهد التي لا حاجة لذكرها ، والتي يستطيـع القـارئ استخلاصها من سيـاق الخطـاب القرآني ، ولنتأمل هذا الانتقال ــ الرائع والسلس والخاطف في الآن نفسه ــ من مشهد إلى مشهد حتى لكأنَّ القارئ لا يكاد يحس به إطلاقا :

﴿ **فَأْتِيَـاهُ فَقُـولَا إِنَّا رَسُـولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَـا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى** ﴾ ﴿ **إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَـا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّـى** ﴾ ﴿ **قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى**﴾ **طه** (47 إلى 49).

إذ تتحول جهة الخطـاب من مشهد حواري أول يتمثل في تكليـف الله لموسى بأداء الرسالة السماوية إلى فرعون ، وأمره بأن يطلق بني إسرائيل من الأسر ، و يتوقف عن اضطهادهم ، وإلحـاق الأذى بهم إلى مشهد حواري آخر يبدأ بسؤال فرعون موسى ( قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَـا يَـا مُوسَى ) " لقد أتيـا فرعون ـ والسياق لا يذكر كيف وصلا إليه ـ أتياه وربهما معهما يسمع ويرى "[341] .

ومع ذلك هناك إشارات لفظية من السياق القرآني عززت سلاسة ذلك الانتقال الباهر بين المشهدين فموضوع الرسالة التي كلف موسى وهارون بتبليغهـا من رب العالميـن (فَأْتِيَاهُ فَقُولَا) (إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ)

---

[338] . فتح القدير ، الشوكاني ، ج16 ، ص 913.

[339] . ينظر : روح المعاني ، الألوسي ، ج16 ، ص 226.

[340] . ينظر : المصدر السابق ، ج16 ، ص 226 ، مفاتيح الغيب ، الفخر الرازي ، ج22 ، ص 81 ، الكشاف ، الزمخشري ج4، ص 92.

[341] . في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ج16 ، 2337.

قد أعادها موسى وهارون على مسمع فرعون في المشهد الثاني ، أي أن نص الرسالة كان الجامع بين المشهدين ، وعبره ، ومن خلاله تم ذلك الانتقال السردي المعجز ، ثم إنَّ ظاهرة أسلوبية أخرى نلاحظها في التراكيب السابقة،وهي اقتران أفعال الأمر بالفاء ـ التي من معانيها التعقيب مع السرعة ـ (**فَأْتِيَاهُ**) ، (**فَقُولَا**) ، وعدم ذكر تفاصيل ذهاب موسى وهارون حتى قدما إلى فرعون فيه دلالة جمالية على سرعة امتثالهما لما أمرهما الله به ، و هذا المعنى لامسه صاحب تفسير روح المعاني عند تعليقه على قول فرعون " (قال) أي فرعون بعد ما أتياه ، وبلغاه ما أمرا به ، وإنما طوى ذكر ذلك للايجاز ، والإشعار بأنهما كما أمرا بذلك سارعا إلى الامتثال به من غير ريث ، وبان ذلك من الظهور بحيث لاحاجة إلى التصريح به "[342].

و بعد مشهد المناظرة الحوارية بين موسى و فرعون ينتقل المشهد إلى يوم الزينة حيث تتجمع حشود الناس لرؤية المنازلة بين موسى ، وجموع السحرة التي أتى بها فرعون للمواجهة الحاسمة :

﴿**فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى** (60) **قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى** (61) **فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى** (62) **قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى** (63) **فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى** (64) **قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى** (65) **قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى** (66) **فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى** (67) **قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى** (68) **وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى** (69) **فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى**﴾ (70) طه (60 إلى 70)

﴿ **فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى** ﴾ (60).

" ويجمل السياق في هذا التعبير كل ما قاله فرعون وما أشار به الملأ من قومه ، وما دار بينه وبين السحرة من تشجيع ، وتحميس ، ووعد بالمكافأة ، وما فكر فيه ، وما دبر هو ومستشاروه .. يجمله في جملة : فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى . وتصور تلك الآية الواحدة القصيرة ثلاث حركات

[342] . روح المعاني ، الألوسي ، ج16 ، ص 199.

متواليات : ذهاب فرعون ، وجمع كيده ، والإتيان به "[343]. أما عن المشهد في ذاته فهناك أيضا تفاصيل طويت لدلالة السياق عليها " اعلم أنه لما تقدم ذكر الموعد وهو يوم الزينة ، وتقدم أيضا قوله ( ثم ائتوا صفا ) صار ذلك مغنيا عن قوله : فحضروا هذا الموضع ، و قالوا ( إما أن تلقي ) لدلالة ما تقدم عليه "[344]

ومثل ذلك حينما سجد السحرة لله تعالى بعد أن رأوا بأم أعينهم عظيم تلك الآية في صورة ثعبان ضخم يلقف تلك الحبال والعصي ، فالسياق يصور " وقع المفاجأة في نفوسهم في صورة تحول كامل في مشاعرهم ووجدانهم ، لا يسعفهم الكلام للتعبير ، ولا يكفي النطق للإفضاء به (فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آَمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى) "[345] ، وصورة إلقاء موسى للعصى غير منصوص عليها في سورة (طه) إلا مما هو ظاهر من أمر الله لموسى (وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ) ، أي أن جملة (فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا) " معربة عن جمل غنية عن التصريح ، أي : فزال الخوف ، وألقى ما في يمينه ، وصارت حية وتلقفت حبالهم وعصيهم ، وعلموا أن ذلك معجز ،فألقي السحرة على وجوههم سجدا لله تعالى تائبين . "[346]

## 3 ـ الإيحاء اللفظي في القصة :

### 3 ـ 1 إيحاء الضمائر :

نلاحظ في المقطع المدروس من سورة (طه) ذلك التوزيع المعجز للضمائر بين ظاهر ومستتر بحيث شكلت هذه الظاهرة إيجازا واضحا للوحدات اللغوية في القصة من بدايتها إلى نهايتها ، وسنرى من خلال ما سيأتي من أمثلة الدور الفاعل للإضمار في عملية الإيحاء للقارئ بجملة من الدلالات الكامنة في تلك الضمائر :

ـ جاء في قوله تعالى : ﴿ **الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ**

---

[343] . في ظلال القرآن ،سيد قطب ، ج16 ، ص 2341.

[344] . مفاتيح الغيب ، الفخر الرازي ، ج 22 ، ص 81.

[345] . في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ج16، ص 2342.

[346] . روح المعاني ، الألوسي ، ج 16 ، ص 230.

**السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى (53) كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى (54) مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى (55)** ﴾ فالضمائر الثلاثة عائدة إلى (الأرض) كما هو ظاهر من الآية 53 ، ولكن ثمة إيحاءات دلالية في تلك الضمائر تأخذ القارئ إلى التدبر في أصل الخليقة ، ونهاية وجودها في الحياة الدنيا ، وإلى إعادة بعثها من جديد لعرض الأعمال والجزاء في ليوم الآخر.

( **منها خلقناكم** ) إشارة إلى أصل البشرية آدم الذي كان خلقه من تراب ، أو أن المعنى " خلقنا أبدانكم من النطفة المتولدة من الأغذية المتولدة من الأرض بوسائط "[347].

**(وفيها نعيدكم)** " بالإماتة ، وتفريق الأجزاء"[348].

**(ومنها نخرجكم)** " بتأليف أجزائكم المتفتتة المختلطة بالتراب على الهيئة السابقة ، ورد الأرواح من مقرها إليها "[349] ، و هناك ملمح أسلوبي في تجاور هذه الضمائر الممتزجة خطيا مع تلك الأظرفة في نقش معنى تلك الحقائق في وجدان القارئ ، ونكاد نلمس هذا الأمر ، وندركه من خلال التوقيع الصوتي المميز في تلك التراكيب ( منها ، فيها ، منها ).

## 3 ـ 2 ايحاء الأسماء :

### 3 ـ 2 ـ 1 الايحاء في ألفاظ العموم :

ـ عند قوله تعالى :

﴿ **قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى** ﴾(50)

**كُلَّ** : " والظاهر أنه عموم الأفراد ، أي أعطى كل شيء من الأشياء الأمر الذي طلبه بلسان استعداده "[350]

ـ قال الله تعالى : ﴿ **الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً**

---

[347] . روح المعاني ، الألوسي ، ج16 ،ص 208.

[348] . المصدر نفسه ، ج16 ، ص 208.

[349] . المصدر نفسه ، ج16 ، ص 208.

[350] . روح المعاني ، الألوسي ، ج16 ، ص 201.

**فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى** ﴾(53)

( **شَتَّى** ) : " وهي صفة للأزواج جمع شتيت كمريض ... يعني : أنها شتى مختلفة النفع والطعم واللون والرائحة والشكل ، بعضها يصلح للناس ، وبعضها للبهائم "[351] .

ـ وقوله تعالى :

﴿ **وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى** ﴾(56)

(**كُلَّهَا** ) : " والإشارة إلى الآيات المعلومة التي هي تسع الآيات المختصة بموسى ـ عليه السلام ـ : العصا ، واليد ، وفلق البحر ، والحجر ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ، ونتق الجبل "[352] .

" اعلم أنه تعالى بين أنه أرى فرعون الآيات كلها ثم إنه لم يقبلها ، واختلفوا في المراد بالآيات ، فقال بعضهم أراد كل الأدلة ما يتصل بالتوحيد ، وما يتصل بالنبوة ، أما التوحيد فما ذكر في هذه السورة من قوله ( ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ) وقوله ( الذي جعل لكم الأرض مهدا ) الآية وما ذكر في سورة الشعراء ( قال فرعون وما رب العالمين . قال رب السماوات والأرض ) الآيات"[353]

## 3 ـ 2 ـ 2 الايحاء في أسماء الإشارة :

ولنتأمل دلالة إسم الاشارة ( **هَذَانِ** ) في سياق الآيات التالية :

قال الله تعالى :

﴿ **فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى** (60) **قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى** (61) **فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى** (62) **قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى** (63)﴾

واضح من سياق الآيات السابقة أن قول موسى للملأ المتجمع لرؤية المنازلة الحاسمة (وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ)قد أحدث رجة عظيمة بين صفوف أهل الكفر والضلال "والكلمة

---

[351] . الكشاف ، الزمخشري ، ج 4 ، ص 87.

[352] . المصدر نفسه ، ج4 ، ص 88.

[353] . مفاتيح الغيب ، الفخر الرازي ، ج22 ، ص70 /71.

الصـادقة تلمس بعض القلـوب وتنفذ فيهـا. ويبدو أن هذا الذي كـان ، فقد تأثر بعض السـحرة بالكلمة المخلصة ، فتلجلج في الأمر ، وأخذ المصرون على المباراة يجادلونهم همسا خيفة أن يسمعهم موسى " [354] و هذا ما دفعهم إلى إطلاق تلك العبـارة المـاكرة كما حكى الله ذلك عنهم ( إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى) " ولعلَّ هذا هو الذي يفسر لنـا تصرف فرعون الطـاغية المتجبر ، وموقف السحـرة ، ومن ورائهم فرعون . فمن هو موسى ومن هو هارون من أول الأمر حتى يتحداهما فرعون ، ويقبل تحديهمـا ، ويجمع كيده ثم يأتي ، ويحشر السحرة ، ويجمع النـاس ويجلس هو والملأ من قومـه ليشهدوا المبـاراة ؟ وكيف قبل فرعون أن يجـادله موسـى ، ويطاوله ؟ وموسى فرد من بني إسرائيـل المستعبدين المستذليـن تحت قهره "[355] ، وظـاهر من كلام سيد قطب الإشارة إلى تلك النبرة الهـازئـة لأولئك الهامسين ( إن هذان لساحران ) الأمر الذي لا نكـاد نجده عند المفسريـن المتقدميـن ، والذي كان جلُّ اهتمامم التخريـج النحوي للصيغة السالفة إلاَّ ما وجدناه من إشـارة صـاحب مفاتيح الغيب من ملامسة للدِّلالة العـامة في هذا التركيب " أنه سبحانه وتعالى لما ذكر ما أسروه من النجوى حكى عنهم ما أظهروه ، ومجموعهُ يدلُّ على التنفير عن موسى عليه السلام ومتابعة دينه "[356].

## 3 ــ 2 ــ 3 الايحاء في الأسماء الموصولة :

و الأمر الذي يبعث على الايحـاء في هذه الأسمـاء كون الموصول " يأتيـه العمـوم من بين يديه ومن خلفه لأنَّ دلالته في الأصل إنمـا هي على مطلق غـائب ( وبين الإطلاق والتعميـم رحم وقربى ) "[357] وهذا على نحو ما نجده في قوله تعالى : ﴿ **وَأَلْقِ مَـا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَـا صَنَعُوا** ﴾.

﴿ **وَأَلْقِ مَـا فِي يَمِيـنِكَ** ﴾ وجلُّ شروحـات المفسريـن على أنَّ ( ما ) إمـا أن تكـون موصولة ، أو موصـوفة ، وما دمنا هنـا بصدد دراسة جوانب الايجـاز ، والايحـاء في هذا اللفظ فلسنا نرى بأسا في

---

[354] . في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ج16 ، ص 2341.

[355] . المصدر نفسه ، ج16 ، ص 2341.

[356] . مفاتيح الغيب ، الفخر الرازي ، ج22 ، ص 80.

[357] . البيان في روائع القرآن ، د تمام حسان ، ص 365.

إدراجهـا تحت هذا العنوان ، يقول الألوسي : " ( و ألق ما في يمينك ) أي عصاك كما وقع في سورة الأعراف ، وكأنَّ التعبير عنها بذلك لتذكيره ما وقع ، وشاهده ـ عليه السلام ـ منها يوم قال سبحانه له ( وما تلك بيمينك يا موسى ) ، وقال بعض المحققين : إنما أوثر الإبهـام تهويلا لأمرهـا ، وتفخيما لشأنها ، وإيذانا بأنهـا ليست من جنس العصى المعهـودة المستتبعة للآثـار المعهودة ، بل خارجة عن حدود سائر أفراد الجنس... وحـاصله أنَّ الإبهـام للتفخيـم ، كأنَّ العصا لفخامة شأنها لا يحيط بها نطاق العلم نحو ( فغشيهم من اليم ما غشيهم )"[358].

( **مَا صَنَعُوا** ) " والتعبير عنها بما صنعوا للتحقير ، والايذان بالتمويه والتزوير "[359].

## 4 ـ الحذف في الأفعال والايحاء :

### 4 ـ 1 حذف الحرف :

من الظواهر الايحـائية التي وقفنا عليها في المقطع السـابق حذف الحرف من الفعل ( **تَلْقَفْ** ) ، فقد ورد في قوله تعالى : ﴿ **وَأَلْقِ مَـا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُـوا إِنَّمَا صَنَعُـوا كَيْدُ سَـاحِرٍ وَلَا يُفْلِـحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى** ﴾ (69).

و(**تَلْقَفْ**) " بالجزم جواب الأمر من لقفه : ناله بالحذق باليد ، أو بالفم ، والمراد هنـا الثاني ... و قرأ الأكثرون (تلقف) بفتح اللام ، وتشديد القاف ، وإسقاط إحدى التاءين من (تتلقف) "[360].

وقد أدى إسقاط هذا الحرف إلى الايحاء بحجم ذلك الثعبان ، وقدرته الكاسحة في التهـام تلك الحبال والعصي الملقاة في ميدان المبارزة بسهولة ظاهرة " ذلك أنها صارت تنينا عظيما هائلا ذا عيـون وقوائم وعنق و رأس وأضراس ، فجعلت تـتبع تلك الحبـال و العصي حتى لم تبـق منهـا شيئـا إلا تلقفته وابتلعته ، والسحرة والنـاس ينظـرون إلى ذلك عيـانا جهرة نهـارا ضحوة ، فقـامت المعجزة ، واتضح البرهان ، وبطل ما كانوا يعملون "[361].

---

[358] . روح المعاني ، الألوسي ، ج16 ، ص 228.

[359] . المصدر نفسه ، ج16 ،ص 229.

[360] . المصدر نفسه ، ج16 ، ص 229.

[361] . تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، ج3 ، ص 230.

## 5 ـ الأسماء الموصولة وظاهرة عدول الالتفات:

من آليات الايجاز استعمال الأسماء الموصولة ، و التي تعد بدورها اختصارات لفظية لوحدة ، أو عدة وحدات تركيبية ، ومن ضمن تلك الأسماء نجد (ما ، من ، الذي ، التي ) ،كما تؤدي هذه الأسماء في الخطاب القرآني أحيانا وظائف عدولية ، وفي الربط بين التراكيب ، مثلما نراه في الشواهد التالية من المقطع محل البحث : قال الله تعالى :

﴿ **قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى** (49) **قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى** (50) **قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى** (51) **قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى** (52) **الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى** (53) ﴾ **طه** (49 ـ 53).

اختلفت آراء المفسرين فيما إذا كانت الآية :﴿ **الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى** ﴾ من جملة قول موسى ، أم هي من قول الله تعالى " ويحتمل أن يكون من كلام موسى عليه السلام على أن يكون قد سمعه من الله عزَّ وجلَّ ، فأدرجه بعينه في كلامه ، ولذا قال (لكم) دون لنا ، وهو من قبيل الاقتباس فيكون الموصول إما مرفوع المحل على أنه صفة لربي ، أو خبر مبتدأ محذوف "[362] فيما يذهب الفخر الرازي إلى الجزم بأن كلام موسى ينتهي عند قوله (لَايَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى) : " ولايجوز أن يقال كلام الله ابتداؤه من قوله : ( فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى ) لأنَّ الفاء يتعلق بما قبله ، فلا يجوز جعل هذا كلام الله ، فلم يبق إلا أن يقال إنَّ كلام موسى عيه السلام تمَّ عند قوله (لَايَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى) ثم ابتدئ كلام الله تعالى من قوله : ( الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا ) ، ويكون التقدير : هو الذي ( جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا ) فيكون الذي خبر مبتدأ محذوف ، ويكون الانتقال من الغيبة إلى الخطاب التفاتا"[363] ، أي أن الاسم الموصول في هذه الآية (الذي) كان رابطا بين الآيتين ، وأعطى مرونة كبيرة وسلاسة في غاية الاعجاز لتغير جهة الخطاب ـ الالتفات ـ بما أنَّ

---

[362] . روح المعاني ، الألوسي ، ج16 ، ص 205.

[363] . مفاتيح الغيب ، الفخر الرازي ، ج22 ، ص 69.

الضميرَ في الاسم الموصول (الذي) في كلا الآيتين (50 ، 53) عائد إلى الله جل شأنه ، " وكلمة الذي تقتضي وصف المعرفة بجملة معلومة ، فلابد وأن تكون هذه الجملة قد كانت معلومة له "[364] أي للقارئ .

## 6 ــ ظواهر إيجازية :

### 6 ــ 1 حروف التثنية والجمع :

من ظواهر الايجاز أيضا نجد اختصار الأسماء في ضمائر التثنية والجمع ، وهو من أكثر الآليات الاقتصادية في اللغة ، ولنتأمل في هذه الشواهد لنرى حجم الدور الذي تؤديه حروف التثنية و الجمع في اختصار الوحدات التركيبية :

قال الله تعالى :

**﴿ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (43) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (44) قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى (45) قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى (46) فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى (47) إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (48) قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (49) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (50) قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى (51) قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى (52) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى (53) كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى (54) مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى (55)﴾**

### 6 ــ 2 الضمائر :

و تعتبر من أبواب الايجاز وهي إما ( ضمائر مستكنة ، أو ضمائر ظاهرة ) ، ولِنُعْطِيَ صورةً عن بعض أدوارها ــ والمتمثل في اختصار الألفاظ والتعابير ـ نكتفي بعرض مثال على ذلك من المقطع

---

[364] . المصدر نفسه ، ج22 ، ص 63.

السابق من سورة طه ، حيث ورد اسم فرعون ظاهرا من الآية (43) ولم يزل مضمرا حتى ذكر مرة أخرى في الآية (60) من المقطع نفسه .

قال الله تعالى :

﴿ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (43) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (44) قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى (45) قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى (46) فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى (47) إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (48) قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (49) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (50) قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى (51) قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى (52) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى (53) كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى (54) مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى (55) وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى (56) قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى (57) فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى (58) قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى (59) فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى (60)﴾.

# الخاتمة ونتائج البحث

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ، حمدا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه ، حمدا بما أنعم وتفضل على عبده الضعيف بالتوفيق لإنجاز هذا البحث المتواضع الموسوم بـ : أساليب الايجاز في بناء الخطاب القرآني ـ مقاربة أسلوبية ـ ، والصلاة والسلام على سيد الأولين و الآخرين ، من بعثه الله رحمة للعالمين داعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ، وبعد :

فقد تناولت هذه الدراسة موضوع الايجاز في الخطاب القرآني من وجهة نظر أسلوبية ، و على ضوء ما سبق عرضه ، ومن خلال ما قام الباحث بدراسته وتحليله عبر فصول ومباحث هذه الرسالة فقد وصل إلى النتائج التالية :

– أنَّ الايجاز بنوعيه (الايجاز بالحذف ، و الايجاز بالقصر) شكل مبحثا ثابتا في الدراسات العربية النحوية والبلاغية.

– أنَّ النحويين كانوا الأسبق إلى إدراك ظاهرة الايجاز بالحذف ، فيما توسع البلاغيون في البحث عن أسراره الجمالية و الأسلوبية في الخطابات الأدبية .

– أنَّ الايجاز بالحذف كان الأكثر دراسة في البحوث اللسانية العربية ، فيما كان مفهوم الايجاز بالقصر في تلك الدراسات غائما بالرغم من تحديده الاصطلاحي على أنه تقليل للفظ ، وإطلاق للدلالة ، إلا ما لاحظناه في إشارة السيوطي ـ عند تعريفه لمفهوم الايجاز بالقصر ـ من اقتراب إجرائي في غاية الأهمية من حيث أنه وضح الآليات ، والصيغ التركيبية التي يرد من خلالها هذا النوع من الايجاز ، وقد رأينا أنها لم تجاوز إطارها النظري إلى الناحية التطبيقية .

– الأهمية الكبيرة التي يضطلع بها الايجاز في إطار النظرية النظمية لعبد القاهر الجرجاني ، ودوره في إحكام النسيج النظمي في الخطابات الأدبية عامة، والخطاب القرآني على وجه الخصوص.

وأما في الفصل الثاني : الايجاز في بناء الخطاب القرآني ، والذي خصصناه لدراسة أساليب الايجاز في الخطاب القرآني من خلال أهم المؤشرات الأسلوبية كالسياق ، والعدول ، والجانب التداولي، والمناسبة فقد خلصنا إلى الملاحظات التالية :

– أنَّ السياقَ يشكل مؤشرا محددا ذو أهمية قصوى في توضيح دلالة الخطاب القرآني ، وأن الايجاز

بنوعيه لا يمكـن الوصـول إلى دلالته إلا عبر استنطـاق السيـاق ، وهذا ما اعتمدت عليه الدراسـات الإسلامية في علوم أصول الفقه والتفسير ، وخاصة في دراسات المتشـابه اللفظي التي اعتبرت القرآن بعمومه سياقا كليا تتحدد من خلاله الدلالات المنطوية والمحذوفة من التراكيب القرآنية .

– أساليـب الايجـاز من أهم الأساليـب العدولية في الخطاب القرآني ، فالحذف التركيـبي عدول عن الأصل ، وهو الذكر ، والنوع الآخر من الايجـاز ـ القصر ـ عدول عن التطويـل ، وقد لاحظنا أنَّ من أغراض هذا العدول في الخطاب القرآني شدُّ انتباه قارئ القرآن ، وتحفيـز كوامن الخيـال والتدبر لديـه بالاضافة إلى التعويل على فهمه.

– أنَّ الايجـاز بالحذف يحكـم البنـاء التركيـبي والايقاعـي في الخطاب القرآني من خلال الانسجـام الايقاعي الناتج عن حذوفات الفواصل القرآنية .

– وصلنـا إلى أنَّ الايجـاز في الخطاب القرآني ظـاهرة كلية تتسم بتنوع الأدوات والآليـات ، والتي من ضمنها الحذف والعطف ،واستعمال الأسماء الموصولة ، وأسماء الإشارة ، والإضمار ، وصيغ العمـوم و التكثيف الدلالي ، أو الايحاءات المتضمنة في المفردة القرآنية بحيث تؤدي إلى آداء طاقـات تعبيـرية تحيل القارئ إلى مجموعة من الدلالات المتنوعة .

– كما وقفنا عند وجه آخر من وجـوه الايجاز في الخطاب القرآني ، ونعني به الحذف التصويـري ، أو آلية قص المشاهد ، وهي من أبرز الظواهر في القصص القرآني بحيث رأينـا أنها تسمح بتجاوز المشاهد التي يمكن لقـارئ القرآن استخلاصها من مجمل منطـوق السيـاق ، ولاحظنـا تلك الآثـار الأسلـوبية والبلاغية لهذا النوع من الحذف في الخطاب القرآني .

– لاحظنا ذلك النضج الكبيـر للدراسات الاسلامية ـ لاسيما في كتب التفسيـر ـ في إدراك الجوانب الجمالية لأساليب الايجاز في الخطـاب القرآني من خلال التوسع في دراسة أبعـاد السياق ، والمنـاسبة والعدول .

هذا ونرى أنه بالأهمية بمكـان دراسة الايجـاز في الخطـاب القرآني بتخصيـص بحـوث تركز على مؤشر واحد من المؤشرات الأسلوبيـة ( السيـاق ، العـدول ، التلقـي ، المنـاسبة ) للكشـف عن الكثيـر من

الأسرار الجمالية والأسلوبية التي تنطوي عليها أساليب الايجاز في الخطاب القرآني ، وبخاصة المؤشر التداولي والذي يعتبر مبحثا غربيا دخيلا في دراسة الخطاب القرآني ، بحيث تلح الحاجة إلى توضيح مفهومه وبيان حدود مجال القراءة عند المتلقي ، ومستوياتها .

ولا يفوتنا أن نشير في الأخير إلى الصعوبة التي واجهت الباحث في أثناء إعداد هذه الدراسة ،والمتمثلة في عدم توفر المكتبة الجزائرية على كتب أو دراسات ، أو بحوث جامعية تناولت بالدراسة موضوع أساليب الايجاز في بناء الخطاب القرآني ضمن مقاربة أسلوبية ، بالاضافة إلى صعوبة مقاربة الايجاز القرآني من خلال مفهوم التلقي مما يجعلنا نؤكد على ضرورة إفراده بدراسات مستقلة تؤصل له انطلاقا من التراث اللساني العربي.

# الفهارس

## فهرس الشواهد القرآنية


| رقم الآية | الصفحة |
|---|---|
| **البقرة** | |
| 13 – 15﴿وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس﴾ | 43 |
| 20 ﴿ولو شاء الله لذهب بسمعهم و أبصارهم﴾ | |
| 24﴿فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار﴾ | 91 |
| 25 ﴿كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل ﴾ | 79 |
| 40 – 47﴿اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم﴾ | 78 |
| 41﴿وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم﴾ | 78 |
| 48 ﴿واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ﴾ | 78 |
| 71 ﴿فذبحوها وما كادوا يفعلون﴾ | 79 |
| 77 ﴿إن الله يعلم ما تسرون وما تعلنون﴾ | 79 |
| 92 ﴿ثم اتخذتم العجل من بعده﴾ | 78 |
| 108 ﴿ أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ﴾ | 67 |
| 124 –135 ﴿وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات﴾ | 68 |
| (124 – ) ﴿وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات﴾ | 112 |
| –125–﴿ وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل ﴾ | 113 –118 |
| (126 – )﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا﴾ | 116 |
| (127 – )﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت﴾ | (115) |
| 128 – ﴿ربنا واجعلنا مسلمين لك﴾ | ( 115 – 116) |
| 129– ﴿ربنا وابعث فيهم رسولا منهم﴾ | 116-119 |
| 130 – ﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم﴾ | 119 |
| 131 – ﴿إذ قال له ربه | 120 |

أسلم﴾ .....120 132 – ﴿ووصى بها
إبراهيم بنيه﴾ .....117 -123 133 – ﴿أم كنتم
شهداء إذ حضر يعقوب الموت﴾.....122 134 – ﴿تلك
أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم﴾.....122 135–
﴿وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا﴾.....117
143﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا
شهداء على الناس﴾ ..... 87 179﴿ولكم في القصاص حياة
﴾..... 38-53-70

258 - ﴿ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه﴾.....32-58

276﴿يمحق الله الربا ويربي الصدقات﴾ ..... 101

**آل عمران**

13 – ﴿قد كان لكم آية .... الأبصار﴾ .....67
154 – ﴿يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم
﴾.....79

**النساء**

02 - ﴿وآتوا اليتامى أموالهم ..... كان حوبا كبيرا﴾ .....77
23
﴿وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم﴾ .....65

41 - ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا﴾ ..... 83

76 – ﴿الذين آمنوا ..... الطاغوت ﴾.....67
153- ﴿ يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء ﴾.....68

**المائدة**

67 - ﴿وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾ .....79

**الأنعام**

35 – ﴿ولوشاء الله لجمعهم على الهدى﴾ .....91

39 – ﴿من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم ﴾.....42 -91

**الأعراف**

31- ﴿كلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾.....32

54 – ﴿إن ربكم الله الذي خلق السماوات ....تبارك الله رب العالمين﴾ .....81

189- هو الذي خلقكم من نفس واحدة .....64

190- ﴿جعلا له شركاء فيما آتاهما﴾

64.....

199 – ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن المشركين ﴾.....87

204 – ﴿وإذا قرء القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون﴾ .....83

**الأنفال**

31 – ﴿لو نشاء لقلنا مثل هذا ﴾.....42

57 – ﴿فشرد بهم من خلفهم ﴾.....45

58 – ﴿وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء ﴾.....45

**التـوبة**

127 – ﴿ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم﴾ .....101

**يونس**

24 - ﴿ إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء ﴾ .....37 - 38

**يوسف**

29 – ﴿يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين ﴾.....92
45 – 46 ﴿وقال الذي نجا منهما ... لعلهم يعلمون﴾
.....93
54 – 56 ﴿وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي ....ليوسف في الأرض﴾.....79
80 –﴿ فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا﴾ .....80
82 – ﴿واسأل القرية
﴾.....45

**الرعد**

31 –﴿ولو أن قرآنا سيرت به الجبال﴾.....89

**النحل**

09– ﴿ولو شاء لهداكم أجمعين ﴾.....91
72– ﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا ﴾.....100
90– ﴿إنَّ الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى﴾.....87

**الكهف**

45 – ﴿واضرب لهم مثل الحياة الدنيا .... تذروه الرياح﴾.....54

**طـــه**

42 – 70 ﴿اذهب أنت وأخوك بآياتي﴾ .....125
43 – ﴿اذهبا إلى فرعون إنه طغى﴾ .....128 -139 - 140
44 – ﴿فقولا له قولا لينا ﴾.....128 -139-140
45 – ﴿قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا ﴾.....128 -129-139-140
46 – ﴿قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى﴾.....128- 129 -139-140
47 – ﴿فاتياه فقولا إنا رسولا ربك ﴾.....131 -139-140

48 – ﴿إنا قد أوحي إلينا﴾ .....128- 139-140

49 – ﴿إنا قد أوحي إلينا﴾ .....131- 138- 139-140

50 – ﴿قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾.....128- 129 - 134- 139-140

51 – ﴿قال فما بال القرون الأولى﴾ .....138- 139-140

52 – ﴿قال علمها عند ربي في كتاب ﴾.....128- 138- 139-140

53 – ﴿الذي جعل لكم الأرض مهدا﴾ .....133-134 - 135- 138-139-140

54 – ﴿كلوا وارعوا أنعامكم ﴾.....134-139-140

55 – ﴿منها خلقناكم﴾.....134-
139-140

56 – ﴿ولقد أريناه آياتنا كلها ﴾.....128 – 130 – 135-140

57 – ﴿قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا﴾ .....140

58 – ﴿فلنأتينك بسحر مثله ﴾.....126-140

59 – ﴿قال موعدكم يوم الزينة ﴾.....140

60 – ﴿فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى﴾ .....128 – 130 – 132- 135-140

61 – ﴿قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا ﴾.....128 – 132- 135

62 – ﴿فتنازعوا أمرهم بينهم﴾ .....132 – 135

63 – ﴿قالوا إن هذان لساحران﴾ ..... 132 - 135

64 – ﴿فاجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا﴾ .....128 - 132

65 – ﴿قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى﴾ .....128 - 130 - 132

66 – ﴿قال بل ألقوا﴾ .....128 - 132

67- ﴿فأوجس في نفسه خيفة موسى ﴾.....132

68 – ﴿قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى﴾ .....132

69 – ﴿وألق ما في يمينك ﴾.....129 – 132 -136 -137

70 – ﴿فألقي السحرة سجدا﴾.....127- 132

68-70 ﴿قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى﴾.....79

78- ﴿فأتبعهم فرعون بجنوده﴾

.....86

87-88 ﴿فكذلك ألقى السامري فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار﴾.....67

**النور**

10- ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم﴾ .....90

20- ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤوف رحيم﴾

.....90 37- ﴿يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار

﴾.....101

**الفرقان**

41- ﴿أهذا الذي بعث الله رسولا﴾ .....32

**الشعراء**

70- ﴿إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون ﴾.....100

**النمل**

28- ﴿اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ﴾.....93

29-31﴿قالت يا أيها الملأ إني ألقي إلي كتاب كريم﴾.....93

**القصص**

60- ﴿فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا ﴾.....68

79- ﴿فخرج على قومه في زينته ﴾.....69

**العنكبوت**

67-﴿أولم يروا أنا جعلنا﴾ .....100

**الروم**

30- ﴿فطرت الله التي فطر الناس عليها﴾.....72

**الأحزاب**

28- ﴿قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا﴾.....63

33- ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت﴾.....63

34- ﴿واذكرن ما يتلى في بيوتكن﴾.....63

45-46 ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا﴾.....85

52- ﴿لا يحل لك النساء من بعد﴾ .....77

**فاطر**

14- ﴿ولا ينبئك مثل خبير﴾.....45

**الصافات**

70- ﴿ماذا تعبدون ﴾.....100

71- ﴿نعبد أصناما﴾.....100

86-87 ﴿أئفكا آلهة دون الله تريدون﴾.....100

**ص**

29- ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ﴾.....83

50- ﴿جنات عدن مفتحة لهم الأبواب﴾.....88

**الزمر**

09- ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾.....32- 41

73- ﴿حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها﴾.....88

**غافر**

68- ﴿هو الذي يحي ويميت﴾.....41

**الشورى**

24- ﴿فإن يشأ الله يختم على قلبك﴾.....42-91

36- ﴿فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا﴾.....68

**فصلت**

42- ﴿ تنزيل من حكيم حميد ﴾.....49-82

**الزخرف**

71- ﴿وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين﴾.....86

**محمد**

24- ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ .....83

**الفتح**

14-﴿ يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ﴾.....58

**ق**

01-02 ﴿ ق والقرآن المجيد ﴾.....89

23-﴿ وقال قرينه هذا ما لدي عتيد﴾ .....72

27- ﴿قال قرينه ربنا ما أطغيته﴾ .....72

**الذاريات**

16-18 ﴿إنهم كانوا قبل ذلك محسنين﴾.....100

19- ﴿وفي أموالهم حق للسائل والمحروم﴾.....100

**النجم**

01-18 ﴿والنجم إذا هوى ﴾.....107

37-﴿ وإبراهيم الذي وفى﴾ .....114

43-44 ﴿وأنه هو أضحك وأبكى ﴾.....41

48- ﴿وأنه هو أغنى وأقنى﴾.....41

**الرحمن**

37- ﴿فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان﴾.....57

**الواقعة**

04-05 ﴿إذا رجت الأرض رجا﴾ .....57

79- ﴿لا يمسه إلا المطهرون﴾.....83

83-85 ﴿فلولا إذا بلغت الحلقوم﴾ .....92

**الحديد**

16- ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قوبهم لذكر الله﴾.....83

**الحاقة**

13-14 ﴿فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة﴾ .....57

**المعارج**

24-25 ﴿والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم﴾.....100

**الجن**

01- ﴿إنا سمعنا قرآنا عجبا﴾.....49

**القيامة**

13- ﴿ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر﴾.....103

26-30 ﴿كلا إذا بلغت التراقي﴾.....92

**الإنسان**

20- ﴿وإذا رأيت ثم رأيت﴾.....32

**النبأ**

18-20 ﴿يوم ينفخ في الصور﴾.....57

**النازعات**

01-11 ﴿والنازعات غرقا﴾.....89

**الانفطار**

01-02 ﴿إذا السماء انفطرت ﴾.....57

**الغاشية**

17-20 ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت﴾.....99

**الضحى**

01-08- ﴿والضحى﴾.....105
03- ﴿ما ودعك ربك وما قلى ﴾.....32-
104 09-10﴿فأما اليتيم فلا تقهر﴾
.....105 11- ﴿وأما بنعمة ربك
فحدث﴾.....105

**الزلزلة**

01- ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾ .....57

**القارعة**

09- ﴿فأمه هاوية﴾.....98

**التكاثر**

01- ﴿ ألهاكم التكاثر ﴾.....98

**الفيل**

04-05 ﴿ترميهم بحجارة من سجيل﴾.....86

## فهرس الأحاديث النبوية


| الحديث | رقم الصفحة |
| --- | --- |
| ( ألا يكفيك آية الصف ؟ ) | 25 |
| ( التمس ولو خاتما من حديد ) | 29 |
| ( لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ) | 31 |
| ( كتاب الله تبارك و تعالى فيه نبأ ما قبلكم ) | 49 |
| ( فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه ) | 49 |
| ( اقرأ علي ) | 83 |
| ( شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت) | 83 |

## فهرس الأعلام العربية

| الاسم وتاريخ الوفاة | الصفحة |
|---|---|


ابن أبي حاتم.....64

ابن الأثير (637هـ).....26-24

ابن السراج (316هـ).....28

ابن المغيرة الوليد .....83

ابن جني أبو عثمان (392هـ).....28

ابن حنبل أحمد.....63

ابن سيده.....20

ابن عباس.....122-83-64-62

ابن عطية.....50

ابن قيم الجوزية .....91-63

ابن منظور .....20

ابن كثير .....131 -122

ابن هشام (761هـ).....32-31

ابن هشام

.....50 أبوحيان

محمد بن يوسف 745هـ.....89

الألوسي .....130-120-118-97-94-63

بن عاشور الطاهر.....97-63

بودوخة مسعود .....72-11

الترميذي .....83- 63

تمام حسان .....78-75

الجاحظ أبو عثمان (255هـ).....73- 22

الجرجاني عبد القاهر (471هـ).....36-37-38-39-40-42-43-44-45-46-48-62-54
الخطابي388/319هـ.....50
الخفاجي ابن سنان (466هـ).....
الخولي أمين.....56
دراز عبد الله 1894م.....52-
80 الرازي الفخر 604هـ.....97-100-
138 الرافعي مصطفى صادق
.....48 الرماني(
386هـ).....21 – 23 – 81
الزجاج.....121
الزركشي .....63-91-93-96-99
الزمخشري جار الله أبو القاسم 538هـ.....47-63-72-75-90-97-122
السامرائي فاضل صالح.....101-107-
108 السكاكي
(656هـ)..... سيبويه
(180هـ).....27-30
السيوطي جلال الدين (849هـ) .....26-27-96-97-98-123
الشاطبي أبو إسحاق790هـ.....66
الشوكاني .....97-114-120
الصديق أبوبكر .....83
عائشة عبد الرحمان.....55-56-57-58-104-105
عبد الله بن مسعود .....83-87
عمر بن الخطاب.....50-83
الغرناطي أبو جعفر708هـ.....96- 97 -98-

100 الفراهيدي الخليل بن أحمد (175هـ).....30
-121 فضل صلاح
17-09.....
الفرزدق..... 118
قتادة.....121
القرطاجني حازم 684هـ.....48
القزويني الخطيب .....97-101
قطب سيد.....53-54-55-93-102-131-
136 الكرماني
504هـ.....69-100 محمد
عبد المطلب .....74-75
الغزالي محمد.....113
المسدي عبد السلام.....09
النيسابوري أبو بكر324هـ.....96

**فهرس للأعلام الأعجمية**

| الاسم | الصفحة |
| --- | --- |


بيرس .....11

جاكوبسون.....10

جون ليونز .....11

دو سوسور.....12-11-09-08

ريفاتير.....10

سوسيور.....11

شارل بالي.....08

شتراوس .....13

فلاديمير بروب .....13

مالينوفسكي.....13

هارفنغ .....13

هاريس .....12

هنري فايل.....14

## فهرست الموضوعات:

**الموضوع** **الصفحة**


**مقدمة**.....01

**مدخل : في مفاهيم : الأسلوبية –الخطاب – الإيجاز** .....08

**أ . مفهوم الأسلوبية وأسسها النظرية** .....09

**ب . الأسلوبية : علم النص وتحليل الخطاب** .....12

**ب . 1 مفهوم النص**.....12

**ب . 2 مفهوم الخطاب**.....15

**ج . آلية الايجاز في بناء الخطاب الأدبي**.....16

**الفصل الأول : أساليب الايجاز في الدرس اللساني العربي والدراسات القرآنية**.....19

**المبحث الأول : ظاهرة الايجاز في الدرس اللساني العربي** .....20

**أ– مفهوم الايجاز** .....20

**أ . 1 لغة** .....20

**أ . 2 اصطلاحا** .....21

**ب . الايجاز عند البلاغيين العرب**.....22

**ج . الايجاز بالحذف في تراث النحويين** .....27

**ج . 1 القرائن اللفظية (المقالية)**.....28

**ج .2 القرائن الحالية** .....29

**د . الفرق بين الحذف والاضمار عند النحويين** .....30

هـ . الايجاز بالحذف والايجاز بالقصر .....32

و . تقدير المحذوف .....33

المبحث الثاني : الايجاز ونظرية النظم عند الجرجاني .....35

أ . تمهيد .....35

ب . مفهوم التعليق في نظرية النظم.....35

ج . أساليب الايجاز في نظرية النظم الجرجانية .....38

ج .1 الايجاز بالحذف .....38

ج .2 الايجاز بالقصر.....43

د . الحذف بين الحقيقة و المجاز .....44

المبحث الثالث : ظاهرة الايجاز في الدراسات الأسلوبية للقرآن.....46

أ . مفهوم الأسلوب .....46

أ .1 لغة.....46

أ .2 اصطلاحا.....47

ب . أسلوب القرآن المعجز .....48

ج . الايجاز في الدراسات الحديثة لأسلوب القرآن .....50

ج .1 الايجاز عند عبد الله دراز .....51

ج .2 سيد قطب والايجاز في القرآن الكريم .....52

ج .3 الايجاز عند عائشة عبد الرحمان.....54

الفصل الثاني : آلية الايجاز في بناء الخطاب القرآني.....58

**تمهيد**.....59

**المبحث الأول : السياق ومقاربة فهم الايجاز القرآني** .....60

**أ . مفهوم السياق** .....60

**أ .1 لغة** .....60

**أ .2 اصطلاحا**.....60

**ب . السياق في دراسة الخطاب القرآني**.....60

**ب .1 السياق في التفسير وعلوم القرآن**.....61

**ب .2 السياق عند الأصوليين**.....64

**ج . السياق والايجاز في القرآن الكريم** .....65

**ج .1 السياق والايجاز بالحذف في القرآن** .....65

**ج .2 السياق والايجاز بالقصر**.....68

**المبحث الثاني: الايجاز والعدول في الخطاب القرآني**.....72

**أ . تمهيد**.....72

**ب . عدول الايجاز في الخطاب القرآني**.....75

**ب .1 الايجاز بالحذف والعدول**.....75

**ب .2 العدول في أسلوب الايجاز بالقصر** .....79

**المبحث الثالث : الايجاز في الخطاب القرآني ومفهوم التلقي** .....81

**أ . تمهيد** .....81

**ب . الايجاز بالقصر والتكثيف الدلالي**.....84

ج . الحذف في القرآن والايحاء.....87

المبحث الرابع : المناسبة في أساليب الايجاز .....94

أ . مفهوم المناسبة.....94

أ .1 لغة.....94

أ .2 اصطلاحا.....94

ب . الايجاز والتناسب العام.....97

ج . الإيجاز والتناسب الخاص.....100

د . الحذف وتناسب الفواصل القرآنية.....102

الفصل الثالث: أساليب الايجاز في القصص القرآني.....108

تمهيد .....111

المقطع الأول.....112

أ – موضوع القصة .....112

ب – الايجاز والبناء الفني في القصة .....113

1– الحذف .....116

2– الاضمار.....117

3– التكثيف الدلالي .....120

4– أسماء الإشارة .....122

5– أسلوب الحصر.....123

المقطع الثاني : .....125

أ- موضوع القصة .....126

ب- الايجاز والبناء الفني في القصة.....127

1- الاقتصار .....127

1-1 الاقتصار وانسجام الفاصلة .....128

1-2 الاقتصار وإطلاق الدلالة .....129

2- حذف المشاهد .....131

3- الايحاء اللفظي في القصة .....133

3-1 إيحاء الضمائر .....133

3-2 إيحاء الأسماء .....134

3-2-1 الايحاء في ألفاظ العموم .....134

3-2-2 الإيحاء في أسماء الإشارة .....135

3-2-3 الايحاء في الأسماء الموصولة .....136

4- الحذف في الأفعال والايحاء.....137

4-1 حذف الحرف من الفعل .....137

5- الأسماء الموصولة وظاهرة عدول الالتفات .....138

6- ظواهر إيجازية .....139

6-1 حروف التثنية والجمع .....139

6-2 الضمائر .....139

# قائمة المصادر

# والمراجع

**قائمة المصادر والمراجع** :


- القرآن الكريم برواية حفص.

01- الإتقان في علوم القرآن,جلال الدين السيوطي، تح: طه عبد الرءوف سعد،المكتبة التوفيقية،القاهرة2008.

02- أساس البلاغة , أبو القاسم جار الله الزمخشري، تح:محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية،بيروت،ط1، 1998.

03- أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، دار المدني، جدة، السعودية ، ط1، 1991.

04- أسلوب الحذف في القرآن الكريم وأثره في المعاني والإعجاز,مصطفى شاهر خلوف، دار الفكر ناشرون وموزعون،عمان،الأردن،ط1 ، 2009.

05- الأسلوبية والأسلوب , عبد السلام المسدي ، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا ، ط3 ، د ، ت.

06- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن , محمد الأمين الجكني الشنقيطي، دار عالم الفوائد ، مكة المكرمة السعودية ، ط1 ، 1426.

07- الإعجاز البلاغي – دراسة تحليلية لتراث أهل العلم – د. محمد محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ، القاهرة مصر ، ط 4 ، 2012.

08- الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق , عائشة عبد الرحمان ، دار المعارف ، مصر ، 1971.

09- إعجاز القرآن البياني , ودلائل مصدره الرباني , صلاح عبد الفتاح الخالدي ، دار عمار ، عمان ، الأردن ط1 ، 2000.

10- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية, مصطفى صادق الرافعي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، د.ت .

11- الإعجاز اللغوي لمشاهد القيامة في القرآن الكريم ,د. رعد طالب كريم العنبكي ، مكتبة دار الزمان المدينة المنورة ، السعودية ، ط1 ، 2011.

12- الإعجاز والايجاز ، أبو منصور الثعالبي ، الطبعة الأولى ، مصر ، 1897.

13- الايجاز في كلام العرب ونص الإعجاز، الدكتور:مختار عطية ، دار المعرفة الجامعية،مصر ، د ، ت.

14- الإيضاح في علوم البلاغة , الخطيب القزويني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، د،ت.

15- بداية المجتهد ونهاية المقتصد , محمد بن رشد القرطبي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط6 ، 1983.

16- البرهان في تناسب سور القرآن , أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي ، تح : سعيد بن جمعة الفلاح ، دار ابن الجوزي ، المملكة العبية السعودية ، ط1 ، 1428هـ.

17- البرهان في توجيه متشابه القرآن , محمود بن حمزة الكرماني ، تح : عبد القادر أحمد عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1986.

18- البرهان في علوم القرآن , بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث،القاهرة،ط3 ، 1984.

19- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ـ المعاني والبيان والبديع ـ عبد المتعال الصعيدي ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، مصر ، ط1 ، 2009.

20- بلاغة الخطاب وعلم النص ، د : صلاح فضل ، عالم المعرفة ، الكويت ، 1992.

21- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني , الدكتور فاضل صالح السامرائي ، شركة العاتك ، القاهرة ، مصر ، ط2 2006.

22- البلاغة والأسلوبية , د.محمد عبد المطلب ، طبعة مشتركة ، مكتبة لبنان ناشرون ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، ط1 ، 1994.

23- بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، الخطابي ، تح : محمد خلف الله أحمد الدكتور محمد زغلول سلام ، دار المعارف ، مصر ، ط3 ، 1986.

24- البيان في روائع القرآن ـ دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني ـ د.تمام حسان، عالم الكتب،القاهرة،ط1 1993.

25- البيان والتبيين , أبو عثمان عمرو بن بحرالجاحظ ، دار مكتبة الهلال،بيروت،2002.

26- تأويل مشكل القرآن , إبن قتيبة ، مكتبة دار التراث ، القاهرة،ط2، 1973.

27- التبيان في إعراب القرآن ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان 2010.

28- تحليل الخطاب السردي وقضايا النص، عبد القادر شرشار، دار القدس العربي ، وهران، ط1 ، 2009.

29- التصوير الفني في القرآن , سيد قطب ، دار الشروق ، القاهرة ، ط8 ، 1983.

30- التفسير البياني للقرآن الكريم , عائشة عبد الرحمان، دار المعارف، مصر،ط7،د،ت.

31- تفسير التحرير والتنوير , محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر،تونس،1984.

32- تفسير الطبري ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن ــ ابن جرير الطبري ، تح : بشار عواد معروف عصام فارس الحارستاني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1994.

33- تفسير القرآن العظيم , للامام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إبن كثير ، دار الامام مالك ، الجزائر ، ط1 2006.

34- التفكير الأسلوبي – رؤية معاصرة في التراث النقدي والبلاغي – د. سامي محمد عبابنة ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن ، ط2 ، 2010.

35- تناسق الدرر في تناسب السور , الحافظ جلال الدين عبد الرحمان السيوطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط1 ، 1986.

36 - جماليات المفردة القرآنية ، الدكتور أحمد ياسوف ، دار المكتبي ، دمشق ، سورية ، ط : 03، 2009.

37- الجمل في النحو, الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: د فخر الدين قباوة مؤسسة الرسالة بيروت، لبنان ط1 1985.

38- الحذف بين النحويين والبلاغيين, حيدرحسين عبيد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 ، 2013.

39- خصائص التراكيب , د. محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة ، ط8 ، 2009.

40- دراسات أسلوبية في تفسير الزمخشري، د:مسعود بودوخة، عالم الكتب الحديث،إربد ،الأردن،ط1 2011.

41- دلائل الإعجاز, عبد القاهر الجرجاني، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق،ط1 ، 2005 .

42- روح المعاني , الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت،د،ت.

43- سنن الترميذي ، الترميذي ، تخريج و ترقيم و ضبط : صدقي جميل العطار ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان 2005.

44- السياق وأثره في المعنى, د.المهدي إبراهيم الغويل، أكاديمية الفكر لجماهيري،بنغازي،ليبيا طبعة،2011 .

45- السياق والدلالة , د. مسعود بودوخة، بيت الحكمة للنشر والتوزيع العلمة، الجزائر،ط1 ،2012 .

46- السيرة النبوية , إبن هشام ، دار صبح،بيروت،ط3 ، 2009.

47- شرح بن عقيل على ألفية بن مالك , إبن عقيل، دار الطلائع للنشر والتوزيع،والتصدير، القاهرة،د،ت.

48- شرح شذور الذهب , إبن هشام الأنصاري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت، لبنان ، ط1 2009.

49- شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان , الحافظ جلال الدين عبد الرحمان السيوطي ، دار الفكر بيروت ، لبنان ، د،ت.

50- الظاهرة القرآنية ، مالك بن نبي , تر: عبد الصابور شاهين، دار الفكر،دمشق، سوريا ، ط4 ، 1987.

51- علم الأسلوب والنظرية البنائية , الدكتور صلاح فضل ، طبعة مشتركة دار الكتاب المصري ، دار الكتاب اللبناني ، ط1 ، 2007 .

52- علم البلاغة بين الأصالة والمعاصرة , الدكتور عمر عبد الهادي عتيق ، دار أسامة للنشر ، والتوزيع ، عمان الأردن ، ط1 ، 2012.

53– العمدة في محاسن الشعر ، وآدابه، ونقده ، ابن رشيق القيرواني ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ، ط 5 ، 1981.

54- عناصر الوظيفة الجمالية في البلاغة العربية ,د. مسعود بودوخة ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن ط1 ، 2011.

55- فتح الباري بشرح صحيح البخاري , إبن حجر العسقلاني ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، مصر ،د ، ت.

56- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير , محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار المعرفة بيروت،ط4 ، 2007.

57- الفوائد , إبن قيم الجوزية ، دار بن الجوزي ، القاهرة ، مصر ، ط1 ، 2006 .

58- في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية , سعد عبد العزيز مصلوح ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر ، ط2 2010.

59- في اللسانيات ونحو النص ، الدكتور:ابراهيم محمودخليل ، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان،الاردن،ط2 2009.

60ـ في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، ط32 ، 2003.

61- القواعد التحويلية في الجملة العربية , د. عبد الحليم بن عيسى، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ط1 2011.

62- الكتاب ، سيبويه، تح : عبد السلام محمد هارون،مكتبة الخانجي القاهرة،ط3 ، 1988.

63- كتاب العين , الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: د:مهدي المخزومي، د: إبراهيم السامرائي،سلسلة المعاجم والفهارس،د،ت.

64- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل , أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود،الشيخ علي محمد معوض،مكتبة العبيكان،الرياض،ط1،1998.

65- لسان العرب ، إبن منظور، تح :مجموعة من الأساتذة، دار المعارف القاهرة ،د ،ت.

66- اللغة العربية معناها ومبناها, د. تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب طبعة 1994.

67- المتشابه اللفظي في القرآن الكريم – بلاغة إيجاز الحذف –د. نوري صابر محمد الزيباري ، دار مجدلاوي عمان ، الأردن ، 2014/2013.

68- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر, ضياء الدين بن الأثير، قدمه:د أحمد الحوفي، د بدوي طبانة،دار نهضة مصر،القاهرة ، د، ت.

69- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز , إبن عطية ،تح: الرحالة الفاروق،عبد الله بن إبراهيم الأنصاري،السيد عبد العال السيد إبراهيم،محمد الشافعي الصادق العناني،دار الخير دمشق،ط2 ، 2007.

70- المحكم والمحيط الأعظم في اللغة , علي بن إسماعيل بن سيدة ، تح:عائشة ع الرحمان،معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ،ط1،1958.

71- مشاهد القيامة في القرآن, سيد قطب، دار الشروق، بيروت،لبنان ط7، 1983.

72- معاني النحو, د. فاضل صالح السمرائي، شركة العاتك لصناعة الكتاب، القاهرة،ط2 ، 2003.

73- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب , إبن هشام ، دار السلام،القاهرة ط3 ، 2010.

74- مفاتيح الغيب , الفخر الرازي ، دار الفكر، بيروت لبنان،ط1 ، 1981.

75- مفتاح العلوم, السكاكي، تح:د عبد الحميد هنداوي،دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط1 ، 2000 .

76- مقدمة إبن خلدون, عبد الرحمان بن خلدون، دار ابن الجوزي،القاهرة ط1 ، 2010.

77- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل , إبن الزبير الغرناطي ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، لبنان ط1 ، 1983.

78- من أسرار البيان القرآني, د.فاضل صالح السامرائي، دار الفكر ناشرون وموزعون،عمان ،الأردن،ط2 2010.

79- من بلاغة النظم القرآني – دراسة بلاغية تحليلية لمسائل المعاني والبيان والبديع في آيات الذكر الحكيم- د.بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختارللنشروالتوزيع،القاهرة،ط1 ، 2010.

80- الموافقات في أصول الشريعة , أبو إسحاق الشاطبي ، ضبط : عبد الله دراز ، المكتبة التجارية الكبرى مصر د،ت.

81- النبأ العظيم - نظرات جديدة في القرآن- ، محمد عبد الله دراز ، دار الثقافة ، الدوحة ، قطر 1985.

82– نظرات في القرآن ، محمد الغزالي ، دار الشهاب للطباعة والنشر ، باتنة ، الجزائر ، 1986.

83- النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، أبو الحسن علي بن عيسى الرماني تح:محمد خلف الله أحمد،د محمد زغلول سلام،دار المعارف،مصر،ط3 ، 1986 .

**الكتب المترجمة :**

84- البلاغة والأسلوبية- نحو نموذج سيميائي لتحليل النص- هنرش بليت، تر: محمد العمري، افريقيا الشرق الدار البيضاء،ط1999،2.

85- مدخل لفهم اللسانيات(ملحق اللسانيات الأسلوبية من اللسانيات إلى الأدب)، روبير مارتان، تر: عبدالقادرالمهيري،المنظمة العربية للترجمة،بيروت،لبنان ،ط2007،1.

**المراجع الأجنبية :**

01- George Molinié, La stylistique, – Quadrige – Paris 2004

**المجلات :**

1- الإظهار في مقام الإضمار في القرآن الكريم , مجلة الوعي الإسلامي

**مواقع الإنترنت :**

1- Presse universitaires de rennes 2010

2- التقرير الكامل للندوة الدولية (الخطاب القرآني ) Admin a diae.net

**ملخص**

يدرس هذا البحث الموسوم بـ أساليب الإيجاز في الخطاب القرآني – مقاربة أسلوبية – ظاهرة الإيجاز بكل أبعادها الأسلوبية في الخطاب القرآني، وذلك انطلاقا من الدراسات الإسلامية قديمهـا وحديثهـا ويحـاول الكشف عن بعض الأسرار الجمالية لهذه الأساليـب من خلال البحث في أهم المؤشرات الأسلوبية كالسياق، والانزياح، وأوجه المناسبة في المعاني والألفاظ بالإضافة إلى دراسة أبعاد الآثار التخيلية، والنفسية لهذه الأساليب عند قارئ القرآن. وأساليب الإيجاز في الخطاب القرآني ذات آليات لغوية متعددة تتجاوز التصنيف التقليـدي الذي يرى بأنهـا لا تعدو أن تكـون إما بالحذف، أو بالقصر، بل تتجاوز ذلك إلى عدة آليات لغوية مثل : الإضمار والعطف، والأسمـاء الموصولة، وأسمـاء الإشـارة، وألفـاظ العموم وغيرهـا، كما يمكن إدراج ظـواهر أخرى كالتصويـر، والتكثيـف الدلالي، وقص المشـاهد التي لا حاجة لذكرها تعويلا على فهم القارئ، وتدبره لكتاب الله تعالى .

**الكلمات المفتاحية :**

أساليب الإيجاز؛الدراسات العربية الحديثة؛ الخطاب القرآني؛ سيد قطب؛ عائشة عبد الرحمان؛ السياق الفاعل؛ الأبعاد التخييلية؛ المناسبة المقامية؛ المقالية للإيجاز؛ الحذف في الخطاب القرآني.

**نوقشت يوم 09 جوان 2015**